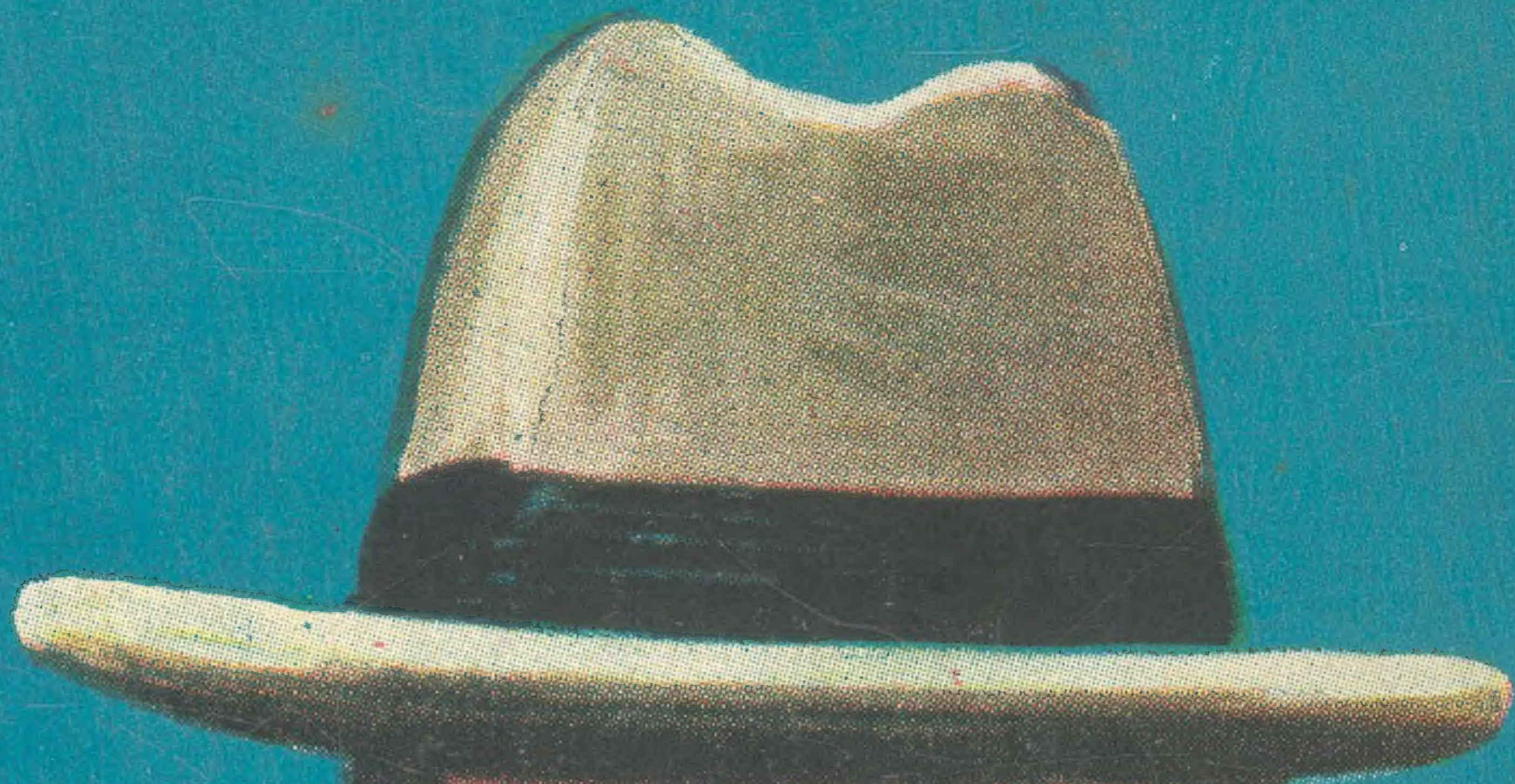




إنجلترا لنا لك



مذكرات
وينستون تشرشل

الجزء الخامس



S

1

اخترنالک

مذکرات
ونسٹون تشریل
الجزء الخامس

مؤتمر الدار البيضاء

بما أن اقرار عملية «المشعل» قد وضع حدا لكل أمل في القيام بعملية عسكرية رئيسية لعبور قناة المانش في فرنسا المحتلة عام ١٩٤٣ ، وهو ما أيدته الدوائر العليا ، واقتنع به الرأي العام العسكري الأمريكي كافة .

ولما كنت غير ميال لتأييد هذا الرأي ، لأنى كنت لا أزال آمل في أن تسقط دويلات الشمال الأفريقى (الفرنسى) بما فيها تونس ، بعد قتال لا يتعدى بضعة أشهر ، وفي مثل هذه الحالة قد يصبح غزو فرنسا المحتلة شيئا محتملا في شهر يوليو أو شهر أغسطس عام ١٩٤٣ .

لهذا فقد كنت أود أن أرى اعداد القوة العسكرية الأمريكية في بريطانيا يسير جنبا الى جنب مع عملية «المشعل» وذلك طبق امكانياتنا الملاحية ، وكانت مستلزمات الحرب تقتضيها ان نخوضها بكل قوتنا ، حتى نرغم العدو على اتخاذ موقف الالهية والاستعداد لتلقى الضربات التى تنهال عليه منا ، وسوف تقرر الأحداث وحدها ما اذا كان من حظنا أن نعبّر القناة ، أو أننا سنتابع السير وراء طبيعة قواتنا في البحر المتوسط ، أو نقوم بالعمليتين في وقت واحد .

وكان من الضرورى لمصلحة العمليات الحربية في جملتها - ولا سيما لمساعدة روسيا وعونها - ان تدخل جيوش بريطانيا وأمريكا من الغرب أو من الشرق في السنة القادمة .

وكان هناك خطر من ألا نتمكن من القيام بأى عمل من العملين في السنة نفسها ، فحتى لو سارت حملتنا - لاحتلال الجزائر وتونس - سيرا مرضيا وسريعا فإننا سنجد أنفسنا مضطرين للموافقة على احتلال سردينيا أو صقلية ، أو كليهما وأن نؤجل عبور المانش حتى عام ١٩٤٤ ، وقد يعنى هذا اضاءة عام كامل على الحلفاء الغربيين ، مع وجود نتائج قد تكون قاضية لا بالنسبة على وجودنا ، بل الى النصر الحاسم ، ولم نكن على استعداد لأن نخسر خمسمائة ألف أو ستمائة ألف طن من الحمولة الملاحية في كل شهر الى ما لا نهاية ، وكان أمل ألمانيا الوحيد أن ترانا في حال من التوقف والجمود .

وكان رؤساء أركان الحرب البريطانيون يدرسون جميع هذه الخطط حتى قبل أن نعرف نتائج معركة العلمين ، أو ما سوف يحدث لحملة «المشعل» وقبل أن تظهر نتائج المعركة الزهيبية الدائرة من أجل احتلال مداخل القوقاز ، وكان واضعو الخطط الحربية مشغولين معهم أيضا ، وكانت تقاريرهم في رأى سلبية وكنا على جانبى المحيط الأطلنطى نندنو من مرحلة جمود مشتركة .

وكانت القيادة البريطانية تؤيد الانجاء الى البحر الأبيض المتوسط والقيام بهجوم على سردينيا وصقلية مستهدفا إيطاليا ، أما خبراء الولايات المتحدة فقد فقدوا كل أمل في عبور القناة في عام ١٩٤٣ ، إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا غير راغبين في اقحام انفسهم « في منطقة البحر الأبيض » في مشروعات قد تحول بينهم وبين تحقيق مشروعهم العظيم في عام ١٩٤٤ .

هذا وقد كتبت في شهر نوفمبر أقول : (يبدو لي أن مخاوف الأمريكيين جميعها ستتضاعف بالنسبة لمخاوف البريطانيين ، وهي مخاوف يسهم فيها كل فرع من فروع قواتنا المسلحة أسهاما فعالا) .

وسيقال دون شك ، أن سير الأحداث قد برهن على أن نظرتي الى الآمال المترتبة على الاحتمالات في الشمال الأفريقي كانت مفرقة في التفاؤل ، وأن القيادة الأمريكية كانت على حق في الاعتقاد بأن قرار « المشعل » الذي اتخذناه في شهر يوليو ، قد أغلق الطريق على احتمال نجاح عبور القناة في عام ١٩٤٣ ، وبالفعل كان هذا ما حدث تماما .

ولم يكن من المتوقع في هذا الوقت أن يبدل هتلر مجهودا كبيرا في تعزيز الجناح التوتسي ، حيث أرسل ما يزيد على مائة ألف من خيرة جنوده بطريق الجيسو والبحر ، وذلك على الرغم من الخسائر الفادحة التي منى بها ، وكان هذا العمل من جانبه خطأ استراتيجيا جسيما ، وكانت خطوته هذه سببا في تأخير انتصارنا في افريقيا عدة أشهر ، ولو أنه حافظ على القوات التي تم أسرها في شهر مايو لكان بإمكانه أن يعزز بها جبهته المتدهورة في روسيا ، أو يحشد جزءا منها في نورماندى تؤخرنا عن الزحف حتى لو قررنا النزول في عام ١٩٤٣ .

وليس هناك الآن من يشك في أن القرار الذي اتخذناه بالانتظار حتى عام ١٩٤٤ كان قرارا حازما .

وانى لأشعر بارتياح لأننى لم أخدع ستالين أو أضلله ، فقد بذلت كل ما وسعنى من جهد ، ومن جهة أخرى ، فلو أننا غزونا البر الأوروبى من البحر الأبيض المتوسط في المرحلة المقبلة ، وأصبحت الجيوش الأنجليزية الأمريكية في حالة اتصال كامل مع العدو ، فأننى كنت راضيا بما سيفرضه القضاء والقدر .

وقد قدر لنا أن نصاب بنكسة وتوقف في الشمال الأفريقي ، وعلى الرغم من أننا كنا نتمتع بعنصر المبادأة والمباغتة ، إلا أن أعداد قواتنا كان بطيئا بسبب قيود الملاحة الشديدة التى فرضت علينا ، وكانت عمليات التفريغ تتعرض لغازات بحوية عنيفة في مينائى الجزائر وعنابه ، كما كنا نفتقر الى وسائل النقل البرى أيضا ، وكان الخط الحديدى الوحيد على الساحل الذى يمتد الى مسافة خمسمائة ميل فى وضع سيء للغاية ، اذ يمتد فوق مئات الجسور الكبيرة والصغيرة التى يمكن تدميرها ونسفها هذا وقد بدأت مقاومة عنيفة من الطراز الأول عندما وصلت أعداد كبيرة من جنود ألمانيا الى تونس بطريق الجو ، وكان عدد الجنود الفرنسيين الذين انضموا الآن الى جانبنا لا يقل عن مائة

الف ، وكان معظمهم من جنود المستعمرات ، وهم محاربون ممتازون ولكنهم يفتقرون الى العتاد الجيد والتنظيم والادارة .

هذا وقد دفع الجنرال ايزنهاور الى الامام بكل ما تحت امرته من وحدات أمريكية ، ودفعنا نحن بكل ما لدينا من قوة ، وقد تمكن لواء بريطاني من المشاة في الثامن والعشرين من شهر نوفمبر « بمعونة بعض رجال الفرقة الأمريكية المدرعة الأولى » من الوصول الى الحديد ، التي تقع على بعد اثني عشر ميلا من تونس ، وكان هذا ذروة معركة الشتاء .

وحل الآن فصل الأمطار ، وأخذت السماء تمطر مدرارا ، حتى أصبحت مطاراتنا المؤقتة غير صالحة لهبوط الطائرات اطلاقا ، وكان سلاح الجو الألماني عابى الرغم من ضالة عدده يعمل من مطارات صالحة لجميع الأجواء .

وفي اليوم الأول من شهر ديسمبر قام الألمان بهجوم مضاد ، أحبطوا به الهجوم الذي كنا نعد له العدة ، مما اضطرنا في خلال بضعة أيام الى التراجع نحو المجاز ، ولم يكن في الامكان ايصال المؤن الى القوات الامامية عن طريق البحر الا على نطاق ضيق ، وكان من الصعب مدها بحاجاتها ، ولم يكن في امكاننا أن نشن هجوما من جديد حتى اثنى والعشرين من شهر ديسمبر حيث بدأت الهجوم الذي لقي نجاحا أوليا ، الا أنه عند الفجر ، توالى نزول الأمطار واستمرت ثلاثة أيام حتى تعطلت مطاراتنا وغدت غير صالحة للعمل ، كما أن السيارات لم يكن في وسعها أن تتحرك الا على طرق سيئة .

ولهذا قرر الجنرال ايزنهاور في مؤتمر عقده عشية عيد الميلاد، التخلي عن خطته لاحتلال تونس ، وأن يحاول حماية مطاراته الامامية في المنطقة التي احتلها ، حتى يحين موعد شن الهجوم من جديد، هذا وقد استمر الألمان في تعزيز قواتهم في تونس ، على الرغم من الخسائر الكبيرة التي عانوا منها بحرا ، ولم تحل نهاية شهر ديسمبر حتى كانت قواتهم قد بلغت خمسين ألفا .

وكان الجيش الثامن في أثناء ذلك قد قطع مسافة هائلة ، وكان رومل قد تمكن من سحب قواته المحطمة من العلمين ، وظل الضغط مستمرا على قوات مؤخرته الا أن المحاولة التي بذلتها قواتنا للوصول قبله الى الجنوب من بنغازي قد منيت بالفشل ، وبذلك تيسر لرومل أن يستريح بعض الوقت في العقيلة ، في حين اضطر مونتجمري بغسد تقدمه الطويل الى مواجهة نفس المصاعب في النقل والتموين التي عانى منها أسلافه . وفي الثالث عشر من ديسمبر، تمكنت الفرقة النيوزيلندية الثانية من زحزحة رومل عن مواقعه ، حتى أصبح طريقه مهددا بالانقطاع بسبب الحركة الالتفافية الواسعة التي قامت بها الفرقة المذكورة ، بعد أن منى بخسائر فادحة أنزلها به سلاحنا الجوي حيث واصل هجماته على طرق المواصلات الساحلية ، ولم يكن في استطاعة مونتجمري أن يتابع المطاردة في أول الأمر الا بالقوات الخفيفة ، وكان

الجيش الثامن قد قطع مسافة ألف ومائتى ميل منذ معركة العلمين، واحتلت قواته « سرته » مع مطاردها يوم عيد الميلاد ، ثم تقدمت الى مركز رومل الرئيسى فى البويرات فى نهاية العام .

هذا وقد أعدت لجنة رؤساء أجهزة القيادة فى هذه الأثناء مذكرتين أرسلتهما الى وزارة الحرب ، أوضحت فيهما آراءهما المدروسة المتعلقة بالاستراتيجية المقبلة ، وأكدت فى النتائج الى توصلت اليها وجود خلافات كثيرة فى وجهات النظر بين أعضائها وبين زملائهم الأمريكيين ، وكانت هذه الخلافات منصبه على الأفضلية . أكثر منها فى موضوع المبدأ ، وكان رأى رؤساء أركان الحرب البريطانيين أن أفضل سياسة هى متابعة عملية «المشعل» بحماس ونشاط، والاستعداد التام لعبور القناة فى عام ١٩٤٣ ، أن أمكن ، فى حين كان من رأى رؤساء أركان الحرب الأمريكيين بذل غاية الجهد فى محاولة عبور القناة والصمود فى شمالى افريقيا ، وهكذا غدت القضية معقدة ، ولم يكن فى الامكان حلها الا باجتماع أعقده مع الرئيس ، ولذا قررنا بعد نقاش طويل أن نجتمع فى الدار البيضاء لبحث الموضوع والبت فيه ، وذهبت الى هناك فى الثانى عشر من يناير عام ١٩٤٣ ، وكانت رحلتى مشوبة ببعض القلق ، وكان المسئولون عن طائرتنا «الفدائى» قد أعدوا مدفأة غازية لتوليد الحرارة ، وكانت قوتها شديدة ، وقد أفقت من نومى فى الساعة الثانية صباحا وكنا فوق الأطلنطى على بعد خمسمائة ميل من أقرب نقطة برية ، وأحسست بالحرارة تحرق أصابع قدمى وخيل الى أنها ستبلغ حد الاحتراق بعد قليل وتشعل النار فى الفراش، ولهذا فقد أيقظت بيتر بورتال ، الذى كان نائما فى مقعده ووجهت نظره الى الجهة المنبعثة منها الحرارة ، وهبطنا معا الى المكان الذى تحفظ فيه القنابل فى الطائرات ، حيث كانت الطائرة من قاذفات القنابل ، فوجدت رجلين يعملان فى جد ونشاط للابقاء على جهاز الحرارة الفازى مشتغلا ، وقد خيل الى أن هذه العملية خطيرة من جميع نواحيها ، لما يمكن أن يسببه الجو البترولى بسبب اشتداد الحرارة من احتمال الانفجار ، وقد وافقنى بورتال على رأى ، ولذلك فقد فضلت أن نتجمد من البرد على أن نحترق ، وأمرت فى الحال بإطفاء أجهزة التدفئة ، وعدنا الى الراحة ونحن نرتجف من شدة البرد الثلجى حيث كنا على ارتفاع ثمانية آلاف قدم فى الجو وهو الارتفاع الذى تحتم علينا أن نظير عليه لنكون فوق السحاب ، وأود أن اعترف بأن هذه الفترة كانت من انقترات السيئة التى مرت بى .

وعندما وصلنا الى الدار البيضاء ، وجدنا استعدادات طيبة فى انتظارنا حيث وجدنا هناك فندقا كبيرا به عدد كبير من الغرف تكفى لنزول جميع الضباط البريطانيين والأمريكيين ، وقاعات كبيرة للمؤتمرات ، وكان يوجد بجوار هذا الفندق عدد من البيوت المريحة خصصت لإقامة الرئيس وأقامتى وإقامة الجنرال جيرو ، والجنرال ديجول إذا قرر الحضور ، وأحيطت المنطقة كلها بالأسلاك الشائكة وتولى الجنود الأمريكيون حراستها ، وكنت قد وصات الى الدار البيضاء قبل وصول الرئيس بيومين مع أركان حربى ، وكنت أسير

في بعض الأحيان مع باوند وغيره من رؤساء أركان الحرب على الصخور وعلى الشاطئ حيث كانت الأمواج الرائعة تتكسر على الصخور مرغية مزبدة ، مما يجعل النزول الى البر معجزة من المعجزات ، ولم يمر علينا يوم هادئ مطلقا ، حيث كان ارتفاع الأمواج يبلغ خمسة عشر قدما وكان تكسرها فوق الصخور يتخذ شكلا مخيفاً ، مما سبب انقلاب عدة قطع من سفن الانزال وعدة زوارق بما عليها من الرجال ، وفي هذه الاثناء جاء ولدي راندولف من الجبهة التونسية ، حيث كان هناك الكثير مما يتحتم علينا أن نفكر فيه ، كما كان رؤساء أركان الحرب يجتمعون ويتشاورون ساعات كل يوم .

وقد وصل الرئيس بعد ظهر اليوم الرابع عشر من الشهر ، كان لقاء حار بيننا ، وكان أشد ما أبهجني أن أرى زميلي العظيم هنا على هذه الأرض المحتلة أو المحررة ، التي تمكنا معا من الاحتفاظ بها ، على الرغم من نصيحة مستشاريه العسكريين ووصل الجنرال ايزنهاور في اليوم التالي بعد طيران محفوف بالخطر ، وكان تواقا لمعرفة ما ستقرره القيادة المشتركة ، وأن يظل على اتصال بهم ، وكانت صلاحيتهم دائما فوق صلاحيته ، وبعد يوم أو يومين ، وصل الكساندر ، وقدم الى والي الرئيس تقريراً عن سير تقدم الجيش الثامن ، قد أثر القائد البريطاني أشد التأثير على الرئيس ، إذ استهوته شخصيته والأنباء التي حملها ، والتي ذكر فيها أن الجيش الثامن سيستولى على طرابلس في المستقبل القريب جدا ، وأوضح لنا أن مونتهجرى الذي كان يتولى قيادة فيلقين قوين ، انتزع جميع المعدات من أحدهما وسلمها الى الفيلق الثاني ، لاعتقاده بأنه على جانب كبير من القوة لارغام رومل على التراجع غرباً عبر طرابلس الى خط ماريت القائم على الحدود ، والذي يؤلف حاجزا مانعا بالفعل ، وقد أثلجت هذه الأنباء أفئدة الجميع وفاضت مشاعرهم بالسرور .

وبعد عشرة ايام من الدرس المتواصل للقضايا الاساسية توصل رؤساء أركان الحرب للقيادة المشتركة الى الاتفاق ، وكنت أنا والرئيس على اتصال يومي بهم وعلى علم بما يتم الاتفاق عليه لاقراءه ، وقد اتفق على أن نحشد كل ما نستطيع من قوات لاحتلال تونس سواء بوساطة جيش الصحراء وكل ما يمكن للبريطانيين أن يزجوا به من الجنود في المعركة ، أو بوساطة جيش ايزنهاور أو بهما معا ، وأن يكون الكساندر نائباً لاييزنهاور وقائداً فعليا لجميع العمليات الحربية ، ووصلنا الى اتفاق أيضا على الخطورة التالية وهي الهجوم على صقلية أو سردينيا ، وكان من رأيي أن تكون صقلية الهدف التالي وأيدني في ذلك رؤساء أركان الحرب بالقيادة المشتركة ، أما واضعو الخطط المشتركة من الناحية الأخرى ومعهم اللورد مونتباتن فكان من رأيهم أن نهاجم سردينيا أولاً ، لأن في امكاننا أن نقوم بهذا العمل قبل ثلاثة أشهر من الوقت المحدد للعملية التالية ، وقد تمكن مونتباتن من اقناع هوبكنز والآخرين برأيه ، ولكنني تشبثت بوجهة نظري وأصررت على الهجوم على صقلية وأيدني في ذلك جميع رؤساء أركان الحرب ، وهكذا أذعن واضعو الخطط لرأيي الا أنهم قالوا انه لا يمكن البدء في هذه العملية قبل الثلاثين من شهر اغسطس ، وهنا تدخلت شخصيا في هذه المرحلة ،

و درست معهم جميع الأرقام ، ثم أصدرت مع الرئيس أوامرا بأن يكون يوم الغزو خلال فترة البدر في شهر يوليو أو أن أمكن خلال هذه الفترة من شهر يونيو ، وبالفعل بدأت عملية الهبوط من الجيو ليلة التاسع من يوليو ، كما بدأ النزول من البحر في صباح العاشر من الشهر نفسه .

وفي أثناء ذلك أثير موضوع ديجول ، فقد أزال مصرع دارلان على الرغم من وحشيته عقبة من طريق الحلفاء ، إذ حررهم من مشكلة التعاون معه ، وقد انتقلت سلطاته بيسر الى المنظمة التي تم تكوينها بالاتفاق مع الأمريكيين خلال شهرى نوفمبر - ديسمبر ، وملا جيو والفراغ الذي خلفه دارلان ، وأصبح الطريق ممهدا أمام القوات الفرنسية في شمالى افريقيا وغربها ، للانضمام الى حركة فرنسا الحرة التي يتزعمها ديجول ، لكي يجتمع شمل الفرنسيين في العالم بعيدا عن السيطرة الألمانية ، وكنت شديد الرغبة في ذلك الآن لدعوة ديجول الى الحضور ، وقد وافقنى الرئيس على رأى هذا ، وطلبت من المستر روزفلت أن يبرق اليه داعيا اياه للحضور ، ولكن الجنرال رفض تلبية الدعوة عدة مرات ، وهنا طلبت من ايدن أن يضغط عليه بشدة حتى ولو اضطر الى تهديده بأنه في حالة اصراره على عدم الحضور ، فاننا سنجد أنفسنا مضطرين الى وجوب استبداله بأخر على رأس حركة التحرير الفرنسية في لندن ، وقد وصل أخيرا في الثانى والعشرين من يناير ، وفي الحال هبىء له المنزل المجاور لبيت الجنرال جيرو ، ولما كان غير راغب في زيارة جيرو فقد انقضت عدة ساعات قبل أن نتمكن من اقناعه بالاجتماع به ، وبعد ذلك اجتمعت بديجول في جو عاصف فأوضحت له بأنه اذا استمر على وضع العراقيل في طريقنا فاننا لن نتردد على قطع كل علاقتنا به ، وقد ظل صامدا في موقفه ، وخرج من حجرتى الى الحديقة شامخا بأنه ، الا أن رجائنا تمكنوا أخيرا من اقناعه بالتحدث الى جيرو ، وقد استغرق الاجتماع ساعتين أو ثلاثا ، واتفقا فيما بينهما على كل شيء ، وتوجه بعد ظهر ذلك اليوم لمقابلة الرئيس ، وقد سررت جدا لأن الرجلين تفاهما تماما بصورة لم تكن نتوقعها ، وقد استهوت الرئيس تلك « النظرة الروحية في عين الرجل » الا أنه لم يكن في وسعنا أن نصل بهما الى اتفاق .

وسيجد القارىء في صفحات هذا الكتاب ، بعض البيانات القاسية عن ديجول مستمدة من أحداث الساعة ووقائعها ، ولأريب أننى لقيت من الرجل مشكلات مستمرة ، إذ أثار لى الكثير من المتاعب والخلافات ، ولكن علاقتنا ظلت باقية تحت سيطرة عنصر قوى ، فلم يكن في وسعى أن أعتبره ممثلا لفرنسا الأسيرة والخائفة ولا حتى لفرنسا التي كان من حقها أن تقرر لنفسها حرية المستقبل الذي تريده ، وكنت أعرف أنه لا ينطوى على أى شعور بالصدقة لانجلترا ، الا اننى كنت أرى فيه دائما تلك الروح وذلك المفهوم الذي ستحملهما فرنسا أبدا الأبدى عبر صفحات التاريخ ، وكنت أحب فيه هذا المظهر المتعجرف وأعجب به وان كنت اتضايق منه فهو هنا لاجئ ومنفى من بلاده لهندور حكم الاعداء ضده ، وكان في وضع يعتمد فيه كل الاعتماد

على نوايا الحكومة البريطانية الطيبة ، وعلى نوايا الحكومة الأمريكية أيضا في الوقت الحاضر ، وقد احتل الألمان بلاده ، وليس له موطئ قدم حقيقى فى أى مكان ، ومع ذلك فهو يتحدى كل انسان ، وكان يبدو لى حتى فى أسوأ حالاته وتصرفاته معبرا عن شخصية فرنسا ، تلك البلاد العظيمة بكل كبريائها وعظمتها وطموحها ، وكان يقال استهزاء به وسخرية منه انه يعتبر نفسه ممثلا حيا لجان دارك ، التى قيل أن أحد أجداده قد عمل معها ، ولكنى لم آكن أرى فى مثل هذا القول موضعا للغرابة ، كما كان يقال انه يحاول التشبه بكليم:صو ، ولكن هذا كان أكثر منه حكمة وأوسع خبرة فى الشؤون السياسية ، ولكن الرجلين كانا من الفرنسيين الذين لا يخنعون ولا يستكينون .

وهناك نقطة أخرى تستحق الذكر ، فقد بعثت الى وزارة الحرب تقريراً بما يلى :

« لقد اقترحنا اعداد بيان عن أعمال المؤتمر ، لاذاعته عن طريق الصحافة فى الوقت المناسب ، ويسرنى أن اعرف رأى وزارة الحرب فى أن يتضمن هذا البيان اعلانا من جانب الولايات المتحدة والامبراطورية البريطانية يؤكد عزمها على المضى فى الحرب قدما ودون هواده الى أن تستسلم المانيا واليابان استسلاما مطلقا بلا قيد أو شرط ، وإذا حذفنا ايطاليا فقد يشجعها هذا الاغفال على الخروج من الحرب ، وقد جذب الرئيس الفكرة ، ولا ريب انها تستثير أصدقاءنا فى كل مكان »

ويهمنى أن يلاحظ القارىء ، أن استخدام الرئيس لعبارة « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » عند اجتماعه التالى برجال الصحافة ، قد أثار قضايا سيتكرر ظهورها فى هذه القصة ، وستكون موضع الجدل والنقاش لمدة طويلة ، فهناك مدرسة فكرية فى كل من إنجلترا وأمريكا ، قالت ان هذه العبارة قد اطالت أمد الحرب ، وكانت عاملا مساعدا للديكتاتوريين ، فى الدفع بشعوبهم وجيوشهم الى حالة اليأس والقنوط ، لكننى لم اوافق هذه المدرسة الفكرية على رأيها ، لأسباب سأعرضها فى سياق هذه القصة ، ولما كانت الذاكرة تخون المرء أحيانا فمن الخير كل الخير أن أسرد الحقائق كما وردت فى سجلاتى ووثائقى .

هذا وقد دونت وزارة الحرب فى سجلاتها ، أن هذا الموضوع أثير فى الجلسة التى عقدتها ظهر اليوم العشرين من يناير ، وقد اتجه النقاش لا الى عبارة الاستسلام بلا قيد ولا شرط من ناحية المبدأ ، بل الى استثناء ايطاليا منه وقد بعث اليينا المستر اتلى والمستر آيدن فى الحادى والعشرين من الشهر بالرسالة التالية :

« استقر رأى الوزارة على أن سيئات استثناء ايطاليا أكثر من حسناته ، نظرا لما قد يثيره هذا الاستثناء من مخاوف حتمية فى تركيا والبلقان وغيرهما ، يضاف الى ذلك عدم الاقتناع بأن أثر الاستثناء سيكون نافعا ومجديا لاطاليا ، فمعرفة الشعب الايطالى بكل ما سيلقاه من قسوة وشدة سيكون أكثر تأثيرا على معنوياته من مثل هذا الاستثناء »

ولهذا فان وزارة الحرب لم تعرب عن عيـدم موافقتها على عبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » المقترح تضمينها في بياننا المشترك الذي كنا في سبيل اعداده ويتضح من هذا جليا أن رغبة وزارة الحرب كانت في عدم استثناء ايطاليا من هذا الشرط ، ولا أذكر كما لا تشير وثائقى الى أنه قد دار الحديث بينى وبين الرئيس حول هذا الموضوع بعد أن وصلتني رسالة وزارة الحرب ، ومن المحتمل أن يكون ضغط العمل ، ولاسيما بحث العلاقات بين جيرو وديجول ، واجتماعاتنا بهما قد صرفنا عن هذا الموضوع ، وقد كان مستشارونا ورؤساء أركان الحرب في هذه الاثناء يشرفون على اعداد البيان المشترك الذى جاء وثيقة رسمية أعدت بعناية فائقة ، حيث نالت موافقتنا أنا والرئيس بعد أن قمنا بدراستها ، ومن المحتمل ، أنه بسبب عدم رغبتى في تطبيق « الاستسلام بلا قيد أو شرط » على ايطاليا ، أثنى لم أثر هذا الموضوع من جديد مع الرئيس ، وجاء البيان خاليا من أى ذكر لعبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » ولما عرضته على وزارة الحرب ، وافقت عليه في صيغته النهائية .

ولذلك فقد دهشت جدا ، عندما سمعت الرئيس يتحدث بعد ذلك في مؤتمره الصحفى في الرابع والعشرين من يناير ، ويقول اننا سنفرض « الاستسلام بلا قيد أو شرط » على جميع أعدائنا ، حيث كان من المفروض أن البلاغ الذى اتفقنا عليه قد نسخ ما قبله من أحداث ، وقد دهش أيضا الجنرال ايسماى لانه كان يعرف ما يدور بخلفى ، والذى شهد جميع المحادثات التى دارت بين رؤساء أركان الحرب عندما تم اعداد البلاغ ، ولذلك فانه عندما ألقى خطابى بعد الرئيس « في المؤتمر الصحفى » كان لزاما على أن أؤيده تمام التأييد ، وأن أوافق على كل كلمة قالها ، لان كل خلاف بيننا حتى ولو كان غير مقصود ، سيؤثر في مثل هذه الظروف تأثيرا سلبيا وضارا بمجهودنا الحربى ، وهكذا فقد تحملت نصيبى من المسئولية بالاشتراك مع وزارة الحرب البريطانية .

وقد اتضح أن مذكره الرئيس لهوبكنز في هذا الصدد كان باتا ، فقد قال « لقد عانينا الكثير من المشقة في الجمع بين هذين الجنرالين الفرنسيين ، حتى بدا لى أن الجمع بينهما لم يكن أقل صعوبة من الجمع بين جرانت ولى « في الحرب الاهلية الامريكية » وفجأة وجدت أمامى المؤتمر الصحفى ، ولم يكن فى وسعى أنا وروستون أن نستعد له ، وسرعان ما طافت بخاطرى هذه الفكرة ، وهى أن جرانت قد طلب اليه فيما مضى « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » وفجأة ودون ما ارادة وجدت نفسى أنطق بهذه العبارة .

وقد تكون ذكريات الحرب جلية وواضحة ، ولكن يجب ألا يركن المرء اليها دون تثبيت أو تحقيق ، ولاسيما اذا كانت تتعلق بتسلسل الاحداث ولا ريب فى أنه قد صدرت عنى عدة بيانات خاطئة عن حادثة « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » ذلك لاننى كنت أقول ما يجوز بخاطرى واعتقده في تلك اللحظة دون الرجوع الى السجلات والوثائق ،

ولم اكن انا الوحيد الذى خاتمه ذاكرته ، ذلك لان المستر آرست بيغن
افضى بيان مزعج في الحادى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٩ في
مجلس العموم ، تحدث فيه عن المتاعب التى واجهته في اعادة بناء المانيا
بعد الحرب بسبب سياسة « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » لانه « كما
قال » لم يستشر هو ولا وزارة الحرب فيها عند اعلانها ، وقد رددت
عليه بيان في الحال لا يقل عن بيانه بعدا عن الدقة ولكن في حسن
النية ، فأعلنت اننى سمعت هذا الكلام لأول مرة على لسان الرئيس
في المؤتمر الصحفى الذى عقد في الدار البيضاء ، وعندما عدت الى
البيت في ذلك اليوم ، ورجعت الى وثائقى ، رأيت الحقائق التى سردتها
هنا ، وتذكرت في الحال قصة ذلك الاستاذ الذى اجتمع اليه طلابه
المخلصون عندما داهمته النية ، يطلبون منه نصيحته الاخيرة لهم
فقال : « تحققوا من الاقوال التى تقتبسونها » .

وعلى الرغم من أعجاب الناس بعبارة « الاستسلام بلا قيد أو
شرط » في حينها الا انها اعتبرت بعد ذلك لدى الكثير من الاوساط ،
كواحدة من الاخطاء العظيمة التى وقعت فيها السياسة الانجليزية -
الامريكية ، وأحرى بنا أن نتناولها بالبحث الآن ، فقد قيل انها كانت
سببا في اطالة أمد الحرب ، وأنا لا أعتقد في صحة هذا القول ، وكان
السبب الرئيسى « في معارضتى المستمرة في اصدار بيان آخر يتضمن
شروطنا للسلم وهو ما كان يلح علينا في اصداره » هو ما كنت
أعتقد به بأن أى بيان يتضمن الشروط الحقيقية والتى تصر عليها دول
الحلفاء الثلاث الكبرى والتى يفرضها الراى العام علينا ، ستكون قاسية
جدا . ولا يمكن أن نمحو من الأذهان عبارة « الاستسلام بلا قيد أو
شرط » خصوصا لدى الألمان ، واني لأذكر عدة محاولات جرت لوضع
منسودة شروط السلام التى يمكن أن يرضى عنها المحتلون لألمانيا ،
وقد بدت هذه الشروط لى مزعجة وقاسية عندما دونت على الورق ،
وفاقت في الحقيقة وفي قسوتها كل ما عمل حتى الآن ، حتى أن مجرد
نشرها كان كفيلا بأن يستثير المقاومة الالمانية .

وقد أوضحت في عدة بيانات عامة أفضيت بها ، بما انتويت أنا
والرئيس عمله فعلا .

وقلت في مجلس العموم في الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٤٤
ما يلى :

« ان اصطلاح عبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » لا تعنى
مطلقا أن الشعب الالمانى سيتعرض للاستعباد أو الدمار ، وان ما تعنيه
فعلا هو أن الحلفاء لن يكونوا ملزمين بأى شىء تجاه الألمان في لحظة
الاستسلام ، أو مقيدين بأى حلف أو التزام ، « والاستسلام بلا قيد
ولا شرط » يعنى أن المنتصرين سيكونون مطلقى الأيدى . ولكنه لا يعنى
اطلاقا أن من حققهم أن يسلكوا سلوكا وحشيا ، أو أن يمحووا أسيم
المانيا من خريطة أوروبا ، واننا سنحكم ضميرنا أزاء موقفنا من الحضارة
والمدينة ، ولن نلتزم بشىء تجاه الألمان نتيجة لآى عملية من عمليات
المساومة ، وهذا هو معنى « الاستسلام بلا قيد أو شرط » وبهذا
التفسير زال كل سوء فهم لدى الألمان عن هذا التعبير » .

وكان لزاما علينا أن نختتم مباحثاتنا ، فعقدنا آخر جلسة رسمية أخيرة مع رؤساء أركان الحرب في الثالث والعشرين من يناير ، عندما قدموا إلينا تقريرهم الأخير عن مشروع « إدارة دفعة الحرب في عام ١٩٤٣ » ويمكن تلخيص هذا التقرير على النحو التالي :

« يجب أن تظل المهمة الأولى للملقة على عاتق الأمم المتحدة أولا القضاء على الغواصات ، وثانيا مد القوات السوفيتية بأكثر كمية من المؤن التي يكون في وسعنا نقلها الى روسيا ، وأن تستهدف من العمليات الحربية في الجبهة الأوربية هزم ألمانيا في عام ١٩٤٣ ، بأقصى ما يمكن للأمم المتحدة أن تحشده من قوات ضدها .

وستكون الخطوط الرئيسية للهجوم على النحو التالي :

« في البحر الأبيض المتوسط »

أ - أن تستهدف من احتلال صقلية ما يلي :

١ - تأمين سلامة خطوط المواصلات في البحر الأبيض المتوسط .

٢ - تخفيف الضغط الألماني عن الجبهة الروسية .

٣ - تشديد الضغط على إيطاليا .

ب - بذل الجهود الممكنة الفعالة لدى تركيا حتى تكون حقيقة لنا .

« استمرار العمليات في المحيط الهادي والشرق الأقصى بقصد الضغط على اليابان ، الى أن نبدا الهجوم الكاسح عليها فوز هزيمة ألمانيا ، على أن تظل هذه العمليات في حدود النطاق الذي يشير به رؤساء أركان القيادة المشتركة ، أنه لن يؤثر على قدرة الأمم المتحدة عندما تحين الفرصة المناسبة لايقاع الهزيمة بألمانيا في عام ١٩٤٣ .

وأخيرا عقدنا مؤتمرا صحفيا صباح الرابع والعشرين من يناير حيث حضره ديجول وجيرو وجلسا في صف واحد معى ومع الرئيس روزفلت بعد أن أرغمناهما على أن يتصافحا أمام الجمهور وأمام حشد ضخم من رجال الصحافة والمصورين ، وقد تصافحا بالفعل ، وليس في وسع الانسان أن ينظر الى هذا الحادث حتى في مثل هذه الايام المليئة بالأماسى دون أن يضحك ، هذا وقد ظل وجودى أنا والرئيس روزفلت في الدار البيضاء سرا من الاسرار التي حوفظ عليها بكل دقة وعناية ، حتى أن رجال الصحافة عندما رأونا أمامهم لم يصدقوا عيونهم ، كما لم يصدقوا آذانهم عندما سمعوا أننا كنا هنا منذ أسبوعين .

وبعد هذا الزواج الاكراهي بين ديجول وجيرو - وهو الاسم الذي اطلقتها الصحافة الامريكية على هذا الحادث - والذي عانينا الكثير من المتاعب في سبيل تحقيقه ، ألقى الرئيس خطابه أمام رجال الصحافة وقد أبدته في كل كلمة قالها .

ولما استعد الرئيس لمغادرة المدينة ، قلت له ليس في وسعك أن ترحل ، بعد أن قطعت كل هذه المسافة الطويلة لتصل الى شمالى افريقيا ، دون أن ترى مدينة مراكش ، وطلبت منه أن نقضى فيها

يومين ، لنرى معا مغيب الشمس على ثلوج جبال الاطلس ، كما ألححت على هارى هوبكنز أيضا بقبول هذا الاقتراح وكان هناك منزل رائع للغاية ، لم أكن أعرف عنه شيئا ، حيث كان نائب القنصل الأمريكى المستر كنيث بيندار ، قد استأجره من سيدة أمريكية تدعى تيلور ، وكان واسعا يصلح لايوائى أنا والرئيس ، فضلا عما كان يحتويه من غرف خارجية لايواء أفراد حاشيتنا ، وهكذا تقرر أن نمضى جميعا الى مراكش ، وركبت أنا والرئيس سيارة واحدة قطعنا بها مسافة مائة وخمسين ميلا من الطريق الصحراوى بين الدار البيضاء ومراكش ، وكانت خضرة الربيع قد بدأت في الظهور ، قبل أن نصل الى هذه الواحة المشهورة ، وكنت دائما أصصف مراكش بأنها « باريس الصحراء » حيث تؤمها القوافل من جميع أنحاء افريقيا الوسطى منذ قرون طويلة ، لتدفع الجزيات الباهظة لقبائل الجبال قبل وصولها اليها ، حيث يستمتعون بمباهج الحياة في المدينة ، ومن بينها قراءة الطالع ، وسحر الافاعي ، والمطاعم والمشارب ، وكان لكل هذه المباهج في مراكش شهرة مدوية منذ أقدم العصور .

وأضيت مع الرئيس في السيارة زهاء خمس ساعات قطعناها في أحاديث مهمة تخللها بعض النكات ، في حين انتشر ألوف الجنود من الأمريكين على طول الطريق لحمايتنا من أى خطر ، كما ظلت الطائرات تحوم فوقنا بلا انقطاع حتى وصلنا في المساء الى المنزل ، حيث أقام لنا المستر بيندار وليمة عشاء كبيرة ، وصعدت مع الرئيس الى برج المنزل ، بعد أن حملوه في مقعده ، وجلسنا نستمتع برؤية مغيب الشمس وراء ثلوج جبال الاطلس ، ومعنا خمسة عشر أو ستة عشر شخصا وهم الذين حضروا معنا مأدبة العشاء ، وكان يعننا السرور والبهجة وأنشدنا جميعا أعذب الاناشيد ، وغنيت بمفردى ، في حين اشترك الرئيس مع فرقة « الكورس » ولما أراد الرئيس أن يغنى أغنية على انفراد منعه أحد رجال حاشيته .

ولما كان على الرئيس أن يغادر مراكش فجر اليوم الخامس والعشرين في رحلته الجوية الطويلة عن طريق لاغوس وداكار فالبرازيل ، ومنها الى واشنطن ، فقد افترقنا بعد أن ودعنا بعضا بعضا ليلة السفر ، ولكنه جاء في الصباح ، وهو في طريقه الى الطائرة ، ليكرر الوداع ، وكنت لا أزال في الفراش ، ولما كنت لا أسمح بأن يمضى وحيدا الى المطار ، فقد قفزت من الفراش ووضعت على وشاحي ، ومضيت بهذه الصورة غير الرسمية الى المطار ، ولما وصلت الى الطائرة ، رأيته يجلس في مقعده مرتاحا ، فاعجبت بما يبدو عليه من شجاعة على الرغم مما يعانيه من عاهة جسدية ، وفي الوقت نفسه كنت أشعر بالقلق من المخاطر التى سينخوض غمرتها في طريق عودته ، ولو اننا كنا متعودين على هذه الرحلات الجوية في أثناء الحرب ، الا اننى ظلت اعتبرها من المغامرات الخطرة دائما ، ولكن من حسن الحظ أن كل شيء سار على ما يرام ، ثم عدت الى المنزل بعد أن ودعته حيث قضيت يومين آخرين كنت فيهما على اتصال مستمر مع وزارة الحرب للتشاور حول حركاتي المقبلة .

تركيا. ستالينجراو-تونس

وقد طرأ على الوضع الاستراتيجي للحرب في البحر المتوسط ، تحول أساسي بسبب احتلال قوات الحلفاء للشمال الأفريقي واستيلائها على قاعدة ثابتة على شاطئ الجنوب ، أمكنها أن تجعل منها قاعدة إمامية للحركة ضد العدو في أوروبا ، ولما كنت أنا والرئيس نبحث منذ أمد طويل عن فتح طريق جديد لإمداد روسيا ، وتوجيه ضربة إلى جناح ألمانيا الجنوبي ، ولما كانت تركيا هي مفتاح جميع هذه الخطط ، فقد استهدفنا منذ عدة أشهر ، أن نقنع تركيا بدخول الحرب إلى جانبنا ، وكان هذا هو أملنا الجديد الآن لما لها من أهمية ومظهر بارز كل البروز لنجاح خططنا .

ولما كان ستالين متفقا معي ومع الرئيس على هذا الموضوع ، فقد صممت على أن أعالجه بنفسى ، في اجتماع أعقدته مع الرئيس أينونو على الأرض التركية ولما كانت هناك أيضا مشاغل عدة تنتظرني في القاهرة ، كما أملت في أن أزور الجيش الثامن في طريق عودتي إلى الوطن ، على أن تكون زيارتي له في طرابلس التي كاد يحتلها في ذلك الوقت ، ثم أقوم بزيارة الجزائر أيضا ، حيث كان هناك مشكلات كثيرة في وسعى أن أحلها في مكانها ، ولهذا فقد أبرقت من الدار البيضاء إلى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اقترح عليهما أن أطيروا من مراكش إلى القاهرة لأقضى بها يومين أو ثلاثة ثم اتصل اتصالا مباشرا بالاتراك .

وقد زدت وزارة الحربية بأنها تعتقد أن الاتصال المباشر بتركيا ما زال سابقا لأوانه ، وطلبت منى العودة مباشرة إلى لندن ، لأقدم تقريرا إلى البرلمان عن اجتماعي بالرئيس روزفلت ، ولكن بعد تبادل عدة برقيات وافقت الوزارة على خطتي ، وبعد أن تناولنا العشاء في منزل السيد بيندار في مراكش ، امتطينا الطائرة « الفدائي » مساء السادس والعشرين ، وقد نمت نوما عميقا ولما استيقظت عند الفجر وجدت نفسي أجلس في مقعد مساعد الطيار بجانب قائد الطائرة فاندركلوت ، أرقب معه للمرة الثانية شروق الفجر على مياه النيل ، ولم تكن في هذه المرة مضطرين إلى الهبوط بعيدا في اتجاه الجنوب ، لأن انتصارنا في العلمين كان قد جرف أعداءنا مسافة ألف وخمسمائة ميل إلى الغرب ، ونزلنا في المطار الذي يبعد عشرة أميال عن الأهرام ، حيث كان في انتظارنا السفير اللورد كليرن ورجال القيادة العامة في القاهرة ، واتجهنا قورا إلى السفارة ، حيث وجدت السير الكساندر كاوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية الذي أوفدته وزارة الحربية إلى القاهرة تلبية لطلبي ، وكان في وسعنا أن نقارن الآن بين أوضاعنا

الحالية ، وبين ما كنا عليه في شهر أغسطس عام ١٩٤٢ ، وأن نشعر
باحساس من الرضا والراحة .

وعندما وصلتني الرسائل التي تشير الى أن الرئيس التركي
عضمت اينونو قد أعرب عن سروره لفكرة الاجتماع المقترح ، واتخذت
الترتيبات لاعداده في « أطنه » على الشاطئ على مقربة من الحدود
التركية - السورية ، على أن يتم في الثلاثين من يناير ، توجهت في
طائرة « الفدائي » لمقابلة الزعماء الاتراك وقد قطعنا المسافة في أربع
ساعات ، ونحن نطير فوق البحر الأبيض المتوسط بالقرب من سواحل
فلسطين وسورية ، ومعنا طائرة أخرى استقلها كادوجان والجنرالات
بيروك والكساندر وويلسون وغيرهم من القادة والضباط ، وقد لقينا
بعض المشقة في أثناء الهبوط في ذلك المطار التركي الصغير ، وما كنا
ننتهي من مراسم الحفاوة والاستقبال ، حتى ظهرت مجموعة من
الدبابات المظلية بالميناء تزحف قادمة من الجبال ، تحمل الرئيس
التركي وجميع أعضاء حكومته والمارشال شاقماق ، وقد استقبلونا
بمتهنى الحفاوة والحماس ، واعدت لنا جملة عربات في القطار لنزلنا
واستراحتنا لعدم وجود مكان آخر قريب نستريح فيه ، وقد قضينا
ليلتين فيه ، حيث كانت تدور محادثات يومية طويلة مع الاتراك ،
وأحاديث ودية في أثناء وجبات الطعام مع الرئيس اينونو .

وقد دارت معظم المحادثات حول موضوعين ، أولهما ، بناء عالم
ما بعد الحرب وإقامة منظمة دولية ، وثانيهما ، مستقبل العلاقات
بين تركيا وروسيا ، وأرى أن أسرد هنا بعض الملاحظات التي تلوتها
على مسامع القادة الاتراك وفقا لسجلاتي الخاصة ، فقد ذكرت لهم
أنى اجتمعت بستالين ومولوتوف ، وأن الرجلين يرغبان في إقامة
ارتباط سلمى وودى مع المملكة المتحدة والولايات المتحدة ، حيث في
وسع الدولتين الغربيتين أن تقدمتا الكثير من العون في الحقل الاقتصادى
لروسيا ، ومساعدتهما لها في تعويض ما لحق بها من خسائر بالغة ،
ولو أننى ليس في وسعنى أن أتكهن بما سيقع بعد عشرين عاما ، إلا
أننا عقدنا مفاودة مدتها عشرون عاما مع روسيا ، لاعتقادى بأن
روسيا ستركز جهودها في السنوات العشر القادمة على إعادة البناء
والانشاء ، ولو أنه من المحتمل أن تقع فيها تبديلات أساسية بسبب
أن الشيوعية نفسها قد تعرضت للتعديل ، وأنى لاومن بأن علينا أن
نعيش في علاقات طيبة مع روسيا .

واذا واصلت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة العمل متعاونتين
واحتفظتا بقوة جوية متفوقة ، ففى وسعهما أن تضمنا بقاء فترة طويلة
من الاستقرار ، ولا ريب فان روسيا ستستفيد من هذا الوضع ، لان
لديها مناطق شاسعة متخلفة تفتقر الى التطوير ولاسيما في سيبيريا .

وقد لاحظ رئيس الوزارة التركية بأننى أعربت عن رأى فى أن
روسيا قد تصبح من الدول الاستعمارية ، ولما كانت مثل هذه الملاحظة
جديرة بأن تحمل تركيا على التحفظ والحيلة والحذر ، فقد أجبته
بأن منظمة عالمية ستقوم وستكون مسئولة عن الحفاظ على السلم

والسلامة ، وستكون أقوى من عصبة الأمم السابقة ، وأضفت بأننى لا أخشى شيئا من الشيوعية ، فقال رئيس الوزارة التركية ، أنه يتطلع الى شيء أكثر واقعية ، فأوروبا ملأى بالسلاف والشيوعيين ، ومن المتوقع أن تتحول جميع الدول المهزومة الى البلشفية والسلافية اذا هزمت ألمانيا ، وقد رددت عليه بأن الأمور لا تسير دائما الى الاسوأ ، كما يتوقع الجميع ، وحتى اذا سارت الأمور على هذا النحو ، فمن الخير لتركيا أن تكون أقوى مما هى عليه الآن ، وأن تكون أوثق ارتباطا بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، واذا قدر لروسيا أن تهاجم تركيا دون أى سبب أو مبرر ، فإن المنظمة العالمية التى تحدثت عنها ستستخدم بأسرها للدفاع عن تركيا ، وستكون الضمانات بعد الحرب الراهنة أقوى وأشد من تلك التى كانت قائمة قبل الحرب ، لا بالنسبة الى تركيا فحسب ، ولكن بالنسبة الى أوروبا بأسرها ، وفضلا عن ذلك فلن أكون صديقا لروسيا اذا حاولت تقليد ألمانيا ، واذا ما حدث حذوها فان علينا أن نحشد ضدها أكبر عدد ممكن من الدول ولن اتردد عن قول هذا لستالين نفسه .

وفى الوقت الذى كانت هذه المحادثات السياسية ذات الطابع العام قائمة على قدم وساق ، فإنه كانت هناك مباحثات عسكرية أخرى يقوم بها رئيس أركان حرب الامبراطورية وغيره من القادة العسكريين البارزين ، وكانت النقطة الاساسيتان فى هذه المباحثات هما ، أولا - تزويد القوات التركية بما تحتاج اليه من عتاد قبل أن تتخذ تركيا أية خطوة سياسية بعدها ، ثانيا - اعداد الخطط لتعزيزها بالوحدات البريطانية فى حالة دخولها الحرب ، وقد تم صياغة نتائج هذه المباحثات فى اتفاق عسكرى أمكننا الوصول اليه .

وكان القصد من محادثاتي مع تركيا ، تمهيد الطريق امامها للاشتراك فى الحرب فى خريف عام ١٩٤٣ ، ولكن هذا لم يحدث ، حتى بعد انهيار ايطاليا وبعد زحف الروس على الالمان من البحر الاسود ، بسبب بعض الاحداث السيئة التى وقعت فى بحر ايجه فى زمن لاحق من ذلك العام ، وهى ما سأحدث عنها فى مكان آخر من هذا الكتاب .

وبعد ذلك طرت عائدا الى القاهرة بعد وقفة قصيرة فى قبرص ، ثم تابعت سبرى الى طرابلس ، وكان الجيش الثامن قد احتلها فى الوقت المحدود وهو الثالث والعشرون من يناير ، وعندما دخلت قواتنا المدينة وجدت ميناءها محطمة تماما ، كما سد مدخلها بالسفن الفارقة ، فى حين بثت فى المنافذ المؤدية اليها مئات الالغام ، وهو ما كنا نتوقعه فى مثل هذه الحالة ، ولذلك فإنه لم تدخل أولى سفن التموين الى الميناء الا فى الثانى من شهر فبراير ، بعد تطهيرها من الالغام ، وبعد مضي أسبوع ، كانت البواخر تنزل ما جمولته الفا طن فى اليوم تقريبا ، وعلى الرغم من أنه ما زال أمام الجيش الثامن مسافات طويلة يتحتم عليه اجتيازها ، الا أن تموينه فى أثناء الزحف الذى امتد ألفا وخمسمائة ميل بعد العلمين ، والذى توجه فتح ميناء طرابلس بسرعة أمام سفن التموين وهو عمل ادارى رائع ، يرجع الفضل فيه الى الجنرال ليند

سبتيل الموجسود فى القاهرة والجنرال روبرتسون الذى كان يرافق الجيش الثامن ، ولم تحل نهاية الشهر ، حتى انضمت الى الجيش الثامن قوة فرنسية قوامها « ٢٥٠٠ » جندي من القوات المختلفة التابعة لفرنسا الحرة ، بقيادة الجنرال ليكليرك ، بعد أن قطعت مسافة ألف وخمسمائة ميل عبر الصحراء ، قادمة من افريقيا الاستوائية الفرنسية ، ووضع ليكليرك نفسه دون تحفظ تحت تصرف مونتيجومرى ، وقدر له ولقواته أن يلعبا دورا هاما فى المراحل المتبقية من الحملة التونسية .

وعندما اجتاز الجيش الثامن الحدود الى تونس فى الرابع من فبراير ، بعد أن تم الاستيلاء على امبراطورية ايطاليا الافريقية فقد أصبح منذ هذه اللحظة طبقا للقرارات التى اتخذت فى مؤتمر الدار البيضاء تحت قيادة الجنرال ايزنهاور مع تولى الجنرال اليكساندر بوصفه نائبا له فى القيادة التنفيذية للعمليات البرية ولعل القارىء يذكر التوجيه الذى كنت قد بعثت به الى اليكساندر عشية مغادرتى القاهرة قبل نحو من ستة أشهر ، وقد بعث الى الآن بالرد التالى :

سيدى :

« - لقد نفذت الاوامر التى أصدرتها الى فى العاشر من أغسطس عام ١٩٤٢ ، وقد تم القضاء على جميع أعداء جلالته ، وما كانوا يضعونه من عوائق فى مصر وبرقة وليبيا وطرابلس ، وهأنا الآن فى انتظار أوامر جديدة منك »

وبعد أن قضينا يومين ، أقلعت من طرابلس لزيارة ايزنهاور وصحبه فى الجزائر ، وكان التوتر هنا شديدا ، فافتتال دارلان ، كان لا يزال يفرض الكثير من الاحتياطات لحماية جميع الشخصيات البارزة ، ونظرا لما أبدته وزارة الحرب من قلق على سلامتى واظهارها رغبتها فى أن تعود الى الوطن فى أسرع وقت ممكن - وطبعاً كان فى هذا الكثير من المجاملة - فقد طرنا ليلة الاحد السابع من فبراير عام ١٩٤٣ هائدين وأسا وبسلام الى الوطن . وكانت هذه هى المرة الاخيرة التى طرت فيها فى طائرة « الفدائي » لأنها سقطت فيما بعد ، وقتل كل من كان فيها ، ولو أنهم كانوا غير معروفين لى .

وكان أول واجب على بعد عودتى الى الوطن ، هو أن أفضى ببيسان مسهب أمام مجلس العموم ، من مؤتمر الدار البيضاء ، وعن رحلتى فى البحر الابيض المتوسط ، وعن الوضع بصورة عامة ، وقد استغرق القاء الخطاب الذى أعدته فى الحادى عشر من فبراير أكثر من ساعتين ، ويبدو أنه كان يلوح على الاعياء من رحلتى ، حيث قد أصبت ببرد فى أثنائها ولم تمض بضعة أيام حتى كنت طريح الفراش ، أعانى من زكام شديد مصحوب بالتهاب فى الحنجرة ، وفى مساء السادس عشر من الشهر وقد كنت وحيدا مع زوجتى ، ارتفعت حرارتى ارتفاعا مفاجئا ، وقرر اللورد موران الذى كان يتولى علاجى فى ذلك الوقت أننى مصاب بالتهاب فى الجزء الاسفل من الرئة وقد وصف لى الدواء

المسمى (ا م . اند . بى) وفى اليوم التالى عملت لى أشعة اثبتت صحة تشخيصه واستدعى الدكتور جيوفرى مارشال طبيب مستشفى « جاى » للاشتراك فى المشاورة الطبية ، وكنت على الرغم من سوء حالتى ، أتتبع الاحداث وكانت تصلنى الاخبار وأنا فى الفراش ساعة بعد ساعة ، فأقوم بتصريفها كالمعتاد ، وعندما شعرت بنقص ملحوظ فى عدد الاوراق التى تصل الى لابداء رأى فيها ، احتججت على ذلك ، فأكد لى الاطباء وقد انضمت اليهم زوجتى ، وجوب انصرافى عن العمل كلية ، ولكننى ما كنت لوافقهم على ذلك ، لولا أنهم ابلغونى انى أعانى من ذات الرئة ، فقلت لهم « ولكن فى وسعكم علاجها ، أستم واثقين من علاجكم الجديد ؟ » فقال الدكتور مارشال ، أنه يطلق على ذات الرئة اسم « صديقة الرجل العجوز » وعندما سألته عن السبب ، قال « لانها تمضى بالرجال الطاعنين فى السن من هذه الحياة بهدوء » وقد رددت عليه ردا مناسبا ، ولكننا اتفقنا على أن تصل الى الأوراق المهمة والمباشرة فقط ، وأن أنصرف الى مطالعة احدى الروايات ، وقد اخترت روايات « مون فلاندرز » التى كنت قد سمعت الكثير عنها ، دون أن يتوافر لدى الوقت لقراءتها والحكم عليها ، وهكذا قضيت أسبوعا ثانيا أعانى فيه من وطأة الحمى والالام ، وهكذا لم يتيسر لى كتابة مذكراتى فى المدة من ١٩ الى ٢٥ من فبراير ، وقد أبرق الى الرئيس روزفلت والجنرال سمطس وغيرهما من الاصدقاء الذين علموا نبأ مرضى ، طالبين أن أطيح أوامر الاطباء وفعلا قد نفذت أوامر الاطباء ، وعندما انتهيت من قراءة الرواية التى كنت أقرأها ، أعطيتها للدكتور مارشال ليقرأها ، وفى الوقت نفسه كان قد تم شفائى .

هذا وقد بعث الى ستالين فى هذه الفترة ، شريطا سينمائيا عن انتصار ستالينجراد ، وقد صور تصويرا رائعا كل مدار من قتال يائس . وأرى أن الوقت قد حان للتحديث بايجاز واختصار عن ذلك الكفاح الحاسم الرائع الذى خاضته الجيوش الروسية .

وكان قد اشتد زحف الالمان فى اتجاه القوقاز فى أثناء صيف عام ١٩٤٢ وخريفه . ومضت الامور فى البداية وفق الخطة المرسومة ، وأن كانت لم تتم بالسرعة الكبيرة التى كان يأملها الالمان ، وقد تمكنت مجموعة الجيوش الالمانية الجنوبية من اخراج الروس من منحدرى حوض نهر الدون الاسفل ، هذا وقد انقسمت مجموعة الجيوش الالمانية بعد ذلك مجموعتين ، الاولى ويقودها ليست ، والثانية يقودها يوك ، وفى الثالث والعشرين من يوليو عهد هتلر الى كل من المجموعتين بالمهمة الموكولة اليها ، حيث كان على المجموعة الاولى أن تحتل السواحل الشرقى للبحر الاسود بكامله وذلك بالاضافة الى حقول البترول القريبة ، وأن تتقدم المجموعة الثانية بعد اقامة جناح دفاعى على حوض الدون متجهة الى ستالينجراد ، وأن تحطم قوات العدو المتجمعة فيها وتحتلها ، كما قرر هتلر أن تقوم القوات العاملة فى جبهة موسكو بالضغط عليها ، فى حين تحتل قوات جبهة ليننجراد المدينة فى مستهل شهر سبتمبر .

كما زحف جيش الصاعقة بقيادة الجنرال فون كلايست والمؤلف

من ١٥ فرقة مدرعة على القوقاز ، وذلك بعد أن عبر نهر الدون وقطع مسافة كبيرة. دون أن يلقى أية مقاومة تذكر ، وقد وصل الجيش الزاحف إلى حقول البترول في ميكوب ، ولكنه فشل في الوصول إلى حقول غرزوني ، أما حقول باكو ذات الأهمية الكبيرة فكانت لا تزال تبعد ثلثمائة ميل ، كما أن القادة الألمان لم يستطيعوا احتلال ساحل البحر الأسود بأكمله تنفيذا لأوامر هتلر ، حيث صمد الروس في كل مكان بعد تعزيزها بقوات جديدة وصلت بسرعة عن طريق السكة الحديدية على ساحل بحر قزوين الغربي في حين لحق الضعف والاعياء بكلايست بسبب تحويل القوات إلى جبهة ستالينجراد ، بعد أن ظل يكافح ويجالد وسط جبال القوقاز حتى شهر نوفمبر عندما داهمه الشتاء ، وكان قد استنفد قواه كلها .

أما المجموعة الثانية ، فقد عانت من مرارة الفشل ، وكان سحر اسم ستالينجراد يستهوي هتلر ، لأنها كانت إحدى مراكز الصناعة الهامة فضلا عن أنها كانت نقطة دفاع قوية في الجناح الدفاعي ضد اندفاع قوات هتلر الرئيسية في اتجاه القوقاز ، وأصبحت ستالينجراد عبارة عن مغناطيس يجذب إليه كل ما لدى الجيش الألماني والقوة الجوية من عزم ومجهود ، هذا وقد أخذت المقاومة تشتد يوما بعد يوم ، حتى أن الألمان لم يتمكنوا من الوصول إلى ضواحيها إلا في الخامس عشر من سبتمبر بعد معارك ضارية في المنطقة الواقعة بين نهري الدون وال فولجا ، كما استمرت هجماتهم طيلة الشهر التالي التي تحقق بسببها بعض التقدم مقابل خسائر فادحة ، ومع هذا فلم تستطع أية قوة من التغلب على الروس الذين كانوا يقاتلون بحماس وإخلاص وسط خرائب مدينتهم ، ولذلك فإن الجنرالات الألمان بدعوا يشعرون بالقلق ويعسرون بالفرع والانزعاج ، لأنه بعد أن مضت ثلاثة أشهر من القتال كانت لا تزال الأهداف الرئيسية للحملة وهي « القوقاز وستالينجراد ولينينجراد » في أيدي الروس ، بينما كانت خسائرهم فادحة وكان تعويضها متعذرا ، وكان هتلر بدلا من أن يرسل وحدات جديدة لتعويض الخسائر التي منيت بها الفرق العاملة هناك ، يشكل فرقا جديدة تفتقر إلى التدريب ، وكانت سلامة التقدير العسكري تتطلب في ذلك الوقت وقف الزحف ولكن الرجل المغامر لا يصغي إلى صوت العقل ، ولذلك فقد اضطر هولدر رئيس أركان حربه إلى أن يعارضه معارضة شديدة وذلك في نهاية شهر سبتمبر ، فكان جزاؤه الطرد من منصبه ، واستمر هتلر يدفع بجيوشه إلى الأمام .

وفي منتصف شهر أكتوبر ساء وضع الجيوش الألمانية سوءا ظاهرا ، حيث كانت المجموعة الثانية منتشرة على جبهة تمتد سبعمائة ميل ، وكان الجيش السادس الذي يقوده الجنرال باولوس قد أنهدت قواه وغدا منهوكا ومتعبا وكانت لا تحمي جناحاه إلا قوات ضعيفة من جيوش حليفة مشكوك في صلاحيتها ، وكان فصل الشتاء قد اقترب ، وأصبح هجوم الروس المضاد متوقعا في كل لحظة وإذا لم يكن في الامكان الاحتفاظ بجبهة الدون ، فإن سلامة الجيوش العاملة في القوقاز ستفاد مهددة إلى أقصى حدود التهديد ، ومع هذا فإن هتلر كان يرفض البحث

في أي اقتراح يقضى بالانسحاب ، وفي التاسع عشر من نوفمبر شرع الروس في هجومهم التطويقي الذي أعدوا له ببسالة منذ عهد طويل ، مستهدفين شمالى ستالينجراد وجنوبيها ، لتحطيم الجناحين الالمايين الضعيفين ، والتقى طرفا « الكماشة » الروسية بعد أربعة أيام وبذلك وقع الجيش المانى السادس فى الفخ بين الدون والفولجا ، ولما حاول الجنرال باولوس خرق الحصار المضروب حوله ، أصدر اليه هتلر أمرا بانصمود مكانه ، وبمضى الايام أخذ الضغط يشتد على الجيش المحاصر ، وأخذت شقة الارض التى يحتلها تضيق شيئا فشيئا وفى الثانى عشر من ديسمبر حيث كان الطقس باردا جدا قام الالمان بمحاولة يائسة لتحطيم الحصار الروسى وانقاذ رفاقهم المحصورين ولكن المحاولة منيت بالفشل ، وعلى الرغم من أن باولوس وجيشه قد صمدا بعد ذلك التاريخ مدة سبعة أسابيع ، الا أن مصيرهما قد تقرر بعد تلك المحاولة العاشلة

وقد بدأت محاولات جبارة لتمزيق جيش باولوس من الجو ، ومع هذا فلم يصل اليه الا قليل من المؤن بعد خسائر جوية فادحة ، وقد اشتد البرد الى حد مخيف ، ونفدت المواد الغذائية والذخائر ، وزاد انتشار وباء التيفود بين الجنود الذى كان سببا كبيرا فى متاعب الجيش وشقائه ، ومع هذا فقد رفض الجنرال باولوس فى الثامن من يناير انذارا نهائيا روسيا بالاستسلام ولذلك فان الروس قد شرعوا فى اليوم التالى بالهجوم العنيف من الغرب وقاتل الالمان ببسالة ومع ذلك فلم يستطيعوا احتلال خمسة أميال الا فى بحر عدة أيام .

وأخيرا بدأت القوات الالمانية تتحطم ، ولم يحل السابع عشر من يناير حتى كان الروس قد غدوا على بعد عشرة أميال من ستالينجراد نفسها ، ثم قذف باولوس فى المعركة بكل رجل قادر على حمل السلاح ، ولكن محاولته ذهبت ادراج الرياح ، واندفع الروس فى الثانى والعشرين من جديد ، مما اضطر الالمان الى التراجع الى ضواحي المدينة التى حاولوا احتلالها ، وهكذا أصبحت بقايا جيش عظيم محصورة فى مستطيل طوله ثمانية أميال وعرضه أربعة ، وصمد الباقون تحت وطأة نيران المدفعية الحامية والقارات الجوية المستمرة فى قتال يدور فى اشوارع وقد ازدادت حالتهم سوءا ، حتى انه عندما واصل الروس ضغطهم عليهم ، بدأت هذه الوحدات المنهكة تستسلم بالجملة ، وأسرى باولوس ورجال أركان حربه وأبرق الماريشال فوردلوف فى الثانى من فبراير يقول ان المقاومة قد توقفت وان عدد الاسرى بلغ تسعين ألف رجل ، وكانوا هم كل ما تبقى من جيش كان تعداده احدى وعشرين فرقة ألمانية وفرقة واحدة رومانية ، وهكذا انتهت محاولة هتلر لاحتلال روسيا عنوة ، وتحطيم الشيوعية ليحل محلها نوع من الحكم لا يقل عنها غرابة فى الطغيان الجماعى ، وسجل ربيع عام ١٩٤٣ ، نقطة التحول فى الحرب على الجبهة الشرقية ، وكان المدد الروسى المتزايد حتى قبل معركة ستالينجراد نفسها ، قد دفع بالالمان الى الوراء على طول الجبهة ، وتم سحب الجيش الالمانى بمهارة ونجاح من القوفاز ، ولكن الروس واصلوا الضغط على العدو ، واخرجوه من حوض الدون الى ماوراء حوض الدوننتز ، وهبو خط البداية فى الهجوم الذى شرع فيه هتلر فى الصيف

الماضي ، كما خسر الالمان الاراضي التي كانوا احتلوها في الشمال ، واصبحوا على بعد يزيد على المائتين وخمسين ميلا من موسكو ، كما تحطم الحصار المضروب على ليننجراد ، ومنى الالمان واتباعهم بخسائر ضخمة في الرجال والمعدات ، كما أنهم فقدوا تفوقهم على الرورس برا ، وكان عليهم أن يحسبوا الان حسابا للقوة الجوية البريطانية المتزايدة والعاملة من بريطانيا وافريقيا في وقت واحد .

الا أن النصر لم يدخل البهجة والسرور على نفس ستالين ، ولو أنه حضر مؤتمر الدار البيضاء ، لأمكن للحلفاء الثلاثة أن يضعوا خطة مشتركة معا ، وبما أنه لم يحضر فقد اتفقنا على ابلاغ قراراتنا اليه بوساطة البرقيات ، وعندما عدت الى الوطن ، بعثت اليه بموافقة الرئيس على الايضاحات الاضافية عن خططنا ، وأكدت له فيها أننا سنحرر تونس في شهر ابريل ثم نستولي على صقلية ، كما أننا سنزحف بجيوشنا لعبور المانش في شهر أغسطس أو سبتمبر ، وقد رد على بقوله اني لا أرى بي حاجة الى القول بأن تأخير احتلال تونس الى شهر ابريل بدلا من فبراير قد خيب الامل الى حد كبير ، كما أنه طالب بفتح الجبهة الثانية (غزو فرنسا) في موعد أقرب من شهر أغسطس ، حتى لا نعطي للعدو أية راحة ، ولأنه يرى أن توجيهه لضربة اليه من الغرب في الربيع أو في مستهل الصيف هي من الاهمية بمكان عظيم .

كما أبرق الى في الخامس عشر من مارس يقول « مع ادراكي تمام الادراك مالصقلية من أهمية الا أنه لايمكن الاستعاضة بها عن الجبهة الثانية في فرنسا ، وأرى من واجبي تحذيركم تحذيرا شديدا ماسترتب عليه من أخطار على قضيتنا المشتركة اذا تأخر فتح الجبهة الثانية في فرنسا ، وهو يثير القلق الشديد في نفسي واجدني عاجزا عن السكوت عليه . »

وكان من الواضح ، أن أقصى عون فعال يمكن لنا أن نقدمه الى الروس هو الاسراع في تطهير شمالي افريقيا من قوات المحور ، وتوسيع نطاق الحرب الجوية على ألمانيا ، الا أنه على الرغم من أن زحفنا من الشرق قد فاق في سرعته ما كنا نتوقعه ، فقد ظل وضع الحلفاء باعثا على القلق ، وكان قد أعيد تسليح مالطة ومدنها بالمؤن ولذلك فقد قفزت من جديد الى مسرح النشاط والعمليات ، وكانت قواتنا البحرية والجوية التي تعمل من قواعدنا الجديدة في الجزائر وبرقة ، تجوب مناطق واسعة وتحمي طرق الحلفاء البحرية ، وتنزل بتمرينات العدو ونجدانه أفدح الخسائر ، وبالإضافة الى فرض الحصار على تونس ، حيث كان السلاح الجوي الألماني لايزال قويا ، فقد أخذت طائراتنا تصل الى مواني إيطاليا ، وبدأت باليرمو ونابولي وسبيزيا تحس بوطأة الغارات الجوية مع زيادتها يوما بعد يوم وذلك بالإضافة الى الغارات التي كانت تشنها قاذفانا العاملة من وطننا على المدن الواقعة في شمالي إيطاليا ، كما أن الاسطول الإيطالي لم يحاول أن يتدخل ، لما كانت تعانيه إيطاليا من أزمة في الوقود ، بالإضافة الى وجود الاسطول البريطاني وقد انقضت عدة أيام ، خلت فيها جزيرة صقلية من الوقود اللازم للبواخر التي تتولى حراسة نقل المؤن والعتاد الى تونس .

لكن كل هذه المظاهر ، لم تكن كافية لاختفاء الحقيقة الواقعة ، وهي اننا قد استنفدنا كل مالدينا من جهد في اثناء المحاولة الفاشلة التي قمنا بها في شهر ديسمبر لاحتلال تونس ، وعلى الرغم من ان هتلر كان عاجزا عن حماية الممر القصير الذي يصل تونس بجزيرة صقلية ، الا انه امر باعداد جيش جديد لمواجهة « الهجومين المتوقعين في كل لحظة من الشرق والغرب ، وفي ذلك الوقت عهد الى رومل بقيادة جميع قوات المحور ، فحشد فرقتين المائيتين مدرعتين شرقى فايد ليقتذف بالفيلق الأمريكى المواجه الى الورا ، وليحول بينه وبين الهجوم على جناحه ومؤخره ، عندما يشترك في معركة حامية مع الجيش الثامن ، الذى كان يواصل ضغطه من الشرق ، وبدأ الهجوم الالماني في الرابع من فبراير ، وكانت قيادتنا قد اخطأت التقدير ، اذ حسبنا ان الهجوم الرئيسى سيأتى من ناحية « فندق » لا من ناحية فايد ، ولهذا فقد تفرقت الفرقة الأمريكية المدرعة الاولى التى يتولى قيادتها الجنرال اندرسون ، فلم يحل السابع عشر من فبراير حتى كانت « القصرين وقربانه وسبيطله فى أيدي الألمان ، واندفع رومل بعد ذلك فى اتجاه الشمال ، فى قتال عنيف ، ولم يحل ظهر الثانى والعشرين من فبراير حتى كان رومل قد بدأ يتراجع تراجعاً منظماً ، وعاد خطنا الدفاعى الى ماكان عليه فى السابق ، ولكن رومل لم ينته بعد ، اذ لم تمض أربعة أيام حتى عاد يشن سلسلة من الهجمات القوية على جبهة الجيش الخامس البريطانى ، الا أنه صد دون أن يحقق أى مكاسب ذات قيمة ، اما الى الشمال فقد كسب عدة أميال من الارض ، واضطرت قواتنا عند الساحل الى التراجع مسافة عشرين ميلا الى الورا ، ثم صمدت فى مواقعها الجديدة .

وتولى الجنرال اليكساندر فى الأسبوع الاخير من شهر فبراير قيادة الجبهة كلها ، وتولى مريشال الجوتبدر فى الوقت نفسه طبقاً لقرارات الدار البيضاء قيادة القوات الجوية الحليفة ، وكانت معركة تونس قد بلغت الآن قممتها ، وشن رومل فى السادس من مارس أربع هجمات رئيسية على الجيش الثامن الزاحف ، مستخدماً كل مالدیه من دبابات « ثلاث فرق مدرعة » ، ولكن هذه الهجمات صدت كلها بخسائر فادحة ، ولاريب فى ان هذه الهزائم كانت أعظم مامنى به رومل من نكسات فى الحرب الافريقية كلها ، كما كانت فى الوقت نفسه آخر ما قام به من عمل عسكري هناك ، فقد نقل عيليا الى ألمانيا ليخلفه أرنيىم فى قيادته .

وواصل الجيش الثامن زحفه الى الامام ، ليطبق على مواقع العدو الرئيسية فى خط ماريت وهو خط محصن ومنظم كان الفرنسيون قد أقاموه على طول عشرين ميلا قبل الحرب لمنع الايطاليين من الهجوم على تونس ، وهامهم اولاء الايطاليون يمائون هذا الخط ويحصنونه ضد البريطانيين ، وكنا فى حاجة الى أسبوعين لاعداد العدة للهجوم على مثل هذه الخطوط الدفاعية المحصنة ، ووجهنا ضربتنا فى الأسبوع الثالث من شهر مارس ، وأحطنا بجناح العدو وفى السابع من أبريل وبعد قتال عنيف ، اتصلت دورية من الفرقة الهندية الرابعة بدورية من الفيلق الأمريكى الثانى وتبادلا التحية ، وهكذا فقد اتصل الجيشان

الليدان بدأ المعركة وبعد كل منهما عن الآخر ميلا على أقل تقدير ، كما هاجمت طائرتنا من قاذفات اللهب والطائرات الأمريكية « دور هول » قافلة جوية للعدو يربو عددها على المائة طائرة ٤ على مقربة من رأس بون ، فتفرقت بشدة مذبذبة ودمر أكثر من خمسة عشر طائرة منها ، وفي الثاني والعشرين من أبريل اشتعلت النيران في ثلاثين طائرة أخرى بينها عدد كبير من ناقلات الزيت ، وكانت هذه الضربة قاضية بالنسبة لعناد هتلر وأصراره على الاحتفاظ بموقع لا يستطيع البقاء فيه ولم تجرؤ أية طائرات لعدو بعد هذا التاريخ على أنطيران في أثناء النهار ، وكانت قد حملت أكثر من أربعين ألف رجل وأكثر من أربعة عشر ألف طن من المؤن الى أفريقيا .

وفي السادس من مايو ، شن اليكساندر هجومه العظيم ، وبذلت طائرات الحلفاء مجهودا هائلا ، فقامت بأكثر من ألفين وخمسمائة غارة في اليوم الواحد ، وكان سلاح المحور الجوي قد ضعف تدريجيا ، ولم يكن في وسعه أن يقوم في هذه الأزمة بأكثر من ستين غارة في اليوم ، ولذلك فقد اقتربت الأزمة من نهايتها ، بعد أن احكمنا الحصار بحرا وجوا ، والذي كان سببا في إيقاف حركات العدو منذ مدة طويلة ، كما أن مجهوده الجوي أخذ في التوقف ، وقد تمكن الفيلق البريطاني التاسع من خرق جبهة العدو ، كما عبرت الفرقتان المدرعتان وسط قوات المشاة المعادية الطريق الموصل الى ماسيكوت والواقعة في منتصف الطريق الى تونس ، وواصلت في اليوم الثاني ضغطها حتى تمكنت الفرقة المدرعة السابعة من دخول مدينة تونس في السابع من مايو ، ثم انطلقت شمالا للاتصال بالقوات الأمريكية الزاحفة شرقا ، وبعد أن انهارت المقاومة الألمانية أمام الجبهة الأمريكية الرئيسية كما وصلت الفرقة الأمريكية التاسعة الى بنزرت ، وهكذا تم تطويق ثلاث فرق ألمانية بوساطة قوات الحلفاء فاضطرت الى الاستسلام في التاسع من مايو .

وقد زحفت الفرقة المدرعة السادسة تتبعها الفرقة البريطانية الرابعة والفرقة المدرعة الأولى الى يمينها شرقا بعد أن عبرت مدينة تونس ، ولكن هذه القوات توقفت أمام مقاومة تم تنظيمها بسرعة على بعد بضعة أميال الى الشرق من المدينة ، إلا أن دباباتنا تمكنت من الزحف على الطريق الساحلي حتى وصلت الى الحمامات على الساحل الشرقي في مساء العاشر من مايو ، كما تقدمت في الوقت نفسه الفرقة الرابعة فالتفت حول شبه جزيرة رأس بون دون أن تلقى أية مقاومة ، وهكذا سقطت قوات العدو في الفخ .

وبعث الينا الجنرال اليكساندر في الحادي عشر من مايو ، يقول : « أتوقع أن تنتهي كل مقاومة منظمة للعدو في خلال الثماني والأربعين ساعة القادمة ، وأن تتم تصفية جميع قوات المحور بصورة نهائية في بحر يومين أو ثلاثة ، واعتقد أن عدد الأسرى حتى الآن قد تجاوز المائة ألف ، وأن كان هذا الرقم لم يتأيد بصورة رسمية بعد .

وكان الأميرال كاتنجهام قد أعد العدة لمواجهة انهيار العدو النهائي فأصدر أوامره الى جميع قواتنا البحرية بحماية مضائق

تونس والحيولة دون أية محاولة قد يقوم بها العدو للجللاء عن تونس كما فعلنا في دنكرك ، كما أصدر إليها أوامره أيضا في الثامن من مايو « بأن يغرقوا ويحرقوا ويدمروا وألا يتركوا شيئا للعدو يمر » وقد حاولت بعض الزوارق الفرار ولكنها وقعت جميعها في أيدينا وأغرقناها وقد تم اغلاق جميع الطرق في الثامن عشر من مايو واستسلم العدو استسلاما كاملا وأبرق اليكساندر ظهر الثالث عشر من مايو يقول :

سیدی :

« من واجبي ابلاغك بأن حملة تونس قد انتهت ، وتوقفت جميع مقاومة العدو ، وأصبحنا سادة الساحل الشمالى الأفريقى كله »

وليس فى وسع أى انسان ان يشك فى عظمة انتصار تونس ، انه يقف جنبا الى جنب مع ستالينجراد ، فقد أسرنا نحو من ربع مليون جندي من جنود الأعداء ، ومنى العدو بخسائر فادحة فى الأرواح ، كما أغرقنا ما لا يقل عن ثلث سفن مؤنه ، وهكذا تطهرت افريقية من أعدائنا وتم انقاذ قارة واحدة على الأقل ، ولهذا فقد شعرنا فى لندن لأول مرة منذ نشوب الحرب بارتفاع صادق فى المعنويات، كما استقبل البرلمان والوزراء بالحماس وسجل شكره البالغ مع اصدق عبارات التقدير للقادة العسكريين وكنت قد أصدرت الأوامر بأن تفرع جميع أجراس الكنائس فى طول البلاد وعرضها ، ويوسفنى اننى لم أسمع رنينها ، اذ كنت فى ذلك الوقت اؤدى عملا آخر مهما فى الطرف الثانى من المحيط الاطلسى .

إخراج إيطاليا من الحرب

لقد أخرتني أسباب مهمة جدا عن السفر الى واشنطن بعد ان انتصرنا في افريقية ، وسألت نفسي ، ماذا سنفعل بعد ذلك ، وهل سنكتفى بجنى ثمار نصرنا في شمال افريقية ، أو نعمل كل ما في امكاننا لإخراج إيطاليا من الحرب ؟ وادخال تركيا الى جانبنا ؟ وهذه أسئلة كانت على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وعزمت على أن أبحث كل هذه المسائل مع الرئيس روزفلت ، مع مسألة تنسيق الخطط في المسرح الهندي ، وذلك لحسم الخلافات الخطيرة الخفية لاننا اذا لم نقيم بحها فورا فستؤدي الى المتاعب ، والى اضعاف عملنا في المدة المتبقية من العام ، وهذا هو السبب الذي دعاني لأن أعقد مؤتمرا مع الرئيس

ولما كنت لا زلت مريضا ، فقد قرر الاطباء أن أسافر بحرا بدلا من الطائرة ولهذا فقد غادرت لندن مع جميع أعضاء الوفد المرافق على البارجة « الملكة ماري » وكانت قد أعدت بصورة وافية لحاجتنا ، وهيئت غرف خاصة لجميع الأعضاء على السطح الرئيسي للبارجة مجهزة بالمكاتب والخرائط وبها قاعات فسيحة للاجتماعات ، ولذا فقد بدأنا نعمل في الحال ودون توقف ، لمدة أسبوعين وتناولنا بالبحث كل ناحية من نواحي الحرب مع رؤساء أركان الحرب وعدد آخر من ضباط أركانهم ، بحضور اللورد ليشرز وكبار موظفي وزارة النقل البحري والجنرال ايسماي وموظفي مكتبى كوزير للدفاع ، وكذلك قادة الفيالق الهندية وهم الماريشال ويفل والاميرال سومرفيل وماريشال الجو الأعلى بيرس. ، وكان سبب وجود هؤلاء جميعا هو تنسيق العمل مع أصدقائنا الأمريكيين للقيام بعمليات سريعة من الهند ولمعرفة آرائهم فيما سيطلب اليهم من العمل .

وفي أثناء رحلتنا كانت اللجنة المشتركة لأركان العمليات الحربية والمخابرات تعقد اجتماعات مستمرة ، على حين كان رؤساء أركان الحرب يجتمعون مرة أو مرتين في كل يوم ، وكنت أنقل آرائى اليهم كل صباح على شكل ملاحظات وتوجيهات مكتوبة ، كما كنت أتحدث اليهم دائما بعد الظهر أو في المساء ، واستمرت هذه الأبحاث والمناقشات طيلة أيام الرحلة ، وقد وصلنا الى قرارات خطيرة مدروسة بعناية ، كما اتفقنا اتفاقا تاما على العمليات التي يجب أن تتم في أوروبا ، ولما كنا قد قررنا في مؤتمر الدار البيضاء الهجوم على صقلية ، واتخذت الاستعدادات لتنفيذ هذا القرار ، ولما كان رؤساء أركان الحرب البريطانيين يرون الهجوم على البر الايطالي لاحتلال

رأس جسر في مقدمة الحذاء الايطالى يتبعه هجوم آخر على الكعب كمقدمة للزحف على كل من بارى و نابولى ، فقد اعدوا مذكرة بذلك لتسليمها الى رؤساء الحرب الأمريكيين بمجرد وصولنا الى واشنطن لتكون أساسا للمحادثات .

هذا وقد خشينا ألا يتم الاتفاق مع أصدقائنا الأمريكيين حول الجبهة الثانية في الهند ، وكنا قد أعدنا الكثير من الخطط على الورق ولكنه لم يتوافر لنا الوقت لظهارها بصفة عملية .

ولما كان الرئيس روزفلت وأفراد حاشيته يؤملون في القوة العسكرية التى تستطيع الصين اعلانها اذا اتيح لها الحصول على الأسلحة والمعدات الكافية وكانوا يخشون من انهيارها اذا لم يصلها هذه المعدات ولما كانت لم ترق لى فكرة اعادة احتلال بورما عن طريق الزحف عن طرق اسام غير المعبدة ، وكنت لا احبذ احتلال الادغال ، وكان تفكيرى متجها الى القوات الجوية والبحرية والبرية والمواقع الهامة ، ورأيت أنه من الضرورى ألا يشعر أصدقائنا بأننا غير راغبين فى اقتحام المصاعب ولكى يقتنعوا اننا على استعداد لتلبية طلباتهم - فقد وافقتهم على آرائهم .

وفى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم اثنى عشر من مايو اجتمعنا والرئيس وجميع رؤساء الأركان البريطانيين والأمريكيين فى مكتب الرئيس لاستعراض الأوضاع بصورة عامة ووضع أسس العمل لاجتماعاتنا ومؤتمراتنا ، وقد طلب الى الرئيس أن يبدأ الحديث ، وكانت خلاصة الأفكار التى سردتها على النحو التالى :

« علينا ألا ننسى ان هناك ١٨٥ فرقة ألمانية فى الجبهة الروسية ، وقد حطمنا الجيش الألمانى فى افريقيا ، وعن قريب سنصير غرمتبكين معهم فى أية جبهة أو ميدان ، ولا ريب ان الجهود الروسى عظيم ، واننا فى وضع المدين لهم ، ولعل خير طريقة لتخفيف الضغط على الجبهة الروسية فى عام ١٩٤٣ هو ان تخرج ايطاليا سواء بالرضا أو بالإكراه من الحرب ، وبذلك نرغم المانيا على إرسال قوات ضخمة للمحافظة على البلقان ، ويوجد لنا جيش كبير وقوة جوية كبيرة من المقاتلات فى بريطانيا ، ولدينا أيضا خيرة الجنود وأحسنهم تدريباً فى البحر الأبيض المتوسط ، كما ان البريطانيين وحدهم ثلاث عشرة فرقة فى شمالى افريقية ، واذا افترضنا اننا انتهينا من صقليه فى شهر أغسطس ، فماذا تعمل هذه القوات فى الفترة الواقعة بين هذا التاريخ وبين عام ١٩٤٣ ، والتى قد تمتد سبعة أشهر أو ثمانية لكى تبدأ عملية عبور القناة ؟ ليس فى وسعنا ان نترك هذه القوات بدون عمل ، ولا شك فى ان هذه الفترة الطويلة ستترك أثرا سيئا تحمل وحدها أعباء لا يمكن تصورها . »

وقد وانقضى الرئيس روزفلت ، على انه يجب الاستيثاق مع المانيا لتخفيف العبء عن روسيا ، وأعرب عن رأيه فى أن خير طريقة لارغام المانيا على القتال هى أن نشرع فى عملية عبور القناة ، وقد قلت للرئيس بأننا سبق أن اتفقنا على ألا نشرع فى مثل هذه العملية قبل

عام ١٩٤٤ ، ولذلك فانه من اللازم الآن ان نستخدم جيوشنا في الهجوم على ايطاليا ، حتى اذا انهارت ، فاننا سنحتل الموانئ والمطارات الضرورية للقيام بعمليات مقبلة في البلقان وجنوب شرقى أوروبا ، ويكون فى وسعنا ان نقيم حكومة ايطالية تتولى الاشراف على البلاد، تحت توجيه واشراف الحلفاء ، وطلبت من اعضاء اللجنة المشتركة لرؤساء أركان الحرب ومستشاريهم أن يدرسوا هذه الخطط دراسة وافية وأن يحصوها .

وقد ظهر أن هناك اختلافات فى وجهات النظر لا يمكن تذليلها بسهولة أو التغلب عليها ، وأدى تسرب بعض الاخبار من كبار القادة العسكريين الأمريكيين فى هذه الفترة الى الشيوخ الديموقراطيين والجمهوريين الى مناقشتها فى مجلس الشيوخ ، ولكنه مع الصبر والناة أمكن تذليل هذه الخلافات وحلها تدريجيا ومما ساعد على ذلك وجودى مع الرئيس حيث كنت أقيم فى البيت الأبيض وكنا نرى بعضنا بعضا فى كل ساعة من ساعات النهار ، وكنا دائما متفقين فى الآراء ، وهكذا حلت تلك الازمة المستعصية

كما أسفرت الاتفاقات التى تمت بين الأركان على غزو صقلية ، وقد شعرت بقلق عظيم لان لجنة الأركان لم تتخذ توصيات محدودة بأن يتبع احتلال صقلية غزو البر الايطالى ، وكنت أعرف أن آراء أركان الحرب الأمريكيين تتجه الى جزيرة سردينيا ، لانهم كانوا يرون أن هذه الجزيرة يجب أن تكون الهدف الباقى للقوات الكبيرة المحتشدة فى البحر الأبيض المتوسط فى المدة الباقية من عام ١٩٤٣ . وكنت أرى هذا الاتجاه غير سليم لاسباب عسكرية وسياسية ، لان الروس يحاربون فى جبهة شاسعة ودمهم يسيل أنهارا فى هذه المعركة الجبارة ، ولا يصح لنا أن نبقى مليوناً ونصف مليون من خيرة جنودنا بالاضافة الى القوات الجوية والبحرية الهائلة بدون عمل مدة سنة تقريبا .

واتضح لى ان الرئيس غير مستعد للضغط على مستشاريه بقبول فكرة غزو ايطاليا بصورة محدودة ، ولما كان هذا الهدف الرئيسى هو الذى حملنى على قطع المحيط الى واشنطن ، فقد رأيت نفسى عاجزا عن الوقوف بهذه القضية عند هذا الحد ، وقال لى هوبكنز انك اذا أردت أن نقبل وجهة نظرك ، فعليك أن تستمر مواصلا الإلحاح لمدة أسبوع آخر ، ولما كانت النتيجة غير مضمونة تماما ، فقد أحسست بخيبة أمل ، وطلبت الى الرئيس فى الخامس والعشرين من مايو بصفة شخصية أن يسمح للجنرال مارشال بالرجوع الى الجزائر ، بعد أن أوضحت للمؤتمر بأنى أشعر ببعض الخرج فى بحث هذه القضايا مع الجنرال ايزنهاور دون أن يشترك معنا فى الحديث ممثل أمريكى كبير ، اذ ربما تفسر موافقة ايزنهاور على رأى فى واشنطن أنها كانت بسبب الضغط عليه ، ولما علمت بأن الجنرال مارشال سيزافقنى فى رحلتى شعرت بالارتياح .

وفى صباح اليوم التالى غادرت واشنطن بطائرة ركب معى فيها

الجنرال ماريشال ورئيس أركان حرب الامبراطورية وايسماى وبقية أعضاء الوفد البريطانى ، وقد دارت بيننا محادثات كثيرة أثناء هذه الرحلة الجوية الطويلة وكانت مثمرة ، ولما اقتربنا من جبل طارق بحثنا عن طائرات الحراسة فلم نجد لها أثرا وهبطنا مطار جبل طارق فى المساء وكان فى استقبالنا الحاكم ، وبالنسبة لان الوقت كان متأخرا فلم يعد فى إمكاننا مواصلة الطيران الى الجزائر فى تلك الليلة ، وقد استضافنا الحاكم فى الدير الذى يقيم فيه ، ولم نترك جبل طارق الا بعد ظهر اليوم التالى وقد أتاحت لنا الفرصة للطواف بالجنرال ماريشال فى جميع أنحاء الصخرة وزرنا مشروع تقطير المياه الجديد كما زرنا مواقع بعض المدافع وبعض المستشفيات والشكنات ، وهبطنا الى المكان المفضل عند الحاكم ، وهو الشرفة الصخرية الجديدة التى حفرت داخل الصخر الى عمق بعيد ، وقد نصبت فيه المدافع التى تسيطر على البرزخ الذى يصل الصخرة بالبر وعلى الأرض الحرام بين بريطانيا واسبانيا ، وقد ثبت لى انه مهما كانت الاخطار التى قد تتعرض لها صخرة جبل طارق، فانها لن تخشى ابدا هجوما يشن عليها من البر الاسباني .

هذا وقد احاطت بنا اثناء ركوبنا الطائرة الى الجزائر ، اثنتا عشرة طائرات مقاتلة لحراستنا ، ووصلنا فى المساء الى الجزائر ، حيث كان الجنرال ايزنهاور وييدل سميث والاميرال اندرو كاتنجهام والجنرال اليكساندر وعدد من الاصدقاء فى انتظارنا ، وذهبنا فورا الى منزل الاميرال كاتنجهام المجاور لمنزل الجنرال ايزنهاور ، التى وضعها تحت تصرفى مدة اقامتى فى الجزائر ، وقد شعرت بالسعادة طوال الثمانية أيام التى قضيتها فى الجزائر وتونس ، وأبرقت الى ايدن طالبا اليه المجيء والانضمام اليها ، ليشرف بنفسه على اعداد الترتيبات اللازمة للمقابلة التى مهدنا لها بين جيزو وديجول وللقيام ببعض المهام الاخرى .

ولما كانت تحدونى الرغبة فى الحصول على قرار بغزو ايطاليا ، قبل مغادرتى لافريقية فى حالة الانتهاء من احتلال صقلية ، فقد نقلت انا وبروك آراءنا الى الجنرال اليكساندر والاميرال اندرو كاتنجهام وماريشال الجو تندر والجنرال مونتجمورى فيما بعد ، وقد وافقت جميع هذه الشخصيات على آرائنا ، ورأوا فى احتلال ايطاليا الثمرة الطبيعية لتلك الانتصارات التى بدأت بمعركة العلمين وكان أملنا ان نحصل على موافقة حليفنا العظمى، لانى لاحظت من جانب ايزنهاور بعض التحفظ بعد ان استمع الى جميع حججنا ، كما ان ماريشال قد ظل صامتا حتى اللحظة الاخيرة .

ولما كانت لدينا قوات تبلغ ثلاثة أضعاف القوات الأمريكية، كما كانت لدينا أربعة أضعاف قواتهم البحرية ومثل هذه النسبة من الطائرات ، كما كنا قد خسرنا منذ معركة العلمين وحدها دون أية اشارة الى الخسائر السابقة فى البحر الأبيض المتوسط ثمانية أضعاف ما خسره أمريكا من الرجال وثلاثة أضعاف ما خسره من السفن ، فقد كانت ظروف الاجتماع مواتية للبريطانيين ، فضلا عما لاقتة هذه

الحقائق الواضحة مما تستحقه من عناية واعتبار لدى القادة الأمريكيين الذين لم يكونوا يجهلون تفوقنا عليهم في المنطقة في كل شيء ، كما كان تقبلنا للجنرال أيزنهاور كقائد أعلى ، فقد اقتنع الأمريكيون بصواب رأيها .

وعقدنا أول اجتماع لنا في منزل الجنرال أيزنهاور في الجزائر في مساء التاسع والعشرين من مايو ، ورأس الجنرال أيزنهاور الجلسة بوصفه مضيفنا يساعده فيها كل من مارشال وبيدل سميث ، وأخذت مقعدي أمامه ومعى بروك واليكساندر وكاتنجهام وتيدر وايسسماي وآخرين ، وقال مارشال ان رؤساء أركان الحرب الأمريكيين يرون أنه ليس من الحكمة اتخاذ قرار بشأن غزو إيطاليا حتى تثبت نتيجة الهجوم على صقلية ، وينجلي الوضع في روسيا تمام الجلاء والطريقة المنطقية هي أن نعد قوتين منفصلتين في مكانين متفرقين ولكل منهما قيادته الخاصة ، وسيجري تدريب إحدى هاتين القوتين على القيام بعملية حربية ضد جزيرتي سردينيا وكورسيكا بينما تدرب الثانية على القيام بعمل حربي في البر الإيطالي ، وهنا قال أيزنهاور انه اذا انتهت عملية صقلية بسهولة فانه سيكون راغبا في مهاجمة إيطاليا نفسها ووافق اليكساندر على رايه .

وهنا قال رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية ، ان معركة هائلة ستنشعب عما قريب بين الروس والألمان ، وان علينا ان نبذل كل ما في وسعنا لمساعدة روسيا ، وان نحمل الألمان على تجزئة قواتهم وتوزيعها ، بعد ان انتشروا في مساحات شاسعة ولا يمكنهم تخفيضها لا في روسيا ولا في فرنسا ، ولعل المكان الصالح لتجزئة هذه القوات هو إيطاليا ، واذا أمكننا ان نخرج إيطاليا من الحرب فستجد ألمانيا نفسها مضطرة الى استبدال الفرق الإيطالية الست والعشرين الموجودة في البلقان بقوات المانية كما ستجبر على تعزيز ممر برنو والريفيرا والحدود الإسبانية والإيطالية ، وان توزيع هذه القوات هو ما نرمي اليه لتأمين عبور القناة .

وأعلن أيزنهاور انه اذا نجحت عملية صقلية في بحر أسبوع ، فانه سيعبر فوراً مضائق سينا ويقيم رأس جسر له في البر الإيطالي ، وأعربت له عن وجهة نظري الشخصية في أن عملية صقلية ستنتهي في الخامس عشر من أغسطس ، فاذا تحقق ذلك فسنهاجم فوراً إيطاليا ، على شرط الا تكون المانيا قد بعثت بعدد كبير من فرقها الى هناك نظراً لاحتمال قيام رد فعل تركي في مصلحتنا .

وعندئذ أوضح بروك عدد ما لدينا من قوات في البحر الأبيض المتوسط بعد أن حذف سبع فرق يجب ان تعود الى بريطانيا لتشارك في عملية اجتياز القناة وفرقتين لتغطية التزامات بريطانيا العسكرية لتركيا ، وان ما سيتبقى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط سبع وعشرون فرقة حليفة ، وقال ان من المؤسف ألا نتمكن بمثل هذه القوات الضخمة من عمل شيء في الفترة ما بين أغسطس وسبتمبر من هذا

العام ، وعلى ذلك فقد اتضحت لى رغبة جميع القادة العسكريين فى أن نمضى سريعا وبأجرا ما يكون من خطط .

واجتمعنا ثانية بعد ظهر الحادى والثلاثين من مايو ، بعد أن وصل المستر آيدن وأبدت رأيى فى أن نتجه الى غزو جنوب ايطاليا ولربما تكون طوالع المعركة تقتضيها اتخاذ سبيل معاكس . ولم يخالفنى الجنرال مارشال فى هذا الراى ، إلا أنه قال ان من الخير تأجيل القرار الى ما بعد البدء فى عملية صقلية ، وأضاف ان من الضرورى ان نعرف شيئا عن رد الفعل الألمانى لنستطيع ان نقرر ما اذا كان الألمان سيقاومون مقاومة حقيقية فى جنوب ايطاليا ، أو سينسحبون الى نهر البو وهل فى وسعهم أن يعتمدوا على الايطاليين ، وأن نعرف امداداتهم التى اتخذوها فى سردينيا وكورشيكا والبلقان ، والتعديلات التى ستطرا على أوضاعهم فى الجبهة الشرقية ، وكان هو والجنرال ايزنهاور ورجال رئاسة الاركان المشتركة يدركون تماما ، حقيقة مشاعرى فى صدد غزو ايطاليا ، وأيدوا رغبتهم فى أن يتركوا اختيار الهدف التالى الى ما بعد صقلية .

وقد قلت ان رغبتى الوحيدة ، هى أن أرى ايطاليا قد أزيحت من طريقنا ، وأن أشهد روما فى قبضتنا ، وأنى لا أحتمل أن أرى هذا الجيش الضخم عاطلا عن العمل فى الوقت الذى نستطيع ان نقحمه فى معركة لضرب ايطاليا واخراجها من الحرب ، وأكدت لهم ان برلماننا وشعبنا سيفرغ صبرهما اذا تعطل الجيش عن العمل .

ويجدر بى هنا أن أوضح بعض الأمور التى كانت موضوعا لسوء التفاهم والخلاف ، فقد طلب منى المستر آيدن أن أبين الوضع الذى ستكون عليه تركيا اذا خرجت ايطاليا من الحرب ، وهل هذا سيمهد الطريق لادخالها فى الحرب الى جانبنا عندما تصل قواتنا الى منطقة البلقان ، وعلى الرغم من اننى كنت متفقا مع آيدن على سياستنا الحربية فقد خشيت أن يؤدى تحوير العبارة الى تضليل اصدقائنا الأمريكين ، فقد قال انه ليس من الضرورى أن نبعث الى البلقان الآن بجيش طالما ان الاتراك سيبدءون العمل فى اللحظة التى نستطيع فيها أن نشكل تهديدا مباشرا للبلقان .

وهنا طلبت الى الجنرال اليكساندر ان يبدى رأيه ، فقال أن تأمين رأس جسر على البر الايطالى يجب أن يكون جزءا من خطتنا فى الوقت الذى تجرى فيه عملية صقلية ، ولو أن رأس الجسر فى ايطاليا ربما لا يكون منيعا كل المناعة مما يتطلب أى تعديل فى خطتنا وعملياتنا لاحتلال قبرص ، وعلينا أن نواصل الحركة دون توقف بعد أن يبدأ هجومنا على صقلية ، وقد يصبح التقدم أكثر صعوبة كلما تحركنا شمالا فى البر الايطالى ، الا أن هذا لا يمكن ان يحول بيننا وبين المضى الى ابعد مانستطيع كجزء من عملية صقلية ، وكثيرا ما تقع فى الحروب أمور لا يكاد الانسان يصدقها فقبل بضعة أشهر ، ما كان ليصدق ان ما حدث لرومل وفيلقه الأفريقى بالفعل ، قد يحدث مطلقا كما كان من الصعب أن يصدق أن ثلثمائة ألف المانى سينهارون فى أسبوع

واحد ، وقد تم القضاء على قوات العدو الجوية حتى انه أصبح في وسعنا أن نقيم عرضا عسكريا لكل قواتنا العاملة في شمالى افريقيا دون أن نخشى خطرا من طائرات العدو

وفي الحال انبرى كاتنجهام لتأييده ، وقال ان علينا في حالة نجاح العملية في صقلية ، ان نعبر المضائق فورا دون أى تأخير ، واختتم الجنرال أيزنهاور الاجتماع بقوله ، ان واجبه يدعوه الى الحصول على المعلومات الكافية في صدد المراحل المبكرة من غزو صقلية ، وان يبعث بها الى رئاسة اركان القيادة المشتركة في وقت مبكر ، لتقرير الخطة التى يجب علينا ان نتبعها دون توقف أو انقطاع ، وانه سيشفعها بالتوصيات التى يراها على اساس الاوضاع الراهنة ، وأعرب عن أمله في أن يتمكن القادة الثلاثة المسؤولون أى اليكساندر وكاتنجهام وتيدر من أن يوضحوا له بصفة رسمية آراءهم في جميع هذه الخطط

وبعد أن أمضينا يومين في بعض الأماكن الجميلة في شمالى افريقيا ، قام الجنرال ماريشال بزيارة قصيرة لبعض القوات الأمريكية ، ثم رافقنى ومعنا الجنرال اليكساندر في زيارة جميع القادة العسكريين وبعض الوحدات وقد أحسنا بشعور النصر يملأ الجو ، بعد أن تم تطهير شمال افريقية من قوات العدو ، وأصبح في حوزتنا ما يربو على ربع المليون أسير .

وقد شعرت بأننا حققنا تقدما كبيرا في محادثتنا وان الجميع أصبحوا يؤيدون فكرة الهجوم على ايطاليا ، ولهذا فعندما عقدنا اجتماعنا الختامى في الثالث من يونيو لخصت النتائج التى توصلنا اليها وأثنت بالغ الثناء على الجنرال أيزنهاور .

وبعد انتهاء هذا الاجتماع عدت انا وايدن طائرين الى الوطن عن طريق جبل طارق ، ولما كانت الصحافة تنقل انباء وجودى في شمال افريقية بصورة كاملة ، فقد نبه ذلك الالمان ، وقد أدى هذا الى مأساة سببت لى الكثير من الألم ، فعندما كانت الطائرة التجارية العادية على وشك مغادرة مطار لشبونة تقدم منها رجل ضخم الجثة وفي فمه سيجارا ، على أنه سيسافر عليها ، ولكن ظهر انه من الجواسيس الالمان ، حيث ابرق الى مرجعه يقول انى موجود في تلك الطائرة ، وعلى الرغم من أن هذه الطائرات التجارية كانت تسافر بانتظام فى الأشهر الماضية بين انجلترا والبرتغال دون ان تتعرض لها الطائرات الالمانية، الا ان طائرة حربية ألمانية ، تلقت الأمر فورا بقطع الطريق على طائرة الركاب المذكورة ، فهاجمتها واسقطتها ، وقضى ثلاثة عشر راكبا نحبهم وبينهم الممثل البريطانى المشهور ليسلى هوارد ، ومن الصعب على الانسان ان يفهم كيف يمكن أن يتصور عاقل ان رجلا مثلى ، تحت تصرفه كل ما لدى بريطانيا العظمى من موارد عظيمة ، يمكن أن يحجز مقعدا في طائرة ركاب عادية غير مسلحة ، ولا حراسة لها ، تطير من لشبونة الى الوطن فى وضوح النهار ، ولكننا كنا قد قمنا فى الليل بدورة واسعة من جبل طارق فوق المحيط ووصلنا الى الوطن دون أى حادث الا اننى أصبت بما يشبه الصاعقة عندما علمت بما أوقعه القدر الأعمى بالآخرين .

الكتاب الرابع

النصر والمأساة ١٩٤٢ - ١٩٤٥

« لقد فشل النصر الساحق الذي حققه
الحلف الاعظم حتى الآن ، في ان يأتي للعالم
القلق بالامن والسلام »

احتلال صقلية وسقوط مرسو لينى

الآن وبسبب دخول الولايات المتحدة فى الحرب بعد هجوم اليابان على ميناء اللؤلؤ ، قد أصبح انتصار الحرية أمرا مؤكدا ، وفعلنا قد وصلنا الى نقطة التحول فى الحرب الكونية الثانية ولم يأت شهر مايو حتى كانت جميع القوات الالمانية والاطيالية فى اقارة الافريقية قد ابيدت او أسرت ، كما اوقفت انتصارات الأمريكيين منذ عام فى بحر المرجان وجزيرة مايدواى ، التوسع اليابانى فى المحيط الهادى ، كما اتضح لهتلر ان عليه ان يدفع الثمن غاليا للغلطة الكبرى التى ارتكبها فى محاولة احتلال روسيا عن طريق الغزو ، وعما قريب سيجد الشعب الالمانى نفسه وحيدا فى اوربا ، وكان فى وسعنا أن نرى الميزان ينقلب الى مصلحتنا فى ابريل عام ١٩٤٣ ، حيث كانت قوافل الفواصات المعادية تضطر الى البقاء تحت سطح البحر وكانت مطاردتها تستمر وتتواصل ، بينما تقوم وحداتنا الحارسة من بحرية وجوية بحماية القوافل ، والصمود للفواصات المهاجمة ، وتوافر لدينا الآن القوة الكافية لتشكيل مجموعات مستقلة من السفن التى تمثل دور فرق الفرسان ، وكان هذا كل أملى ، ولما كان الالمان قد انزلوا الى البحر مائتين وخمسا وثلاثين غواصة وهو اكبر عدد دفعوا به حتى الآن ، وكان بحارتها تنقصهم الخبرة ، فلم تكن هجماتهم تصيب اهدافها بدقة ، ولهذا فقد هبطت خسائرننا الى ثلثمائة ألف طن ، كما أغرقوا لنا أربعين غواصة فى شهر مايو وحده كما أن خسائرننا فى شهر يونيو هبطت الى اقل رقم شهدناه منذ دخلت الولايات المتحدة الحرب واخذت القوافل تجتاز طريقها بأمان .

كما أصبح فى وسع جيوشنا ، ان تعبر البحر لمهاجمة هتلر فى اوربا ، وذلك بسبب زوال قوة المحور من الشمال الافريقى ، كما أعيد فتح طريق القوافل المباشرة الى مصر والهند واستراليا ، فى حماية قواتنا البحرية والجوية على طول الطريق من جبل طارق الى السويس ، وبذلك لم تعد قوافلنا تدور حول رأس الرجاء الصالح وهى الطريق التى كلفتنا غاليا من الوقت والجهد والحمولة ، وأدى ذلك الى توفير خمسة واربعين يوما بالنسبة الى كل قافلة تسافر الى الشرق الاوسط .

ولما كانت الهزيمة التى نزلت بفواصاتنا قد اثرت على جميع الاحداث مما جعل الباقي منها يتفرق فى مساحات شاسعة ونائية فى جنوب الاطلنطى والمحيط الهندى ، واصبحت وسائل دفاعنا اقل قوة ، هذا وقد استمرت عملياتنا الجوية الهجومية فى خليج بسكاي فى الازدياد والقوة يوما بعد آخر ، حيث أغرقنا للعدو سبعة وثلاثين غواصة فى شهر يوليو وحده ، كما أغرقنا فى الاشهر الثلاثة الاخيرة من العام ثلاثا وخمسين غواصة ، بينما كانت خسارتنا فى هذه المدة نفسها أكثر من سبع

واربعين باخرة تجارية ،وقد بذلت غواصاتنا في أشهر الخريف العاصفة جهود المستميت ولكن جهودها ذهبت هباء ،وفشلت في استعادة التفوق في شمال الأطلسي .

هذا وقد اعلن الاميرال دونتس الالماني ، ان عام ١٩٤٤ سيكون عاما ناجحا برغم ما فيه من صعوبات ومشقات وقال اننا سنحطم طريق تموين بريطانيا بسلاح جديد من الغواصات ، وكان لهذه الثقة بعض ما يبررها ، فقد كانت المانيا تبذل مجهودا هائلا لبناء طراز جديد من الغواصات يستطيع التحرك بسرعة أكبر تحت الماء وقطع مسافات طويلة ، وفي الوقت نفسه سحبت معظم غواصاتها القديمة لكي يتم تجهيزها بسلاح « شنوركل » الجديد ، وقد مكنها هذا الابتكار الجديد من إعادة تعبئة بطارياتها في الوقت الذي تكون فيه تحت الماء ، وهكذا امكنها ان تتجنب اكتشاف الطائرات لها ، واصبح من الواضح ان الغاية من الغواصات المجهزة بهذا الجهاز الجديد ، هي مقاومة عبور القنائة الانجليزية عندما تصبح قوات الحلفاء متأهبة لغزو اوربا .

اما مسألة غزو صقلية فقد كان من رأى الجنرال ايزنهاور ان الهجوم عليها يجب أن يتم اذا كانت الغاية منه تطهير الطريق البحري في البحر الابيض المتوسط ، اما اذا كان غرضنا غزو ايطاليا فيجب احتلال جزيرتي سردينيا وكورسيكا لأن هاتين الجزيرتين تقعان بالقرب من رأس الحذاء الإيطالي ، وعلى الرغم مما في هذه النظرية العسكرية من وجهة فاني لم أكن موافقا عليها ،ولكن القوى السياسية تلعب دورها .

وبذلك اعددنا العدة لغزو صقلية ، وابتدأنا عمليات النزول فيها مسترشدين بالتجارب التي مرت بنا في شمال افريقية ، واشتركت فيها ثلاثة آلاف سفينة وقطعة ايرال كانت تحمل مائة وستين ألف رجل وأربعة عشر ألف سيارة وستمائة دبابة وألفا وثمانمائة مدفع ، وقدمت الأمور سيرا مرضيا ،نتيجة لتعاون بين اركان القيادة المشتركة ، ولنت لاسباب سياسية تد تخليت عن قيادة الحملة في شمال افريقية واسنادها للولايات المتحدة، اما الآن فقد دخلنا مرحلة جديدة هي غزو صقلية وقد تقرر ان يتخذ القرار النهائي لغزو ايطاليا على ضوء ما يسفر عنه القتال في صقلية ، فقد شعرت انه من الضروري أن يكون البريطانيون متساوين مع حلفائهم في تحمل اعباء القيادة ، وقد وافق حلفاؤنا الأمريكيون على ذلك ، وسلمونا القيادة الفعلية للقتال ، وتقرر ان يتولى انيكساندر مجموعة الجيوش الخامسة عشرة التي تضم الجيش الامريكى السابع الذى يقوده الجنرال باتون ، والجيش البريطانى الثامن الذى يقوده مونتجومرى ، وتولى قائد القوات الجوية تيدر قيادة قوات الحلفاء الجوية كما تولى الجنرال كاتنجهام قيادة قوات الحلفاء البحرية . وكان الجنرال ايزنهاور هو القائد العام للقوات كلها ، وبدأت الغارات الجوية العنيفة على الجزيرة في الثالث من يوليو لتعطيل مطاراتها ومطارات سردينيا ايضا ، مما اضطر مقاتلات العدو الى الدفاع واضطر قاذفاته البعيدة المدى الى الانسحاب الى قواعد جديدة في البر الايطالى ، وعندما اقتربت قوافلنا من الجزيرة كنا قد ضمنا السيطرة الجوية على المنطقة ، ولم تحاول بوارج المحور وطائراته

ان تعرقل الحملة ، وتمكننا عن طريق التمويه ، ان نجعل العدو في حالة من الشك ، ولم يتمكن من معرفة الهدف الحقيقي من هجومنا حتى اللحظة الاخيرة ، لأن حركاتنا البحرية واستعداداتنا العسكرية كانت في مصر مشيرة الى ان حملتنا ستستهدف اليونان وكنا قد حددنا اليوم العاشر من يوليو لبدء الغزو وفي صباح التاسع من يوليو تحركت الاساطيل الجبارة من الشرق والغرب الى جنوب ماطة استعدادا لاجارها الى شواطئ صقلية ، وفي الوقت المحدود اتجهت كلها الى ميدان الهجوم وكانت هذه العملية هي اضعف عملية جرت في التاريخ حتى الآن ، الا ان الرياح اشتد هبوبها بعد الظهر حتى بلغت حدا من العنف جعل النزول الى ابر امرا خطرا ولا سيما على الشواطئ الغربية ، ولما كنا نود تأجيل النزول عند الضرورة ، وكان الوقت قد مضى على امكان التأجيل ، فقد شعرنا بالقلق بالنسبة لقوافل الانزال الصغيرة التي كانت تصطرع مع البحر ، وقد تفرق بعضها ، كما لقيت قواتنا الجوية الهابطة اسوأ حظ حيث قذفت الطائرات الامريكية بأكثر من ثلث رجال لواء المظلات الأول ، قبل الأوان ، مما ادى الى غرقهم في البحر ، اما الثلثان الباقيان فقد نزلوا فوق القسم الجنوبي من صقلية ، وتمكن ثمانية ضباط وخمسة وستون جنديا من احتلال الجسر وصمدوا فيه الى ان وصلتهم النجدة بعد اثنتي عشرة ساعة ، وكانت عمليات النزول من البحر تحت ستار من الحماية الجوية المستمرة ناجحة كل النجاح ، وتمكننا من الاستيلاء على اثني عشر مطارا ، وبدأ العدو بعد ان افاق من ذهول المفاجأة يقاتل بشدة ، وبعد ثمانية وثلاثين يوما من القتال ابرق الجنرال اليكساندر يقول : « في الساعة الواحدة من صباح اليوم السابع عشر من يوليو عام ١٩٤٣ طرد آخر جندي الماني من جزيرة صقلية واصبحت الجزيرة كلها في ايدينا » .

وفي انتاسع عشر من يوليو قامت قوة ضخمة من قاذفات القنابل الامريكية بالاغارة على مطار روما ، وعلى ارضفة السكة الحديدية فيها فأوقعت اضرارا فادحة وكان اثرها النفسي مؤلما ، واصبح انهيار ايطاليا السريع امرا محتملا ، لكن الامريكيين اصرروا على عدم القيام بأي عمل جدي في البحر الابيض المتوسط قد يؤدي الى التأثير على العمليات الحربية الأخرى ، وكان هذا التحفظ سببا في خلق الكثير من المتاعب عندما بدأ نزولنا في ساليرنو ، وبينما كانت المناقشات الحادة دائرة بيننا ، تبدل الموقف فجأة كليا بسبب سقوط موسوليني .

وكان على الدوتشي ان يتحمل الآن اعباء الكوارث العسكرية التي قاد بلاده اليها بعد هذه السنوات الطويلة من الحكم ، حيث كانت سلطته مطلقة ، ولم يكن في وسعه ان يلقي اللوم على الملكية او النظام البرلماني او الحزب الفاشي أو اركان الحرب ، اما وقد انتشرت الآن بين الطبقات العليمة ببواطن الامور في ايطاليا ، الآراء بأن المحور قد خسر الحرب ، فان اللوم قد اتجه الى ذلك الرجل الذي قذف ببلاده بتهوره الى جانب الفريق الخاسر .

هذا وكان قد اجرت بعض التنقلات بين قادته العسكريين ومستشاريه السياسيين ، فعين في شهر فبراير الجنرال امبروزيو

خلفا للجنرال كافاليرو في رئاسة أركان الحرب ، وكان امبروزيو مع صديقه الدوق اكوروني وزير البلاط المستشارين الشخصيين للملك ، وكانا منذ أشهر يأملان في قلب حكم الدوتشي ووضع نهاية للعهد الفاشي ، ولكن موسوليني كان لا يزال مسيطرًا على مسرح العمليات الاوربي وكأنه عامل أساسي فيه ، وقد شعر بالأسى عندما طاب اليه قائده الجديد سحب الفرق الإيطالية فوراً من البلقان ، لأنه كان يعتقد ان وجود هذه القوات يقيم شيئاً من التوازن في وجه السيطرة الألمانية على أوروبا ولم يدرك موسوليني ان الهزائم في الخارج وانحلال الروح المعنوية في الداخل قد افقده وضع الحليف بالنسبة الى هتلر ، وكان لا يزال يتعلق بأهداب السلطة وحلمها ، ولهذا فقد عارض في طلب امبروزيو الملح ، وكان يخشى من احتمال قيامه بعمل شخصي متطرف .

ولما كان الملك الدستوري الحذر ، على اتصال مستمر منذ شهر فبراير ، بالمارشال بادوليو الذي كان قد اقبل من منصبه بعد الكارثة اليونانية عام ١٩٤٠ ووجد فيه الملك اخيراً انه الشخص الذي يستطيع ان يعهد اليه بإدارة شئون الدولة ، فقد تم وضع الترتيبات اللازمة لذلك ، وتقرر اعتقال موسوليني في السادس والعشرين من يوليو ، ووافق امبروزيو على ايجاد العملاء الذين يتولون اعتقاله ، وقد استعان الجنرال بغباء ، بعناصر من الحرس الفاشي القديم الذين كانوا يبحثون عن امكانية تجديد شباب الحزب ، ورأوا دعوة أكبر هيئة للحزب وهي المجلس الفاشي الاعلى الذي لم يجتمع منذ عام ١٩٣٩ ، اوسيلة لمواجهة الدوتشي بانذار نهائي ، وقاموا في الثالث عشر من يوليو بزيارة موسوليني واقنعوه بدعوة المجلس الاعلى الى اجتماع رسمي يعقد في الرابع والعشرين من شهر يوليو .

الا ان موسوليني غادر روما في التاسع عشر من يوليو يرافقه الجنرال امبروزيو بطريق الجو لمقابلة هتلر في منزل له في فيلترية على مقربة من ريمينى ، وقد أطل الفوهرر الحديث عن وجوب بذل مجهود اضخم واكبر ، وقال ان السلاح السرى الجديد سيصبح جاهزاً للاستعمال ضد بريطانيا في الشتاء القادم ، وأضاف أن واجبنا الدفاع عن ايطاليا « وان تصبح صقلية بالنسبة للعدو كما كانت ستالينجراد بالنسبة الينا » .

وحدث امبروزيو رئيسه على ان يقول لهتلر بصراحة ان ايطاليا لا تستطيع المضي في الحرب ، ولكن الديكتاتور الايطالى لم يفه بشيء ، ودخل موظف ايطالى ثائر قاعة الاجتماع اثناء حديث هتلر عن الوضع يقول ان روما تتعرض في هذه اللحظة لغارة جوية عنيفة من الاعداء ، وقد وعد هتلر بارسال امدادات أخرى الى صقلية ، وعاد موسوليني الى روما لا يحمل شيئاً جديداً ، وعندما اقترب بطائرته شاهد سحباً عالية من الدخان الاسود تتصاعد من مئات العربات المحترقة في محطة قطارات ليتوريو ، وفي الحال ذهب لزيارة الملك فرآه « غابسا وشديد العصبية » وقال الملك ان الموقف خطير ، وليس في وسعنا ان نستمر لمدة اطول ، بعد ان اصبحت صقلية الآن في ايدي الاعداء ورد موسوليني بأنه يأمل في اخراج ايطاليا من المحور في الخامس عشر من سبتمبر .

وفي هذا الوقت وصل الى روما دينو غراندي الفاشي المخضرم ،
وزير الحسارجية السابق ، والذي عارض في اعلان بلاده الحرب على
بريطانيا ، وزار زعيمه القديم في الثاني والعشرين من يوليو ، وابلغه
صراحة بأنه يعتزم التقدم باقتراح لتأليف حكومة انقاذ وطني ، واعادة
الملك الى صلاحياته كقائد اعلى للقوات المسلحة . ولما اجتمع المجلس
في الساعة الخامسة من مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليو ، اقترح
غراندي ، دعوة الملك الى تولي زمام السطة والخروج من عزته ، وتحمل
مسئوليته والقي الخطاب الذي وصفه موسوليني بأنه خطاب عنيف
من رجل وجد اخيرا متنفسا لحقده العميق الدفين ، وسارع تشاينو
صهر موسوليني الى تأييد غراندي واتضح للجميع ان هناك فتنة
سياسية توشك ان تقع ، وعندئذ طلب الحاضرون الاقتراح حول هذا
الاقتراح ، وفعلا بدأت عملية الاقتراح ، وقد كتب موسوليني يقول :
« كان في وسع كل انسان ان يعرف موقف كل عضو من الاعضاء حتى
قبل الاقتراح ، فقد كانت هناك جماعة من الخونة تفاوضت مع التاج
وهناك ايضا فريق من الجبهة الذين لم يكونوا يدركون خطورة الاقتراح
ولكنهم ادلوا باصواتهم على كل حال » وقد وافق تسعة عشر عضوا على
اقتراح غراندي بينما عارضه سبعة ، وامتنع عضوان عن التصويت ،
ولذلك فقد قال موسوليني : « لقد اثرتم ازمة ضد العهد » فليكن
ما اردتم » وانتهى الاجتماع .

وفي اثناء ذلك ، كان قد أعد أمر اعتقال موسوليني في هدوء وصمت
حيث كان قد بعث الدوق اكواريون وزير البلاد بتعليماته الى امبروزيو
الذي اوعز الى وكلائه الموثوق بهم في الامن العام بتنفيذ الخطة .

وقضى موسوليني صباح الاحد الخامس والعشرين من يوليو في
مكتبة ، وقام بزيارة بعض الاحياء التي عانت من الفارة الجوية الاخيرة ،
وطلب مقابلة الملك فسمح له بهذه المقابلة في الساعة الخامسة مساء ،
وعندما وصل الى المكان الذي يقيم فيه الملك ، رأى في كل مكان
تعزيزات جديدة من رجال الكارابينيري ، وكان الملك في ملابس المارشالية
يقف في مدخل الدار ، ودخل الرجلان الى غرفة الجلوس وقال الملك :
« لم يعد هناك اي جدوى يا عزيزي الدوتشي فقد تمزقت ايطاليا شر
ممزق ، وانهارت معنوية الجيش والجنود لا يريدون ان يمضوا في
القتال ، وقد أصبحت الآن في هذه اللحظة الرجل الذي يكرهه الايطاليون
جميعا ، وانا اعتقد ان الرجل الذي يصلح الآن لتولي المسؤولية هو
المارشال بادوليو » فرد موسوليني قائلا : « انك تتخذ قرارا خطيرا ، لأن
قيام الازمة في هذه اللحظة سيحمل الشعب على الاعتقاد بأن السلام
اصبح متوقعا ، طالبا ان الرجل الذي أعلن الحرب قد طرد من منصبه ،
وستعتبر الازمة نصرا للحلفاء ولا سيما ستالين وعلى كل حال اتمنى
حظا حسنا للرجل الذي سيتحمل المسؤولية . »

وعهد الملك في ذلك المساء الى بادوليو بتأليف حكومة من القادة
العسكريين وكبار الموظفين ، واذاغ المارشال في المساء الانباء الى العالم ،
وبعد يومين نقل الدوتشي بأمر من المارشال بادوليو الى السجن في
جزيرة بونزا .

وهكذا انتهى عهد موسوليني الديكتاتوري في ايطاليا والذي دام واحدا وعشرين عاما ، ارتفعت فيه ايطاليا من مهاوى الخطر البلشفي الذي كان يهددها عام ١٩٢٩ الى مركز في اوربا لم تكن ايطاليا قد بلغت من قبل ، وكان موسوليني قد بعث في حياتها القومية حافزا جديدا ، وبنى لها امبراطوريتها الافريقية ، وشيد لها الكثير من الاعمال العامة المهمة ، وكان قد تغلب بعزيمته وحدها عام ١٩٣٥ على عصبة الأمم ، وعلى خمسين دولة تتزعمها دولة واحدة وأكمل احتلاله للحبشة ، وكان نجاحه وانتصاره يلقي التأييد لدى عدد كبير من الايطاليين ، الا أن غلظته الكبرى كانت في اعلانه الحرب على فرنسا وعلى بريطانيا العظمى بعد انتصار هتلر في عام ١٩٤٠ ، ولو لم يرتكب هذا الخطأ لحافظ على ايطاليا في موقف الدولة التي تحقق التوازن والتي ينشد ودها الفريقان وهكذا مضى قدما في طريق اندمار .

وفي هذه اللحظة اقترف هتلر غلطة كبرى في ميدان الاستراتيجية والتوجيه الحربي ، فقد كان عليه بعدما تبين له من احتمال انسحاب ايطاليا من صفه وبعد التقدم الكبير الذي حققته روسيا ، والاستعدادات الواضحة التي تقوم بها بريطانيا والولايات المتحدة لعبور القناة ، أن يعتمد الى تركيز جيشه القوي وتنميته كقوة احتياطية مركزية ، وكان في وسعه بهذه الطريقة أن يستخدم المزايا الرفيعة للقيادة الالمانية وقواتها المسلحة ، وأن يستفيد في الوقت نفسه من الوضع المركزي الذي يحتله ، الا أنه حاول الاحتفاظ بكل ما كسبه ، فوزع قوات هائلة في البلقان وايطاليا ، ولو احتفظ بقوة احتياطية مركزية قوامها ثلاثون او أربعون فرقة من خيرة الجنود واقدريهم على الحركة ، لتمكن من أن يوجه ضربته الى أي من خصومه الذين يتقدمون نحو بلاده ، وان يخوض معركة فاصلة له كل الامل في كسبها وانفوز فيها ، وكان في وسعه مثلا أن يقاتل البريطانيين والامريكيين في اليوم الاربعين او الخمسين من نزولهم في نورماندي في العام التالي بقوات جديدة متفوقة وكانت الفلطة التي ارتكبتها في توزيع قواته ، هي العامل الذي مكنا من تنفيذ الهجوم الرئيسي المباشر في اوضاع تتيح لنا آمالا فسيحة وتحقيق لنا نصرا عظيما .

ولما عاد هتلر من اجتماعه الاخير بموسوليني ، كان واثقا من ان الابقاء على ايطاليا في الحرب لا يمكن ان يتم الا عن طريق تطهير الحزب الفاشي وتشديد الضغط الالمانى على القادة الفاشيست ، ولكن في الخامس والعشرين من يوليو بدأت تصل انى مقر قيادة هتلر تقارير مزعجة من روما واتضح في المساء ان موسوليني اما ان يكون قد استقال او اُقيل ، وان الملك اختار بادوليو ليخلفه في الحكم ، وتبين اخيرا ان القيام بأية عملية ضد الحكومة الايطالية الجديدة يتطلب سحب عدد

من الفرق من الجبهة الشرقية ، في الوقت الذي يحتمل فيه ان تقوم روسيا بهجوم في اية لحظة ، ووضعت الخطط لانتقاد موسوليني واحتلال روما ، ودعم الفاشية الإيطالية كما وضعت أخرى لمواجهة احتمال توقيع بادوليو الهدنة مع الحلفاء ، وذلك بالاستيلاء على الاسطول الإيطالي واحتلال الموانئ والمواقع المهمة في إيطاليا كلها ، والسيطرة على الحاميات الإيطالية الموجودة في البلقان .

وفي السادس والعشرين من يوليو ، حث هتلر مستشاريه على ان يعملوا فوراً لكي لا يتغلب عليه الانجليز والامريكيون ويضعوا على الألمان ثمرة انتصاراتهم وقال : انه يجب أن نعيد الحزب الفاشي إلى الحكم ، والا فإنا سنتعرض لخطر ضياع إيطاليا نهائياً وانتقالها إلى جانب الانجليز سكرتيرين .

موانئ مركب

بالنسبة لما طرأ على الموقف من تحسن مرموق في توجيه العمليات الحربية ضد صقلية للتغلب عليها واحتلالها ، خصوصا بعد ان تطورت الاوضاع في ايطاليا على النحو الذي ذكرناه في الفصل السابق ، فقد ازداد لدى النشعور بالحاجة الى الاجتماع بالرئيس روزفلت لعقد مؤتمر للبحث في هذه التطورات ، ولما كان الرئيس يرى ان يكون مكان عقد المؤتمر في مدينة « كوبيك » بكندا ، وقد رحب المستر مكنزى كينج رئيس وزراء كندا بذلك فقد استقر الرأي على عقد المؤتمر بها ، وقد اشترط الرئيس ألا تدعى كندا للاشتراك فيه ، حتى لا يكون ذلك حافزا للبرازيل وغيرها من الدول الامريكية على المطالبة بالاشتراك فيه وكذلك استراليا وغيرها من دول الممتلكات المستقلة .

وفي الرابع من اغسطس ابحرنا على الباخرة « الملكة ماري » حيث كان معي اكثر من مائتي شخص بالاضافة الى خمسين جنديا من البحرية الملكية ، ولما كانت الموضوعات التي سنبحثها في المؤتمر تشمل الحملة في البحر الابيض المتوسط التي كانت قد بلغت ذروتها ، وكذلك الاعداد لعملية عبور القناة عام ١٩٤٤ وادارة دفعة الحرب بصورة عامة في المحيط الهندي ، واسهامنا في الصراع ضد اليابانيين ، ولما كنا سنبحث أيضا في مختلف الشئون المتعلقة بالعملتين الحربيتين في الهند والشرق الأقصى ، فقد صحبت معي ثلاثة من ضباط الاركان الذين اوقدهم الجنرال مورجان ، وكذلك مدير العمليات الحربية في قيادة الجنرال ويفل ، وأخذت معي أيضا ضابطا شابا هو الزعيم وينجيت الذي كان قد أبرز كفاية ملحوظة في قيادة القوات غير النظامية في الجبهة وفي معارك الادغال في بورما ، وقد شرع يشرح لي نظريته في طريقة التغلب على اليابانيين في حرب الادغال عن طريق انزال جماعات من الجو وراء خطوط العدو لتهديدها ، وقد استهوتني هذه الفكرة كثيرا ورغبت في ان يقوم بنقلها الى رؤساء اركان الحرب أيضا .

ولما كنت أعرف أن الرئيس روزفلت يرحب بمقابلة الشباب الباسل فقد أخذت معي أيضا قائد الجناح جاي جيبسون الذي كان قد عاد بعد قليل من حملته الرائعة التي دمر فيها سدى الموهن والايدر في ألمانيا ، وهما السدان اللذان يزودان خوض الروهر الصناعي بالقوة الكهربائية ، كما جاءت معي زوجتي وابنتي ماري التي عملت كمرافق عسكري لي .

وفي أثناء الرحلة كنت أدرس مع رؤساء اركان الحرب مختلف النواحي المتعلقة بالمشكلات التي سنبحثها مع اصدقائنا الامريكيين ، وفي صباح ذات يوم ، جاءني الزعيم ماكلين مع ضابطين آخرين من

أركان حرب الجنرال مورجان ، وفتحوا أمامي خريطة كبيرة وأخذوا يوضحون عليها في سرد دقيق مقنع الخطة التي أعدت لعملية عبور القناة والهبوط في فرنسا ، وكانت هذه المرة الأولى التي استمع فيها إلى خطة كاملة بجميع دقائقها وتفصيلها المتعلقة بالأرقام وحمولة السفن والمبينة على أساس دراسة طويلة أعدها ضباط يمثلون البلدين .

وقد ضيق مجال الاختيار وانحصر في موقعين ، أما نورماندى أو خليج كاليه ، وكان الأخير يضمن لنا أحسن تغطية جوية ممكنة ، ولكن كانت خطوط العدو الدفاعية في هذه المنطقة تمنع منها في أى مكان آخر ، ولما كان الجنرال مورجان ومستشاروه يؤيدون فكرة غزو الساحل النورماندى ، وهى الفكرة التى كان يحملها مونتباتن منذ البداية ، فليس هناك شك في أن هذا القرار كان سليما ، لأن نورماندى كانت هى المكان الأفضل بالنسبة لان الخطوط الدفاعية فيها ليست من المناعة إلى الحد الذى هى عليه في خليج كاليه ، كما ان الشواطئ كانت مناسبة وصالحة لنزول القوات الغازية الكبيرة فيها ، ولأنها أيضا كانت بعيدة إلى حد ما عن قوة العدو الرئيسية وفى وسعنا ان نعزل ميناء شربورج ونستولى عليه بسرعة ، أما بريست ففى وسعنا ان نلتفت حولها وان نحتلها فيما بعد .

ولما كنت أفكر منذ عهد بعيد في موضوع سفن الانزال وفي معدات انزال الدبابات وذلك ببناء أرصفة عائمة فوق سطح البحر ، وكان العمل قد مضى قدما في اعداد كل هذه المعدات ، على اثر مذكرة وجهتها الى اللورد لويس مونتباتن قائد العمليات المشتركة ، وذلك في الثلاثين من مايو عام ١٩٤٢ ، وقد قلت فيها :

« يجب ان تقوم هذه الارصفة مع التيار ، وعلينا ان نتغلب على مشكلة المرسى ، ومن الواجب ان يكون في البواخر السنة جانبية وجسور متحركة هي من الطول بحيث تستطيع الوصول الى مراسى الارصفة العائمة ، أرجو أن تجدوا لي أفضل حل لهذه المشكلة ، وأرجو الا تناقشوا القضية فان المتاعب نفسها هي التى ستتولى النقاش » .

واتجه الرأي فيما بعد الى خلق مناطق صناعية من الماء المحصن من التيارات الهوائية وذلك بواسطة حواجز للماء توضع على سفن خاصة وتنقل الى المكان المعين بقوتها الذاتية ثم يجرى اغراقها وفقا للخطة الموضوعة في المكان المحدود ، وقد اقترح هذه الفكرة الكومندر هيوز هاليث في يونيو عام ١٩٤٣ ، وقد وضع مخطط شامل لبناء ميناءين صناعيين كاملين يمكن سحبهما واعدادهما للعمل بعد بضعة ايام من بدء عملية الانزال الاصلية ، كما أنه في وسع قطع الانزال ان ترسو عليها وان تفرغ حمولتها .

وقد اقتنعت الآن بالفوائد العظيمة التى يمكن ان نحصل عليها من استخدام هذه الموانئ والتى تضمن هبوط جيوش كبيرة تعدادها مليون من الجنود وقد تزداد إلى المليونين مع كل ماتحتاج اليه من معدات حديثة واجهزة وذلك عند مهاجمة قطاع الهافر - همبورج ، وبناء على ذلك فقد وضع مصممو المشروع ورؤساء اركان الحرب البريطانيين

ثلاثة افتراضات ، وافقت عليها تمام الموافقة كما وافق عليها اصدقائنا الأمريكيون ، وكما قبلها الروس ايضا وهى :

١ - يجب ان يكون هناك هبوط ملحوظ في قوة الطائرات الالمانية المقاتلة في شمالى اوربا الغربى قبل ان يبدأ الهجوم .

٢ - يجب الا يكون هناك في شمالى فرنسا عند شن الهجوم اكثر من اثنتى عشرة فرقة ألمانية متحركة ، والا يتمكن الالمان فى بحر الشهرين التانيين من اعداد اكثر من خمس عشرة فرقة اخرى .

٣ - يجب تدليل مشكلة تموين قوات ضخمة في وجه التيارات المائية الشديدة في قناة المانش لفترة طويلة ، ولضمان هذه النتيجة يجب علينا ان نتمكن من بناء ميناءين كبيرين على الاقل .

ولما كنت راضيا عن تمكنى من تقديم هذا العرض الشامل الى الرئيس مدعما بتأييدى الكامل فسيقتنع به اصدقائنا الأمريكيون ، ولذلك فقد عملت على حشد اعظم الخبراء في هذه الشئون من كل من لندن وواشنطن في « كوبيك » لوضع الحلول لمختلف المشكلات الفنية .

كما دارت لى احاديث اخرى مع رؤساء اركان الحرب حول مختلف القضايا المتعلقة بحرص الهند والشرق الاقصى ، واستعراض كل ما يتعلق بالقيادة العليا انبريطانية المواجهة لليابان ، وبدأ لى أن سير العمليات الحربية على نطاق واسع ضد اليابان يتطلب ايجاد قيادة عليا للحلفاء مستقلة كل الاستقلال ، وقد وافقنى رؤساء اركان الحرب على رأى ، واعدوا مذكرة بشأنها لى يبحثوها مع زملائهم الأمريكيين في « كوبيك » وقررت ان اقترح اسم الاميرال مونتابان لتولى القيادة العليا على الرئيس في اول فرصة ممكنة ، ولما عرضت الامر على الرئيس وافق عليه .

هذا وقد وصلنا الى هاليفاكس في التاسع من شهر اغسطس ومنها انتقلنا الى القطار الذى اوصلنا الى « كوبيك » وفي السابع عشر من اغسطس وصل الرئيس ومعه هارى هوبكنز ، كما جاء آيدن وبراندن براكن طائرين من انجلترا وأثناء اجتماعاتنا ، تواردت الينا الانباء عن مساعى ايطاليا لعقد الصلح .

وقررنا أن نبدأ فى بحث عملية « السد الأكبر » أى عبور القنساء على ضوء المخططات التى أعدها الجنرال مورجان والتي بحثها رؤساء اركان الحرب وهى تتلخص فيما يلى :

« تكون هذه العملية ، اول مجهود تقوم به القوات البرية والجوية البريطانية والامريكية ضد المحور فى اوربا وذلك فى اليوم الاول من مايو عام ١٩٤٤ .

توزيع الموارد المتيسرة بين عملية « السد الأكبر » والعمليات الاخرى فى البحر المتوسط بالقوات التى خصصت لها فى المؤتمر السابق الذى عقدناه فى واشنطن فى شهر مايو الماضى ، الا اذا قررت رئاسة اركان الحرب المشتركة خلاف ذلك .

ولما كانت الولايات المتحدة قد حصلت على القيادة العليا فى شمالى افريقية فقد اتفقت مع الرئيس على ان يتولى الجنرال بروك رئيس

أركان حـسـرب القـوات البـريـطـانيـة قـيـادـة عـمـلـيـة « السـد الأـكـبـر » ولـمـا كـان
مـن المـقـرر أن تـبـدأ هـذه العـمـلـيـة بـقـوات بـريـطـانيـة وـامـريـكـيـة مـتـسـاوـيـة ، ولـمـا
كـان مـقـر القـيـادـة فـي بـريـطـانيـا نـفـسـها ، فـقـد كـان هـذا التـرتـيـب هـو الأـفـضـل ،
أـمـا بـالنـسـبـة إـلى الشـرق الأـقـصـى ، فـقـد كـان الخـلاف الرئـيـسـي ،
بـيـن رؤـسـاء أركـان الحـرب البـريـطـانيـين والـامـريـكـيـين ، مـنـصـبـا عـلى أن
بـريـطـانيـا كـانـت تـطـالـب بـمـركـز لـا تـق فـي الحـرب ضـد الـيـابـان ، مـنـذ اللـحـظـة
الأـوـلى الـتى تـم فـيـها هـزـيـمـة ألمانـيا وكـنت أـحـث أـصـدقائـي فـي لـجـنـة رؤـسـاء أركـان
الحـرب عـلى أن يـطـالـبـوا بـهـذه النـقـطـة إذ أن كل ما كـنت أـخـشـاه فـي هـذه
المـرحـلـة مـن الحـسـرب ، أن يـقـول النـاقـدـون الـامـريـكـيـون « أن أنـجـلـتـرا قـد
أخـذت مـنـا أـقـصـى ما نـسـتـطـيـعـه لمـسـاعـدـتـها عـلى هـزـيـمـة هـتـلـر ، و سـتـقـف فـي
مـنـأى عـن الحـرب ضـد الـيـابـان تـاركة إـيانـا وـحـدنا فـي المـعـركـة » ولـكـنـنا أـزـلـنا
هـذه الفـكـرة تـمـامـا عـندما اجـتـمـعـنا فـي « كـوبـيـك » وعلـى الرـغـم مـن عـدم
اتـخـاذ قـرار فـي صـدد العـمـلـيـات الفـعـلـيـة الـتى سـتـتـخـذ ، إلا أنـنا قـررنا أن
نـركـز جـهـودنا الرئـيـسـيـة فـي عـمـلـيـات هـجـومـيـة تـسـتـهـدـف « أقـامـة اتـصـال
بـري مـع الصـين و تـحـسـين الطـرق الجـويـة والمـحـافـظـة عـليـها » .

كـما اسـتـقر الرأى عـلى أن نـعـمـل عـلى الوـصـول إـلى هـزـيـمـة الـيـابـان
فـي بـحـر اثـنـى عـشـر شـهـرا مـن أنـهـيار ألمانـيا .

أـمـا بـالنـسـبـة لـلـحـرب فـي البـحـر الأـبـيـض المـتـوسـط . فـقـد عـقد أـيزنـهـاور
فـي العـاشـر مـن أـغـسـطـس مـؤتمـرا عـسـكـريـا لـقـادـتـه العـسـكـريـين ، لـيـتـشـاورا فـي
كـيـفـيـة نـقل الـحـمـلـة إـلى إـيطـالـيا .

ولـمـا كـان لألمانـيا سـت عـشـرة فـرقة فـي شـمـالـي إـيطـالـيا تـحت قـيـادـة
رومـل وفـرقتـان بـالقـرب مـن رومـا ، وأربـعة أـخـرى فـي الجـنـوب تـحت قـيـادـة
كـيسـلـرنـج ، كـما أن فـي امـكـانـها تـعـزـيـز هـذه الفـرق بـعـشـرين فـرقة أـخـرى
كـان قـد تـم سـحـبـها مـن روسـيـا لـاعـادـة تـنـظـيـمـها فـي فرنـسا .

ولـمـا لـم يـكـن فـي وسـعـنا حـتى فـي مـدة طـويـلـة أن نـجـمـع مـثل هـذا العـدد
مـن الفـرق ولو أن لنا الآن السـيـطـرة عـلى أنـجـو والبـحـر ، و كـان الـهـجـوم
الـذى تـركـزت عـلـيـه الأفـكار الآن يـعـتـبـر مـفـامـرة خـطـرة وجـريئة ، و ذلك
بـقـصد الاسـتـيـلاء عـلى مـينـاءى نابـولـى وتـورنـتو لـيـمـكـن اسـتـخـدامـهـما .

ولـمـا كـان هـدفـنا الأول أـحـتـلال المـطـارـات . و خـصـوصـا القـرب مـنـها
مـن رومـا و كـذلك المـطـارـات المـوجـودة فـي فـوجـيا لـصـلـاجـيـتـها لـلقـاذـفـات
الثـقـيـلـة و كـذلك المـطـارـات انـكـائـنة فـي مـونـتيـكو وفـينـو ، فـقـد قـرر الجـنـرال
أـيزنـهـاور ، أن يـبـدأ الـهـجـوم فـي أول شـهـر سـبـتـمـبر مـن جـهة مـضـايـق مـسـيـنا
وأنـزال بـعض القـوات فـي كالابـريا بـقـصد أـحـتـلال نابـولـى ، وأنـزال فـيلق
أـخـر مـن البـريـطـانيـين والـامـريـكـيـين عـلى شـواطئ خـليـج سـالـيرنو المـمـتـازة ،
حـيـث كـان هـذا الخـليـج هـو الـحد الأـقـصـى الـذى كـان فـي اسـتـطـاعـة طـائـراتنا
المـقـاتـلـة العـامـلـة مـن مـطـار صـقـليـة أن تـحـمـيه تـوطئة لـزحـف قـواتنا شـمـالا
لـا حـتـلال نابـولـى .

ولـمـا كـانـت رياسـة أركـان حـرب القـيـادـة المـشـتـركـة قـد طـلـبت إـلى
أنا والرئـيـس أن نـخـول لـايزنـهـاور أـحـلال مـوضـوع سـردـينا وكـورسـيـكا
المـرتـبـة الثـانـيـة مـن ناـحـية الأولـويـة ، و كـان هـذا هـو ما سـمـيت إـليـه مـنـذ
زمن بـعـيـد ، فـقـد وافقـنا كـما وافقـنا عـلى أن تـنـزل الطـائـرات فـرقا مـن الجـنـود
لـا حـتـلال المـطـارـات الوـاقـعة فـي جـنـوبى رومـا .

غزو ايطاليا

انتهى مؤتمر « كويبك » في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، وطار زملاؤنا كل الى مقره في مختلف الجهات ، وقررت ان اقضى بضعة أيام من الراحة في مزرعة للماشية يملكها العقيد كلارك على بعد خمسة وسبعين ميلا من كويبك وتقنع وسقط الجبال بجوار بحيرة الجليد الكبرى ، ولاعد في الوقت نفسه الخطاب الذي تقرر ان أذيعه في الحادي والثلاثين من أغسطس ، وفي هذه المدة شهدت اجتماعا للوزارة الكندية وحدثت أعضائها بكل مالا يعرفونه عن المؤتمر وسير الحرب ، وقد أتيح لى شرف تأدية اليمين كعضو في المجلس الخاص التابع للوزارة الكندية وعدنا الى كويبك في التاسع والعشرين من أغسطس وقد شهدت اجتماعا آخر للوزارة الكندية ، وفي اليوم الحادي والثلاثين أذعت حديثي الى الشعب الكندي والى العالم المتحالف معنا ، قبل سفرى الى واشنطن ، ولما عدت الى البيت الابيض تحدثت الى الرئيس في مختلف الشئون وجاء الأميرال باوند أيضا ليجث معنا احدى النقسط البحرية . وقد وجه اليه الرئيس عدة أسئلة عن سير الحرب بصفة عامة ، وقد آلمنى أن أراه وهو الموثوق به ، قد فقد ما يمتاز به من دقة في سرد الحقائق التى كانت أعظم مزاياه ، وقد تبين أن ذلك راجع الى اصابته بنوبة مفاجئة سببت له شللا في جانبه الايمن ، والتي بسببها قدم استقالته وقد قبلتها في الحال ، وابرقت الى الاميرالية معينا نائبا لأميرال سيفريت ليتولى القيادة بدلا منه .

ولما كانت الاحداث تتوالى سراعا في ايطاليا ، أثناء محادثتنا في كويبك وكنت أتابع مع الرئيس سير مفاوضات الهدنة السرية مع حكومة بادوليو ، فقد تعمدت اطالة مدة اقامتى فى الولايات المتحدة ، لاظل على اتصال وثيق بأصدقائنا الامريكيين فى هذه اللحظة الدقيقة ، وفى يوم وصولى الى واشنطن جاءتنا أول أنباء رسمية بموافقة بادوليو على الاستسلام للحلفاء .

وفى الثالث من سبتمبر وقع الجنرال كاستيلانو الشروط العسكرية لاستسلام ايطاليا وذلك فى غابة زيتون على مقربة من سراقوزه ، وفى فجر اليوم التالى عبر الجيش الثامن مضائق مسينا ونزل فى ايطاليا .

هذا وقد أوفدنا الجنرال الامريكى تيلور فى السابع من سبتمبر فى مهمة سرية ليرتب مع رياسة اركان الجيش الايطالى تسليمنا المطارات الواقعة حول العاصمة ليلة التاسع من سبتمبر ، الا أنه فى ذلك الوقت طلب الجنرال كاستيلانو حماية الحلفاء لاطاليا ، بسبب

وجود قوات كبيرة من الالمان مهيمنة على المطارات الإيطالية ، ولان الجيش الإيطالي كان في وضع معنوي سيئ ويفتقر إلى العتاد والذخائر ، مما كان له أسوأ الأثر ، وحينئذ طلب الجنرال تيلور مقابلة المارشال الإيطالي ، وكان كل شيء في ذلك الوقت معلقا في كفة القدر لان القادة الإيطاليين كانوا يخشون أن يؤدي اعلان الاستسلام إلى احتلال الالمان الفوري لروما ، وإلى نهاية حكومة بادوليو ، فلما قابله في صباح اليوم الثامن من سبتمبر ، رجاء في تأجيل اذاعة شروط الهدنة لان المطارات أصبحت في أيدي الالمان ، ولذلك فقد أبرق الجنرال تيلور إلى القيادة العليا في الجزائر بأنه لا يستطيع ضمان سلامة مطارات روما ، ولذا فقد تقرر العدول عن عمليات الهبوط من الجو في هذه المطارات .

الا أن الجنرال ايزنهاور صمم على اعلان شروط الهدنة في الحال ورفض طلب بادوليو ، متبعا إياها بالبيان الذي أصدره المارشال بادوليو بعد ساعة واحدة من روما ، وهكذا تم استسلام إيطاليا .

ولكن القوات الألمانية بدأت في تطويق روما ، وتحصن بادوليو والأسرة المالكة في مقر وزارة الحربية ، ومنها نقلوا في خمس سيارات إلى ميناء سكارا على بحر الأدرياتيک ، وكان في انتظارهم طرادان ، أبحرت عليهما العائلة المالكة وبادوليو وأعضاء حكومته وكبار الموظفين إلى ميناء برنديزي فوصلوا إليها صباح يوم ١٠ سبتمبر ، حيث شرعوا في إقامة حكومة إيطالية معادية للفاشية في المناطق التي يحتلها الحلفاء .

وبعد مغادرة الفارين روما ، وصل إليها المارشال كافيليا بطل معركة فيتوريو فينيتو في الحرب الأولى ، وحمل على عاتقه مفاوضة القوات الألمانية التي تحاصر روما ، ووقع معها هدنة عسكرية ، وبذلك أصبحت الفرق الألمانية لها كامل الحرية في التجول داخل المدينة .

وبعد ذلك غادرت القوات الرئيسية للأسطول الإيطالي ميناء جنوا وسبيزيا في رحلة بحرية إلى مالطة لتستسلم للحلفاء ، وذلك تنفيذا لتعليمات الحلفاء ، وقد تعرضت هذه القوات أثناء سيرها على مقربة من ساحل كورسيكا الغربي لهجوم الطائرات الألمانية ، فأصيبت بارجة القيادة « روما » وانفجرت وغرق كل من عليها بما فيهم القائد العام للأسطول الإيطالي الأميرال برجاميني ، كما أصيبت البارجة « إيطاليا » بأضرار جسيمة أيضا ، وواصلت بقية قطع الأسطول سيرها تاركة بعض القطع الصغيرة لانقاذ الناجين ، وقد استقبلها الأسطول البريطاني في عرض البحر ورافقها إلى مالطة ، كما غادرت أيضا مجموعة أخرى من الأسطول الإيطالي ميناء تورين في التاسع من سبتمبر فوصلت إلى مالطة صباح الحادي عشر من سبتمبر وقد أبرق الأميرال كاتنجهام إلى الأميرالية يقول « ان أسطول البوارج الإيطالية يرسو الآن تحت حماية مدافع قلعة مالطة »

وهكذا سارت الأمور بالنسبة للحلفاء سيرا مرضيا ، فقطع الجيش الثامن مضائق مسينا ولم يلق أية مقاومة واحتل ريجيو ، ثم بدأ زحفه

على طرق كالابريا الجبلية الضيقة ، وأبرق إلينا الجنرال اليكساندر في السادس من ايلول يقول : « ان الالمان يقاتلون في آخر معركتهم ويخربون ويحرقون المدن ، وفي هذا الوقت كانت وحدات الحلفاء البحرية من مختلف الاشكال تقطع المضيق بين صقلية والبر الايطالى تنقل الرجال والعتاد ، ولم يتعد القتال بعض المناوشات البسيطة .

وتلقيت من الجنرال اليكساندر ليلة الثامن من سبتمبر ، رسالة تبشرنى ببدء الهجوم عندما كنت أغادر كوبيك عائدا الى الوطن ، وقد بعثت اليه بالرد التالى : آمل أن تكون مراقبا لكل ما يدور في المعركة التى يتوقف عليها كل شئ الآن ، كما يجب الا نضن بأى شئ على معركة نابولى الحاسمة » وكان رده مطمئنا وسريعا ، ويقول : « شكرا جزيلا على عرضك المساعدة ، واننا نبذل كل شئ لنجعل من هذه العملية عملية ناجحة وسيقرر مصيرها في الايام القليلة القادمة » وقد شعرت بشئ من الارتياح عندما علمت بأن الاميرال كاتنجهام لم يتردد في المجازفة ببوارجه والدنو بها من الساحل لمساعدة الجيش حيث بعث بالبارجتين « دورسبايت » و « فاليانت » للاشتباك في المعركة ، وقد أصيبت لسوء الحظ البارجة « دورسبايت » بعد ظهر السادس عشر من سبتمبر بنوع جديد من القنابل المنزقة التى لم تكن حتى الآن قد سمعنا عنها .

وبينما كنا لا نزال في عرض المحيط نشق طريقنا بالتواء ، عائدين الى الوطن وجهت قواتنا ضربة حاسمة الى ميناء تورنتو ، مما أمن لبوارج الاسطول الملكى الدخول بجراة في هذا الميناء ، كما أمن نزول قواتنا البرية على شاطئ ساليرو دون أن تلقى أية مقاومة ، ولم تتعد خسارتنا طرادا واحدا أصيب بلفم فغرق في البحر ، ولا ذات احتفظ بالعلم البريطانى الذى رفعه اليكساندر على تورنتو والذى كان أول اعلام الحلفاء التى خفقت فوق القارة الاوربية .

ومضت معركة ساليرو في طريقها ، وبعد قتال مرير عانىنا فيه مخاوف ومخاطر كثيرة ، فشل الالمان في قذفنا الى البحر ، وادرك كسلرنج انه فاشل لا محالة ، وركز جناحه الايمن على التلال القائمة وراء ساليرو ، ليؤمن سحب قواته الى الورا ، وسرعان ما زحف الجيش الثامن بقيادة مونتجمرى فاتصل بالجيش الخامس الذى كان قد لحق به التعب والانهاك ، وتقدم الفيلق البريطانى العاشر والى يمينه الفيلق الأمريكى السادس ، دافعين أمامهما قوات العدو المتراجعة حول فيزوف ، فعبرا آثار مدينتى بومبى وهيراكليوم ودخلا نابولى في اليوم الاول من نوفمبر ، وبذلك تم لنا الانتصار .

جمودى فى البحر المتوسط

وبعد عودتى من هاليفاكس بأيام قليلة ، أرسلت برقية الى الجنرال ايزنهاور ، أحدد فيها نسبة المجهود الذى يجب أن يكرس لمشروعاتنا المختلفة ولاسيما فيما يتعلق منها بالمراكز الحساسة ، أقول :

١ - لما كنت الح على ضرورة العمل فى اتجاهات مختلفة ، فمن الضرورى أن أعرض عليك « الاوليات » التى أحددها فى فكرى لهذه الاهداف المرغوب فيها بصورة عامة .

٢ - علينا أن نكرس أربعة أخماس جهودنا فى اعداد قوتنا فى ايطاليا لانهاء السيطرة عليها ، وأن نكرس تسعة أعشار مجهودنا للأطمئنان على مصير كورسيكا التى ستنتهى منها قريباً الى الادرياتيک ، أما العشر الباقى فيجب أن يركز على رودس ، ويتوقف هذا كله بالطبع ، على العوامل المحدودة لمجهودنا ، واعنى بها قطع الانزال ، وسفن الهجوم مع الوحدات البحرية الخفيفة .

٣ - أبعث اليك بهذا على اعتبار انه توجيه أولى يدلك على ما افكر فيه ، لانى لا أريد منك أن تشعر بأنى أحاول الضغط على جميع الاتجاهات دون فهم القيود والمغارم التى تعانى منها .

وقد رد ايزنهاور فى اليوم التالى بالبرقية التالية :

« اننا ندرس ما لدينا من موارد بعناية ، لنعطى للشرق الاوسط كل ما يحتاج اليه من عون فى هذا المشروع ، واعتقد أنه فى وسعنا أن نضمن أقل ما نحتاج اليه من متطلبات فى هذه المنطقة .

وعندما يستطيع منتجمرى أن يتقدم بقواته الى الامام ، لدعم ميمنة الجيش الخامس ، فان الامور ستسير بسرعة فى جبهة نابولى ، أما الآن فنحن فى وضع يشبه كل وضع يسود بعد المراحل المبكرة لاية عملية مشتركة ، اذا تمددت قواتنا من ناحية ادارية وتكتيكية ، ونحن نعمل بجهد لتحسين الموقف ، وسنتلقى أنباء طيبة قبل مضي وقت طويل »

ولكن هذا الرد لم يشر اشارة واضحة للنقاط التى اثرتها فى رسالتى ، والتى اعتبرها أهم جزء فيها ، وهى المتعلقة بتوزيع قواتنا لمواجهة المشروعات الفرعية وهى مشروعات كثيرة ..

وقد أدى استيلاء ايطاليا ، الى اتاحة الفرصة لكسب جزر بحر ايجة التى كنا ننظر منذ أمد بعيد اليها كأهداف نتطلع الى احتلالها حيث كانت قلاع رودس و لينوس وكوس محصنة وتحتل مرتبة عالية

بين أهدافنا ، وكانت رودس تعتبر مفتاحا لهذه المجموعة بالنظر الى مطاراتها الجيدة التى نستطيع منها أن نحمى الجزر الأخرى التى قد نحتلها لاستكمال سيطرتنا البحرية على هذه المياه يضاف الى هذا أن القوات الجوية البريطانية العاملة فى مصر وبرقة تستطيع أن تقوم بحماية مصر ، بطريقة أفضل ، اذا تقدم بعضها الى مطارات رودس واحتلتها ، ولا ريب انه بغضد أن سيطرنا على جزر بحر ايجه ، اعتبرنا هذا العمل حاسما بالنسبة الى تركيا ، التى تأثرت تأثيرا عميقا بانهيائهم ايطاليا ، واذا تمكنا من استخدام بحر ايجه ومضائق الدردنيل ، فقد يصبح طريقنا البحرى قصيرا الى روسيا ، ولن نعود فى حاجة الى القوافل القطبية الكثيرة الخطورة والباهظة التكاليف ، أو الى طريق التموين الشاق الطويل عبر الخليج العربى .

ولما شعر الألمان بالخطر الشديد المخيف الذى توقعوه منا على جناحهم الجنوبي الشرقى ، حث ممثلو الجيش والبحرية فى مؤتمر عقد فى مقر قيادة القوه فى الرابع والعشرين من سبتمبر - زعيمهم على وجوب الجلاء عن كريت وبعض جزر بحر ايجه ، قبل ان يفوت الاوان ، وأشاروا الى القوات الامامية التى تركزت فى شرق البحر الابيض المتوسط استعدادا للهجوم وأكدوا ضرورة تجنب فقد القوات والمواد الحربية التى قد تلعب دورا مهما حاسما فى الدفاع عن القارة ، ولكن هتلر رفض الانصياع الى هذه الآراء ، وأصر على عدم الجلاء عن كريت وجزر الدوديكانيز بوجه خاص ، لما يترتب عليه من آثار سياسية وقال : « ان موقف حلفائنا فى الجنوب الشرقى وموقف تركيا ، تقررهما الثقة فى قوتنا ، ولا ريب أن التخلي عن هذه الجزر سيخلق أثرا سيئا للغاية » وقد برهنت الاحداث على صحة حكمه فى النضال دفاعا عن جزر بحر ايجه فقد أحرز مكاسب ضخمة بأقل ما يمكن من التكاليف بالنسبة للوضع الاستراتيجى الرئيسى ، فلقد كان مخطئا فى البلقان ، ولكنه كان مصيبا فى بحر ايجه .

الا انه فى هذه الاثناء تحسنت أوضاعنا ولم تحل نهاية شهر سبتمبر حتى كنا نحتل جزر كوس وليروس وساموس ، ووضعنا فيها حاميات الا أنه لم يكن فى وسعنا بالنسبة لقلة البواخر أن نؤمن ارسال أسلحة ثقيلة وسيارات الى هذه الجزر ، وكانت جزيرة كوس مهمة للغاية من الناحية الاستراتيجية لانها كانت تضم مطارا تستطيع طائراتنا المحاربة أن تعمل منه وسرعان ما أعددناه للخدمة وأنزلنا الى الجزيرة أربعة وعشرين مدفعا للدفاع عن المطار ، وأصبحت الجزيرة طبعاً أول هدف للهجوم المضاد من العدو ، وفى صباح الثالث من أكتوبر هبسط المظليون الألمان فى المطار وتغلبوا على السرية الوحيدة التى كانت تدافع عنها . وتم عزل بقية سرايا الفوج فى شمال الجزيرة بحركة انزال بحرية قام بها العدو ، ولم يتمكن اسطولنا من وقفها وسقطت الجزيرة فى أيدي العدو .

وأبرق الى ويلسون فى الثانى والعشرين من سبتمبر ، يحشد أقل ما يحتاج اليه من مطالب للقيام بمحاولة جديدة ضد رودس ، وقد قرر استخدام الفرقة الهندية العاشرة وجزءاً من لواء مدرع وكان.

في حاجة الى بعض القوات الحارسة والى بعض قوات الانزال التي تقصف بمدافعها مواقع الانزال ، وثلاث بواخر لانزال الدبابات ولحمل السيارات وسفينة مستشفى ، وعدد من طائرات النقل لحمل فوج من المظليين ، وقد أزعجني عجزنا على دعم هذه العمليات ، فأبرقت الى الجنرال أيزنهاور طالبا عونه ، وقد استطاعت المساعدات التي أرسلها لنا أن تحرز نجاحا مذهلا .

ولما كان الالمان قد استعادوا زمام المبادرة الآن ، حيث نقلوا عددا كبيرا من طائراتهم الى بحر ايجه لاجباط الخطة التي كنت حزمت أمرى عليها فقد عرضت القضية على الرئيس روزفلت في السابع من أكتوبر ، ولكنني تأملت أشد التألم عندما تلقيت منه برقية تكاد تشبه الرفض ، وتركتني هذه البرقية في وضع حرج ، أواجه الضربة المتوقعة التي لم يعد منها مئاص ، وقد بعثت الى الرئيس روزفلت بالبرقية التالية :

« لا أريد أن أرغم أيزنهاور على تحويل قواته مما يترتب عليه تحديد امكانياته في تطوير العملية الإيطالية ، تطويرا ناجحا ومبكرا يضمن لها الحصول على خط دفاعي أمين الى الشمال من روما .

واننى أعارض في أى تحويل للقوى ، قد يؤدي الى ما يرى أيزنهاور الى تهديد وضع سلامته الراهنة في إيطاليا ، وهو وضع يجرى اعداده بمنتهى البطء على ضوء الاعتبارات المترتبة على قوة خصمه ، الذي يتمتع بتفوق ملحوظ في القوات البرية والفرق المدرعة .

وانى لارى أيضا ضرورة عدم القيام بأى تحويل للقوى أو المعدات يؤدي الى التأثير على خططنا لعملية « السيد الأكبر » (أى) غزو أوروبا « ويوافقنى على رأى رؤساء أركان الحرب الامريكيون وقد بعثت بصورة هذه البرقية الى أيزنهاور »

وبعد ذلك قررت ان اطيح الى تونس حيث يجتمع الآن كافة القواد العسكريين العاملين في مؤتمر حربى .

ولكن رد الرئيس روزفلت قضى على كل ما تبقى لدى من آمال ، فقد أعرب عن رأيه في أن حضوري هذا المؤتمر ، سيكون غير مناسب ، ولهذا فقد ألغيت الرحلة ، وفي الوقت نفسه ، وصلت الانباء تقول ان هتلر قرر تعزيز جيشه في إيطاليا وأن يخوض معركة رئيسية الى الجنوب من روما ، وكانت هذه المعلومات كافية لقلب الميزان ضد ارسال النجذات اللازمة للهجوم على رودس ، الا اننى ظلت مقتنعا بأنه كان في وسعنا ادخال احتلال رودس ضمن الاطار العسكرى لمخططنا ولكننى على كل حال أذعنت .

ولما لم يكن في وسعى - وما زالت امامنا قضايا خطيرة للغاية - معقدة في كفة الاقدار - ان اغامر بأى تصدع في علاقتى الشخصية بالرئيس روزفلت

ولما كان احتلال روما لم يتم الا بعد ثمانية أشهر ، وقد استخدمنا من البواخر عددا يساوى عشرين ضعفا لما كنا في حاجة اليه لاحتلال

رودس في خلال اسبوعين ، طيلة الخريف والشتاء لنقل قواعد القاذفات الثقيلة من أمريكا وبريطانيا الى ايطاليا ، فقد ظلت رودس شوكة في جانبنا ، ولما رأت تركيا هذا الجمود غير العادي من جانب الحلفاء على مقربة من سواحلها غدت أقل استجابة لنا وحرمت علينا استخدام مطاراتها .

ولما نفذت القيادة الامريكية وجهة نظرها ، تحتم على البريطانيين أن يدفعوا الثمن ، على الرغم من أننا جاهدنا للحفاظ على مواقعنا في ليروس ، الا أن مصير قوتنا هناك أصبح محتوما ، وسارعت حامية ساموس المؤلفة من لواء كنت الملكي الثاني ، الى ليروس في المراحل الاخيرة ، ولكن المعركة كانت قد انتهت وسقطت النجدة بدورها فريسة للعدو ، لانها كانت تفتقر الى العون الجوي ، وهكذا سقط هذا اللواء من جنودنا في قبضة العدو ، وانتهت في الوقت الحاضر جميع آمالنا في بحر ايجه ، وحاولنا فورا أن نجس جميع حامياتنا الصغيرة من ناموس وغيرها من الجزر ، وأن ننقذ الناجين من ليروس ، فتمكنا من انقاذ نحو الف جندي بريطاني ويوناني مع عدد من الأسرى الايطاليين والالمانيين ولكن خسائرنا البحرية كانت بالغة ، فقد غرقت لنا ست مدمرات ، وغواصتان ، كما أصيبت أربع طرادات وأربع مدمرات بأضرار وقد اشترك معنا في هذه المحنة الأسطول اليوناني الذي لعب دورا عظيما طيلة مراحل القتال .

أما عملية « السيد الاكبر » اي « غزو أوروبا » فقد كان لي فيها فضل كبير حيث زودت ايزنهاور بأربع فرق بريطانية من مصر من خير الجنود واحسنهم تدريبا ، بالإضافة الى الفرق التي كان من المقرر أن نزوده بها في البداية كما جهزناها بموارد رئيسية لم تكن تتوقعها ، وبدونها كان من المحتمل أن تحل كارثة شاملة بالحملة كلها .

وفي هذا الوقت غير هتلر رأيه بالنسبة لاستراتيجية ايطاليا عملا بنصيحة كسلرنج واصدر أوامره الى قواته بالقتال في جنوب ايطاليا وقد اختار خطا يحاذي نهر سانجرو على جانب الادرياتيک عابرا سلسلة جبال ايطاليا الى مصب نهر كاراجليانو الى الغرب ، وهكذا تبدل الوضع في ايطاليا تبديلا كبيرا في غير صالحنا لان هتلر عزز هذه القوات بقوات كبيرة أخرى ، وكان الحلفاء على النقيض من ذلك ولم تتمكن الفرق الاضافية الاربع التي بعثت بها من سد الثغرة ، مما أدى الى اطالة الحرب في ايطاليا ، ومع هذا فلم يحل هذا كله دون أن نبدأ عملية « السيد الاكبر » بنجاح في السادس من يونيو وبقوات كافية .

القوافل القطبية

انتهى عام ١٩٤٢ بعمل جرى قامت به المدمرات البريطانية التي ترافق احدى القوافل الى شمال روسيا في المياه القطبية ، مما أدى الى أزمة في القيادة العليا الالمانية ، وطرد الاميرال ريدير من الاشراف على الشئون البحرية كما قامت قافلتان أخريان مؤلفتان من اثنتين وأربعين سفينة برحلات خطيرة بين شهر نوفمبر وشهر مارس ، أى في الأشهر التي يكون فيها الجو مظلماً في القطب الشمالى ، وقد وصات منها أربعون سفينة ، ولما انتهت فترة الظلام وابتدأ الضوء استطاع أصبح من السهل على العدو أن يهاجم القوافل ، وكان قد تركز ما تبقى من الأسطول الالمانى بما فيه البارجة تيريتز في المياه النرويجية ، فأخذ يؤلف خطراً كبيراً ومستمر يهدد معظم الطريق ، كما كانت معركة الاطلنطى مع الغواصات تتجه نحو أزمة عنيفة ، وكان العبء على مدمراتنا أكثر مما تطيق وتحتمل ، ولذلك فقد اقترحت الاميرالية في شهر ابريل وقف ارسال المؤن الى روسيا من هذا الطريق حتى يعود الظلام في الخريف .

وبعد ذوبان الثلوج في الربيع ، أخذ الفريقان يجمعان شمل قواتهما استعداداً للكفاح الرهيب ، وكان الروس قد أصبحوا الآن متفوقين في البر والجو وتمكنت المدفعية الروسية من تحطيم دبابات « النمر » الجديدة التي كانوا قد علقوا عليها الكثير من الآمال في النجاح ، كما أنهالت الضربات الروسية أثناء المعارك الثلاث في كورسك وأوريل وخاركوف ، مما سبب خسائر فادحة لالمانيا .

ولم يأت شهر سبتمبر ، حتى كان الالمان يتراجعون على طول جبهتهم الغربية من منطقة موسكو حتى البحر الاسود ، كما لم يستطيعوا الصمود على نهر الدينير ، وخصوصاً بعد أن قطع الطريق على الحامية الالمانية القوية في شبه جزيرة القرم ، وسقطت كييف في السادس من نوفمبر ، ولم يحل شهر ديسمبر حتى كانت الجيوش الالمانية في اواسط روسيا وجنوبيها قد أرغمت على التراجع الى الورااء مسافة مائتى ميل وفشلت في الاحتفاظ بخط نهر الدينير .

ولما كانت روسيا في حاجة ماسة الى امدادها بما تحتاج اليه جيوشها من عتاد وذخيرة فقد استدعى مولوتوف سفيرنا في موسكو وطلب اليه سرعة استئناف ارسال القوافل ، وأشار الى أن الاسطول الايطالى في البحر الابيض قد زال من الوجود ، وأكد أن السكة الحديدية الايرانية لا تستطيع أن تحمل ما فيه الكفاية وقال ان الحكومة الروسية تصر تبعا لذلك على استئناف ارسال القوافل بسرعة فائقة .

وعندما اجتمعنا في لندن في التاسع والعشرين لدراسة جميع هذه الموضوعات عرضت أمامنا حقيقة مناسبة ، فقد تمكنت غواصاتنا من مهاجمة البارجة تيربيتز وعطلتها عن العمل ، كما أن البارجة لوتزار كانت قد ارتحلت الى البلطيق وهكذا فقد تحسن الوضع بالنسبة لنا في المياه القطبية لفترة بضعة شهور على الأقل ، ولهذا فقد بعث الى ستالين الرسالة التالية :

« يسرني غاية السرور أن أبلغك أننا نعد العدة لبحار مجموعة من أربع قوافل الى شمال روسيا في أشهر نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير على أن تتألف كل منها من خمس وثلاثين سفينة بعضها أمريكي والبعض الآخر بريطاني »

وقد أصدرت أوامري في الحال باتخاذ الاجراءات اللازمة لارسال هذه القوافل الأربع ولو أن ما كان لدينا من بحارة أقل مما كنا نحتاج اليه ، ولما كان البحارة يشكون من سوء معاملة روسيا لهم ، فقد طلبت الى ستالين أن يعالج هذه الاوضاع لانه كان لا يسمح لهم بالنزول الا في زورق روسي وبحضور موظف سوفيتي كما كان لا يسمح لاي واحد بالانتقال من سفينة حربية بريطانية الى سفينة تجارية بريطانية الا بعد اعلام السلطات السوفيتية وينطبق هذا الاجراء على الاميرال البريطاني .

وقد رد على ستالين يقول : ان السلطات السوفيتية قد منحت رجال القوات المسلحة البريطانية والبحارة البريطانيين امتيازات وتسهيلات كثيرة وأن ليس لدى اعتراض على أن تتولى السلطات البريطانية نفسها أعمال الرقابة على البريد الشخصي لهذه القوات في الموانئ الشمالية على شرط المعاملة بالمثل .

وعلى أثر ذلك أعدت الترتيبات اللازمة لاستئناف سير القوافل ، وقد بدأت القافلة الأولى في شهر نوفمبر وتبعها الثانية في شهر ديسمبر وبلغ مجموعهما اثنتان وسبعون سفينة وصلت كلها بسلام .

هذا وقد قدر للقافلة المتجهة الى شمال روسيا في شهر ديسمبر أن تشتبك في معركة بحرية ناجحة مع البارجة الكبيرة شارنهورست في مياه النرويج وكانت ترافقها خمس مدمرات ، وكانت قوة الحراسة على القافلة تتألف من أربع عشرة مدمرة وثلاثة طرادات ، وقد أصيب في هذه المعركة كل من شارنهورست والطراد البريطاني نورفولك ، وبعد ذلك توقف الالمان وانسحبوا جنوبا .

وعندما علمنا في ابريل عام ١٩٤٤ أن البارجة تيربيتز قد تم اصلاحها وأخذت تتحرك في البلطيق هاجمتها طائراتنا من الحاملتين « فيكتور يوس » و « فيريوس » بالقنابل الثقيلة ، كما أخذت طائراتنا التي تقوم بهجماتها من قاعدة في شمال روسيا بتوجيه الضربة الحاسمة اليها فأغرقتها وأغرقت نصف بحارتها البالغ عددهم ١٩٠٠ رجل دون أن تضاب الا طائرة واحدة بأضرار ، وبذلك أصبح في

ميسور البوارج البريطانية الثقيلة أن تنطلق الآن حرة الى الشرق.
الاقصى .

وقد خسرنا طيلة الحرب احدى وتسعين باخرة تجارية في الطريق
القطبي تبلغ ٧٨٪ من مجموع السفن المرسلة الى روسيا و ٣٨٪
من البواخر الفارغة العائدة كما خسر الاسطول التجارى ٨٢٩ شخصا
من رجائه ، بينما دفع الاسطول الملكى ثمنا اعالى ، حيث غرق طرادان
وسبع عشرة سفينة حربية اخرى وغرق معها ١٨٤٠ جنديا
وضابطا .

طهران - الفاتحة

عندما عدت الى الوطن من مؤتمر كوبيك ، فكرت في اجتماع يضم رؤساء الحكومات الثلاث ، لما له من أهمية كبرى بالنسبة لعملية عبور القناة ودخولنا أوروبا في عام ١٩٤٤ ، واختيار قائد أعلى لهذه العملية ، ولما كنت قد اتفقت مع الرئيس في مؤتمر كوبيك على ان يتولى امريكى قيادة العملية ، فقد اتفقنا على اختيار الجنرال مارشال لتولى هذه القيادة ، وقد كان من المقرر ان تكون القوات البريطانية معادلة للقوات الامريكية في مستهل عملية « السيد الاكبر » وان يكون العدد الموجود منها في ايطاليا ضعف عدد القوات الامريكية ، كما يكون عددها ثلاثة أضعاف القوة الامريكية في البحر الابيض ، ولما كنت أشعر بأهمية الاجتماع مع الروس بعد أن اتحدث آراؤنا تجاه المشاكل البارزة المتعلقة « بالسيد الأكبر » وبموضوع القيادات العليا - كنت أرغب في ان تمر الاجراءات في ثلاث مراحل ، أولها - اتفاق انجليزى - امريكى واسع النطاق في القاهرة ، وثانيها - اجتماع ذروة لرؤساء حكومات دول الحلفاء الرئيسية الثلاث في طهران ، وثالثها - عند العودة الى القاهرة ، وقد وافق روزفلت على المجيء الى القاهرة أولا على أن يأتى اليها أيضا مولوتوف وزير خارجية الصين .

وقد أبحرت في الثانى عشر من نوفمبر من ميناء بليموث مع أركان حربى فى رحلة قدر لها أن تبعدنى عن انجلترا أكثر من شهرين ، ووصلت الى الاسكندرية فى اليوم الحادى والعشرين من الشهر ومنها طرت الى القاهرة فى اليوم نفسه وأقمت فى منزل مجاور للآهرامات حيث وجدت أن الجنرال شيانج كاي شك والسيدة قرينته قد وصلا من قبل ، وفى صباح اليوم التالى وصل الرئيس روزفلت وتقرر أن يكون فندق « مينا هاوس » مقرا عاما للمؤتمر ، وأيضا لاجتماع رؤساء اركان الحرب البريطانيين والامريكيين .

وعقد رؤساء اركان حربنا المشتركون جلسة فى الرابع والعشرين من نوفمبر برئاسة الرئيس روزفلت ، لم يشترك فيها الوفد الصينى لبحث العمليات الحربية فى البحر المتوسط وأوروبا ، واستهل الرئيس الاجتماع بالتحدث عن الأثر الذى قد تتركه على عملية « السيد الاكبر » أية عملية أخرى قد نقوم بها أثناء ذلك فى البحر الأبيض المتوسط بما فى ذلك مشكلة دخول تركيا الحرب الى جانبنا ، وقلت اننى اعتقد أن برنامجنا يجب ان يستهدف محاولة احتلال روما فى نوفمبر ورودس فى شهر فبراير ، وأن نستأنف ارسال المؤن الى اليوغسلافيين ، وأن نعيد فتح بحر ايجه على ضوء نتيجة محاولة جديدة تقوم بها مع تركيا وأن نمضى فى جميع استعداداتنا « للسيد الاكبر » بمنتهى السرعة .

وكان المستر آيدن قد وصل من لندن وانضم إلينا ، فتحدث عن الفوائد التي سنجنيها من دخول تركيا الحرب ، حيث سيضطر البلغاريون إلى تركيز قواتهم على الحدود ، وعلى سحب قواتهم التي تقدر بعشر فرق من يوغوسلافيا واليونان ، مما يحتم على الألمان إحلال قوات المانية بدلها كما سيصبح في إمكاننا مهاجمة آبار الزيت في بلويستي ، كما ستقطع تركيا معدن الكروم عن المانيا ، كما أن هناك فوائد أخرى ، وهو أن دخول تركيا الحرب ، قد يؤدي إلى تعجيل التفسير بين المانيا والدول التابعة لها ، ولكن الوفد التركي لم يتأثر بجميع هذه الحجج والبراهين ، فقد ذكر أعضاءه أن منح القواعد في الأناضول للحلفاء سيكون بمثابة تدخل في الحرب ، مما يستفز الألمان على الانتقام من استامبول وأتقره وأزمير ، ورفض الاتراك قبول وجهة نظرنا ولكنهم وعدوا بعرض وجهة النظر البريطانية على حكومتهم .

وكانت عملية « السيد الأكبر » قد وضعت مخططاتها بتفصيل دقيق وأسهاب ، لكي تبدأ في شهر مايو أو يونية أو يوليو على الأكثر من عام ١٩٤٤ كما أن هناك الجيش الإنجليزي - الأمريكي الضخم الذي يعمل الآن في إيطاليا والذي يجب علينا أن نمده بقوات جديدة لكي يتقدم شمالا ليحتل المطارات الواقعة في شمال العاصمة والتي نستطيع أن نشن منها غاراتنا الجوية على المانيا وإذا قدر لهذه العمليات أن تلقى مقاومة من العدو فإنها ستجذب قوات المانية ضخمة مما سيعطى للإيطاليين الفرصة للخروج بأنفسهم من المأزق .

كما لم أكن أعارض في هذا الوقت في عملية انزال قوات في جنوب فرنسا على ساحل الريفييرا ، على أن تستهدف العملية مرسيليا ويطولون ، ثم تزحف القوات البريطانية والأمريكية شمالا على طول حوض الرون ، كعملية مساعدة لعملية الغزو الرئيسي عبر القناة ، فإذا قرر الألمان المقاومة في هذه الجبهة فسندفعهم على سحب عدد كبير من فرقهم من الجبهة الروسية .

أما بالنسبة إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، فالقوة الجوية المحتشدة للدفاع عن مصر يمكنها أن تؤدي واجبات أخرى إذا اعتمدت على قواعد أمامية ، ولو تمكنا من احتلال رودس لأمكننا أن نسيطر سيطرة كلية على بحر إيجه ، ولوجدنا اتصالا بحريا مباشرا مع تركيا ، وإذا تمكنا من جهة أخرى من اقناع تركيا بالدخول في الحرب ، أو مندحيادها على الأقل إلى أقصى حد ممكن واقراضنا المطارات التي شيدناها لها أمكننا أن نسيطر على بحر إيجه وفي مثل هذه الحالة لا يصبح احتلال رودس أمرا ضروريا ، ولأمكننا أيضا أن نسيطر على البحر الأسود بغواصاتنا وقواتنا البحرية الخفيفة وأن نمد ذراعنا اليمنى إلى روسيا ناقلين إليها المؤن التي تحتاج إليها جيوشها بطرق أقل تكاليف وأكثر سرعة بدلا من طريق القطب الشمالي والخليج الفارسي .

ولما كنا على موعد مع المارشال ستالين على الاجتماع به في طهران فقد طرنا إليها أنا والرئيس ومستشارونا ، وعقدنا الجلسة الأولى

في دار السفارة السوفيتية في اليوم الثامن والعشرين من نوفمبر ، وكان مولوتوف والمارشال فورشيلوف هما اللذان يرافقان ستالين ، وبحثنا جميع الخطط الحربية سواء في روسيا أو أوروبا واتفقنا على ما يجب عمله ، وبعد العشاء ، انتحيت بـ ستالين واقترحت عليه أن نتحدث بعض الوقت عما سيقع بعد أن نكسب الحرب ، وقد انضم إلينا ايدن ، فقال ستالين ، دعونا ندرس أولا أسوأ ما يمكن أن يحدث ، فقد خيل إليه ان الفرصة ستتاح لألمانيا لكي تعود الى ما كانت عليه ، وستتمكن من شن حرب جديدة في وقت قصير ، وكان يخشى بعث الروح الوطنية الألمانية ولما سألته عن الوقت الذي يقدره لذلك قال : « في بحر خمسة عشر عاما أو عشرين عاما » وكان من رايه أن ندرس القيود الواجب علينا ان نفرضها على طاقة ألمانيا الصناعية ، فالألمان شعب قدير دأب على العمل ومجد وكثير الموارد وفي استطاعته أن يستعيد قوته بسرعة وسهولة ، فقلت ان من الواجب فرض بعض اجراءات للإشراف عليها ، واني أؤيد وجوب حرمانهم من الطيران المدني والحربي ومن نظام الأركان العامة . فقال ستالين يسألني : وهل تستطيع أن تمنع صانعي الساعات ومعامل الأثاث من صنع أجزاء القنابل ؟ : فقلت على العموم يجب علينا أن نؤمن سلامة العالم لخمس سنين قادمة عن طريق نزع سلاح ألمانيا ومنعها من التسلح والإشراف على مصانعها ، وخطر الطيران عليها ، وكل هذا يتوقف على استمرار صداقة بريطانيا وأمريكا وروسيا .

وكان تعليق ستالين : « ان كل ما ذكرته حسن نافع ولكنه غير كاف »

هذا وقد عقد الرئيس بعد ظهر اليوم التالي اجتماعا آخر مع ستالين ومولوتوف بحثت فيه عدة قضايا هامة ، بينها بصفة خاصة مشروع المستز روزفلت لحكم عالم ما بعد الحرب ، وكان من رايه ان هذا الحكم يجب ان يعهد به الى « رجال الشرطة الاربعة » وهم الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والصين ، ولم تكن استجابة ستالين مؤيدة ، اذ قال ان شعوب أوروبا الصغيرة لن ترحب « بـ رجال الشرطة الاربعة » وهو لا يعتقد بأن الصين ستكون قوية جدا عندما تنتهي الحرب ، وانها حتى لو كانت قوية فان الدول الاوربية سترفض قبول الصين كدولة تفرض عليها ارادتها وتنفذ رغباتها واقترح ستالين ايضا كحل آخر ان تكون هناك لجنة لأوروبا وأخرى للشرق الأقصى ، وأن تضم اللجنة الاوربية بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة ودولة أوربية أخرى .

وبعد ذلك عقدنا اجتماعنا الثاني ، وذكرت ستالين بالشروط الثلاثة التي يتوقف عليها نجاح عملية « السيد الاكبر » وأول هذه الشروط وجوب تخفيض قوة ألمانيا من الطائرات المحاربة في شمال غربى أوروبا في الفترة الواقعة التي تبدأ من اليوم حتى الهجوم تخفيضاً مرضياً ، وثاني هذه الشروط ان الاحتياطي الألماني في فرنسا والبلاد المنخفضة يجب الا يكون اكثر من اثنى عشرة فرقة كاملة ، والشرط

الثالث أن يعجز الألمان طيلة الستين يوما الأولى بعد بدء العملية عن نقل أكثر من خمس عشرة فرقة من الفرق للدرجة الأولى من الجبهات الأخرى ، ولتحقيق هذه الشروط يجب علينا أن نرغم الألمان على الاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من قواتهم في إيطاليا ويوغسلافيا وإذا دخلت تركيا الحرب فسيكون ذلك عوناً إضافياً ، ولذلك يجب علينا أن نواصل الاشتباك مع العدو وفي الجبهة التي نستطيع الآن محاربته فيها ، وإذا تمكنا من مقاتلتهم طيلة أشهر الشتاء في البحر الأبيض المتوسط ، فإن هذا سيسهم أعظم الإسهام في خلق الأوضاع التي تحتاج إليها لنجاح عملية « السيد الأكبر »

وسأل ستالين : ماذا سيحدث لو كانت لدى الألمان ثلاث عشرة فرقة أو أربع عشرة فرقة متحركة في فرنسا وأكثر من خمس عشرة فرقة متوافرة في جبهات أخرى ؟ فهل يعنى هذا العدول عن عملية « السيد الأكبر » فقلت له : « لا .. لا بالطبع لا .. »

وقبل أن نفترق وجه إلى ستالين سؤالاً آخر قائلاً : - هل تعتقد أن لدى أركان الحرب البريطانيين اعتقاداً جازماً بنجاح العملية ؟ قلت ، اعتقد ذلك بشرط أن تتوافر الشروط الثلاثة عندما تبدأ العملية ، وعند ذلك سيكون واجبنا المقدس ، أن نتدفق عبر القناة ضد الألمان وأن ندفع بكل ما لدينا من قوة وبعد ذلك افترقنا .

نتائج مؤتمر طهران

ولما كنت قد بلغت التاسعة والستين من عمري في الثلاثين من نوفمبر وكان هذا اليوم زاخرا بالذكريات وكان لدى كثير من الاعمال الهامة ، فقد قضيت في تصريحها ، وبالنظر الى ان الرئيس كان دائما على اتصال فردى بستانلين وقد تجنب في الوقت نفسه الاجتماع بي على انفراد منذ تركنا القاهرة ، فقد قررت ان اعمل على الاجتماع بستانلين اجتماعا شخصيا مباشرا ، وكانت قد تكونت لديه فكرة خاطئة عن اني اركان الحرب البريطانيين نريد وقف عملية « السيد الاكبر » اذا استطعنا ، لاننا نريد غزو البلقان بدلا من فرنسا « ورايت من واجبي ان انزع هذا الفهم الخاطئ من ذهن ستالين »

وبما ان الموعد الحقيقي لعملية « السيد الاكبر » يتوقف على تحركات عدد قليل من قطع الانزال وانتي ليست لنا بها حاجة لاية عملية تجرى في البلقان ، ولما كان الرئيس قد تعهد بالنيابة عنا ، بالقيام بعملية ضد اليابانيين في خليج البنغال ، ولو انه ألغى هذا التعهد لتوفر لنا العدد الكافي من القطع لانزال فرقتين في وقت واحد وتنفيذ العملية كما هو مقرر في مايو ، وهو الموعد المحدود الذي كنت قد اتفقت مع الرئيس على بدء الغزو فيه ، وقد تمكنت أيضا بعد عودتنا للقاهرة من اقناع الرئيس بالعدول عن مشروع البنغال وصممت على ان يعرفه ستالين الحقائق الأساسية اللازمة واننا قد اتفقنا أنا والرئيس على أن يكون شهر مايو هو موعد عملية « السيد الاكبر » على ان يبلغه الرئيس روزفلت ذلك بنفسه كرغبته .

وعندما أعلن ستالين تصريحه الخطير قبل يومين بأن روسيا ستدخل الحرب ضد اليابان بعد استسلام هتلر ، اقترحت فورا على الأمريكيين ان يعدوا قطعا كثيرة للقيام بالعمليات التي يطلب اليها القيام بها في المحيط الهندي للمساعدة في عملية « السيد الاكبر » وفي مثل هذه الحالة ستتوافر القطع اللازمة لجميع العمليات .

وليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأنني متراخ في موضوع « السيد الاكبر » فقد أردت ان احصل على ما احتاج اليه في البحر المتوسط ، وكان من الواجب أن نسوي الأمور بين رؤساء أركان الحرب وكنت آمل أن يتم ذلك في القاهرة قبل مجيئنا الى طهران ، ولكن سوء الطالع ان تشيانج كاي شيك كان هناك وان المشكلات الصينية احتلت اكثر من نصف وقتنا ومع ذلك فاني على ثقة من أن قطع الانزال ستتوافر لجميع العمليات .

اما الاعدادات لعملية « السيد الاكبر » فستكون في نهاية شهر

مايو أو يونيو على النحو التالي : ست عشرة فرقة بريطانية مع القوات اللازمة لإدارة الفيالق وقوات قطع الانزال والمدافع المضادة للطائرات وهو ما يربو على نصف مليون جندي بالإضافة إلى قوات الاسطول الملكي اللازمة لعملية النقل ولحماية الجيش . هذا بخلاف قوات السلاح الجوي العاملة في الوطن والمؤلفة من نحو أربعة آلاف طائرة ، كما بدى في نقل القوات الأمريكية إلى إنجلترا بمعدل مائة وخمسين ألف جندي شهريا ، وكان لهزيمة الفواصات في الاطلنطي الفضل الأكبر في تسهيل عملية النقل هذه ، هذا وقد كنت أؤيد القيام بالهجوم على جنوبى فرنسا في نفس الوقت الذى تقوم فيه عملية « السيد الأكبر » حتى نرغم العدو على ابقاء قواته في إيطاليا .

وهنا قال ستالين انه يود ان يوجه نظرى الى ان الجيش الأحمر يعتمد كل الاعتماد على نجاح غزونا لشمالي فرنسا ، واذا لم تبدأ العمليات في شهر مايو عام ١٩٤٤ ، فسيعتقد الجيش الأحمر انه لن تقع أية عمليات طيأة هذا العام . كما انه اذا لم يتغير الوضع في المسرح الأوروبى في عام ١٩٤٤ ، فسيكون من الصعب جدا على الروس ان يواصلوا القتال لانهم تعبوا من الحرب وهذا هو السبب الذى دعا لان يعرف ما اذا كانت عملية « السيد الأكبر » ستتحقق في الموعد المقرر أم لا ، لكى يتخذ ما يراه للحيلولة دون انتشار حالة التذمر والتمرد في الجيش ، وقد أكدت له ان العملية ستتم حتما بشرط الا يقابلنا العدو في فرنسا بقوات أكبر مما يستطيع البريطانيون والأمريكيون انزالها ، لأنه اذا تيسر للألمان ان يواجهوا جيوشنا بثلاثين أو أربعين فرقة فأننى اعتقد أن قواتنا لن تكون قادرة على الصمود أمامها . فقال ستالين انه لو تمكن من أن يعرف بأن الغزو سيقع في شهر مايو أو يونيو ، فانه سيعمد العدة لتوجيه ضربات الى ألمانيا في هذا الموعد ، وفي هذه الحالة لن تتوافر لألمانيا القوات اللازمة لجبهة فرنسا ، فرددت عليه بآئننى لا أستطيع ان اكشف عن الموعد دون موافقة الرئيس .

وعليه فقد توجهنا أنا وستالين لمقابلته ، وقد أبلغه الرئيس أننا اتفقنا على شن حملة « السيد الأكبر » في شهر مايو ، وقد أثلج هذا الخبر المارشال ستالين « وقال من سيتولى قيادة عملية « السيد الأكبر » ؟ فقالت له ان الرئيس لم يستقر على رأى بعد ، ولكنى واثق من انه سيكون الجنرال مارشال ، فسر سرورا عظيما لهذا النبأ .

ولما كنا جميعا متفقين واستقر رأينا على جميع العمليات ، فقد شعرت بأحاساس قوى من التضامن والزمالة الطيبة .

وتراءى لى أن جميع السحب قد انقشعت ، وبالفعل فان ثقة ستالين بالرئيس ، اقيمت على أساس من الاحترام وحسن النية كما أنها لم تصب بوهن طيلة المدة التى قضيناها في العمل المشترك .

وبلغت محادثتنا الطويلة الشاقة في طهران نهايتها في الأول من شهر ديسمبر وتقرر أن يبدأ الغزو عبر القناة في شهر مايو بشرط

أن تكون التيارات البحرية ملائمة وكذلك أحوال القمر ، كما تقرر أن يعزز بهجوم روسي قوى في الوقت نفسه .

وكان علينا أن نجدد بذل جهودنا القوية لحمل تركيا على الدخول في الحرب الى جانبنا لما تنطوي عليه هذه الخطوة من أهمية في بحر ايجه والبحر الاسود ، ولكن هذه الجهود كلها منيت بالفشل .

هذا وقد أصبحت النواحي السياسية أقرب الى الخيال ، وكان من الواضح أنها تعتمد على نتائج المعارك العظيمة التي كان من المقرر أن تدور وعلى أوضاع كل من الحلفاء بعد تحقيق النصر ، ولم يكن من المناسب في طهران بالنسبة للديمقراطيات الغربية ان تقيم خططها على أسس من الشكوك في موقف روسيا ساعة النصر ، وعند زوال جميع الأخطار ، ولما كان ستالين قد وعد بدخول الحرب ضد اليابان فور الانتهاء من هزيمة هتلر ، وكان أمل الغد يتركز في الإسراع بنهاية الحرب ، فقد تقرر إقامة جهاز عالمي يحول دون نشوب حرب أخرى ، ويقوم على أساس القوة المشتركة للدول العظمى الثلاث .

وبالطبع لم تكن الطريقة التي سيعامل بها المنتصرون المانيا موضوع بحث نهائي في هذه المرحلة ، وإنما كانت موضع عرض تمهيدى لمشكلة سياسية واسعة النطاق ، لاننا كنا لا نزال في كفاح رهيب ضد القوة النازية الجبارة وكانت تشغلنا أهوال الحرب وأخطارها ومختلف عواطف الزمالة بين الحلفاء ، والعقاب للعدو المشترك ، وكانت مشروعات الرئيس تفضي بتجزئة المانيا الى خمس دول مستقلة ذاتيا ، والى مقاطعتين تظلان تحت إشراف الأمم المتحدة أكثر قبولا لدى ستالين من اقتراحى الذى يقضى بعزل بروسيا وتأليف اتحاد تعاونى دانوبى أو اتحاد لجنوب المانيا مع آخر لحوض الدانوب .

لاننا كنا جميعا نخشى خشية كبيرة من وجود المانيا موحدة ، ولما كان لبروسيا تاريخها العظيم الخاص بها ، فقد كان من الممكن في رأيى ان نعقد معها صلحا شريفا حازما ، وان نجدد في الوقت نفسه ما كان يدعى في الماضى بالامبراطورية النمساوية المجرية ، التى كثيرا ما قيل عنها انها « اذا لم توجد فمن الواجب ان تخترع » وذلك ضمانا لقيام منطقة واسعة الأرجاء يسودها السلام والصداقة .

ومع هذا فما ان انتهت الحرب ، حتى وقعت تغيرات عظيمة ملأى بالكوارث فالحدود البولندية ، لا توجد الا في عالم الخيال ، وهامى ذى بولنده ، تقع مرتعدة الاوصال في قبضة الشيوعية الروسية ، وقد قسمت المانيا حقا تقسيما مخيفا ، حيث قسمت الى مناطق محتلة عسكريا ، مما لا يسع الانسان الا القول بأن هذه المأساة لا يمكنها ان تستمر .

القيادة العليا

عدت من طهران الى القاهرة في اليوم الثاني من ديسمبر ، كما وصل الرئيس في المساء . وقد استأنفنا مباحثاتنا الودية حول اوضاع الحرب بصفة عامة ، كما استعرضنا نتائج مباحثاتنا مع ستالين ، كما قرر رؤساء اركان الحرب ان يستمروا في محادثاتهم المشتركة والتي تتناول جميع العمليات التي اتفقنا على القيام بها ، وكان الاميرال مونبتان قد عاد الى الهند ، بعد ان قدم مشروعه المعدل عن العملية البرية المائية على جزر اندمان ، والتي ستشارك فيها جميع القطع ذات القيمة الحيوية ، التي بعثنا بها اليه من البحر الأبيض المتوسط ، كما اردت أيضا ان اقوم بمحاولة أخيرة للحصول على تأييد الامريكيين للعملية البديلة ضد جزيرة رودس .

ولذلك فقد اجتمعت انا والمستر ايدن بالرئيس في اليوم التالي وبحثنا في نقط الخلاف القائمة بيننا بالنسبة للوعد الذي قطعه الرئيس للجنرال تشيانج كاي شيك قبل مؤتمر طهران ، بشن هجوم مبكر عبر خليج البنغال ، لأن هذا الهجوم كان كافيا للقضاء على كل أمل وخطة لاحتلال رودس ، والتي يتوقف عليها الى حد كبير دخول تركيا الحرب الى جانبنا ، وعندما أثار رؤساء اركان حربنا هذا الموضوع في المؤتمر العسكري رفض رؤساء اركان الحرب الامريكيون البحث فيه نسبة لأن الرئيس قد اتخذ قراره فيه ولا مجال للاختيار .

ولما عقدنا أول اجتماع لنا في الرابع من ديسمبر بعد عودتنا من طهران قال الرئيس انه يود ان يسافر في اليوم السادس من الشهر ، وطلب الى المختصين اعداد جميع التقارير لموافقة الفريقين نهائيا عليها ، قبل مساء الخامس من الشهر .

ولما كان لا يزال امامنا قضايا على جانب كبير من الأهمية وتحتاج الى الحل بالإضافة الى الحادثين الحاسمين اللذين وقعا في الايام القليلة الماضية ، أولهما : ان ستالين أعلن ان السوفيت سيعلون الحرب على اليابان في الوقت الذي تتحقق فيه هزيمة ألمانيا ، وهذا يضمن لنا قواعد أفضل بكثير من تلك التي يمكن لنا الحصول عليها في الصين ، كما يحتم علينا تركيز جهودنا لننتهي من عملية « السيد الاكبر » في أسرع وقت ممكن حتى ننتهي من أمر ألمانيا ، فقد رأيت انه من الواجب على اركان الحرب ان يدرسوا ، كيفية تأثير هذا على العمليات في المحيط الهادي وجنوب شرقي آسيا .

اما الحادث الثاني : البالغ الأهمية ، فهو قرارنا بعبور القناة في شهر مايو ، والذي كنت أود من ناحيتي ان يكون الموعد شهر يوليو ،

وهذه المهمة تفوق غيرها من المهام الأخرى شأنًا وخطورة ، حيث أنه سنقذف في القريب العاجل إلى أتون المعركة بمليون أمريكي وخمسمائة أو ستمائة ألف بريطاني ولكي نعطي للعملية أقصى ما يمكن من الآمال في النجاح ، فقد رأيت أن يكون نزولنا في الريفيرا ، « وقد أطلقنا عليها اسم عملية السندان » على أقوى نطاق ممكن ، كما رأيت أنه من الضروري أن تتخذ كل الخطوات الممكنة للعمل في أي مكان آخر لنحول بين الألمان وبين تركيز قوات كبيرة ضد رموس جسورنا .

ولذلك فقد تم الاتفاق بيني . وبين الرئيس على النقاط التالية :

- ١ - يجب ألا تقوم بأي عمل يعرقل عملية « السيد الأكبر »
- ٢ - يجب ألا تقوم بأي عمل يعرقل عملية « السندان »
- ٣ - أن نتخذ جميع السبل لكي نوفر قطعًا للانزال «عمل في شرق المتوسط في حالة دخول تركيا الحرب

٤ - يجب إبلاغ الاميرال مونتباتن بأن يبذل جهده في خليج البنغال ، بالقوات التي سبق لنا تخصيصها له .

وقد اقترحت ، تعليقًا على النقطة الرابعة ه بأنه قد يصبح من الضروري سحب بعض القوات والموارد من مونتباتن لتقوية عمليتي « السيد الأكبر » و « السندان » ولكن الرئيس قال أنه لا يستطيع الموافقة على اقتراحي ، وأضاف قائلاً اننا ملزمون أدبيا بمساعدة الصين وأنه تبعًا لذلك ، ليس على استعداد للعدول عنها إلا إذا كان السبب قويا وواضحًا . وقلت للرئيس بأن هذا السبب القوي ، قائم في مغامرتنا العظيمة التي سنقوم بها في فرنسا ، هي لا تزال تقوم على أساس ثلاث فرق ه على حين اننا أنزلنا في صقلية في اليوم الأول تسع فرق . وعلى هذا يتبين أن أهمية هذه العملية الرئيسية ما زالت تقوم حتى وقتنا هذا على أسس ضيقة .

كما عاودت الحديث عن هجوم الريفيرا ، وبينت وجهة نظري بأنه يجب أن يقوم على أساس قوة هجومية لا تقل عن فرقتين ، لأن هذا يؤمن لنا القيام بعملية التفاف في إيطاليا ، واحتلال رودس إذا تقرر دخول تركيا الحرب فورًا ، وأشرت في الوقت نفسه إلى أن عمليات جنوب شرق آسيا يجب أن تقرر على ضوء علاقتها بالأهمية البالغة لعملية «السيد الأكبر» وقلت أنني مندهش من الطلب الذي وجه إلى الاميرال مونتباتن لاحتلال جزر اندمان ، وأنه على ضوء وعد ستالين بأن تدخل روسيا في العمليات الحربية ، تكون عمليات جنوب شرق آسيا قد فقدت الكثير من قيمتها ، ومع هذا فقد أبدى الرئيس رغبته في عدم موافقتي على العدول عن هذه العملية ، كما طلبنا إلى رؤساء الأركان البحث في التفاصيل .

وفي اليوم الخامس من ديسمبر اجتمعنا سويًا وقرأ الرئيس التقرير الذي أعدته هيئة أركان القيادة المشتركة عن العمليات في المسرح الأوروبي ووافقنا عليه .

كما انه بعد ان تشاور الرئيس مع مستشاريه بالنسبة لمشروع جزر اندمان قرر التخلي عنها وارسل برقية للجنرال تشيانج كاي شيك يبلغه فيها بالعدول عن مشروع جزر اندمان وهكذا فقد انتهت الازمة.

ولما كان من أهم أهداف اجتماعنا في القاهرة، استئناف المحادثات مع القادة الأتراك ، وكنت قد أرسلت الى الرئيس اينونو برقية من طهران اقترحت فيها عليه أن يجتمع بنا في القاهرة ، كما كان قد تم الاتفاق على أن يحضر فيشنسكى الاجتماعات ، ووصل الوفد التركى الى القاهرة في الرابع من ديسمبر واجتمعنا سويا في الليلة التالية بالرئيس اينونو الذى أبدى تحفظا شديدا تجاه الجهاز الحربى الالماني، إلا اننى شددت الضغط عليه هذه المرة ، وأكدت له أن انسحاب إيطاليا من الحرب زاد من فوائد دخول تركيا فيها وقلل من الاخطار التى ستعرض لها ، ولذلك فقد أبدى الرئيس التركى رغبته في عرض الموضوع على البرلمان التركى وسافر مع بقية أعضاء الوفد في الحال ، وفي هذه الاثناء قررنا أن يجتمع الخبراء البريطانيون لتنفيذ المرحلة الأولى من اقامة قوة للحلفاء في تركيا إلا أنه لم يكد يحل عيد الميلاد حتى كنت قد أصبحت ميالا الى ابقاء تركيا على الحياد .

هذا وقد ابلغنى الرئيس في اليوم السابق لسفره من القاهرة انه لا يستغنى عن الجنرال مارشال في واشنطن ، وأنه يقترح تسمية ايزنهاور قائدا لعملية « السيد الأكبر » بدلا منه ، وازاء هذا الأصرار فقد تولى ايزنهاور قيادة الغزو .

وبعد ذلك غادر الرئيس القاهرة في اليوم السابع من ديسمبر، كما غادرتها أيضا في اليوم الحادى عشر بالطائرة الى تونس لقضاء ليلة هناك في ضيافة الجنرال ايزنهاور ، ثم أغادرها في اليوم التالى الى مقر قيادى اليكسندر ومونتجمرى في إيطاليا الا اننى شعرت في اليوم التالى لوصولى الى تونس بأعراض الحمى وبظواهر تشير الى عودة ذات الرئة ، فلم أواصل رحلتى الى إيطاليا وبقيت ملازما الفراش في تونس ، واستعملت العقار الجديد « أم . اند . بى » الذى كان له أثر السحر في تخفيف حدة المرض وبذلك لم أتحل في أية لحظة عن ادارة دفة الأمور .

ولما كانت مهمتى العاجلة بوصفى وزيرا للدفاع بريطانيا ومسئولا أمام وزارة الحربية ، ان اقترح تعيين قائد بريطانى لجهة البحر المتوسط ، فتقرر اسناد هذا المنصب الى الجنرال ولسون ، كما تقرر ان يتولى اليكسندر قيادة الحملة الإيطالية جميعها ، كما كان يفعل في أيام الجنرال ايزنهاور ، وتقرر أيضا أن يكون الجنرال ويفرز الأمريكى نائبا للجنرال ولسون في البحر المتوسط ، وأن يكون قائد القوات الجوية تيدر ، نائبا للجنرال ايزنهاور في قيادة عملية « السيد الأكبر » وأن يتولى مونتجمرى القيادة الفعلية لقوات الغزو عبر القناة، الى أن يتمكن القائد الأعلى من نقل مقر قيادته الى فرنسا وتولى القيادة الفعلية بنفسه ، وقد تمت هذه الترتيبات بالاتفاق بينى وبين الرئيس وبموافقة وزارة الحرب .

ولما كنت أشعر بأننا قد وصلنا الى احدى ذرا الحرب ، وكانت عملية اعداد « السيد الاكبر » من أهم الاحداث والواجبات في التاريخ ولما كان من أهم عناصر النجاح في العمليات الحربية وجود الانسجام التام في المجهود الحربي عن طريق التناسق بين عمليتي الغزو من ايطاليا وعبور القناة ، حتى يؤدي كل جزء من أجزاء القوة المقاتلة دوره الكامل طول الوقت ، وكنت واثقا من أن شن الحملة في ايطاليا في النصف الأول من عام ١٩٤٤ ستكون خير معوان للعملية الضخمة في عبور القناة ، وهي العملية التي تتركز عليها جميع العيون ، فقد كان من الواجب بحث كل مادة ضرورية لهذه العملية ، وكان علينا ان نعمل على استخلاص عشرين قطعة انزال من هذه العملية لغيرها ، وقد بدت لي هذه العملية في منتهى البساطة ، فجميع البواخر التي نملكها ستستخدم لتنقل الى انجلترا كل ما يمكن للولايات المتحدة اعداده من الرجال والعتاد ، وفي وسع القوات الضخمة التي لم نستطع نقلها بطريق البحر ان تحتل ايطاليا بسهولة ، وان تصل فورا لتعمل في جبهة المانيا الداخلية أو ان نجذب قوات المانية ضخمة من الجبهة التي كنا سنهاجمها عبر القناة في الأيام الأخيرة من شهر مايو أو أوائل شهر يونيو .

هذا وقد أدت فترة الجمود التي اضطرت اليها قواننا بسبب المقاومة الالمانية العنيفة على طول الجبهة الممتدة ثمانين ميلا من البحر الى البحر الى تفكير الجنرال أيزنهاور في القيام بهجوم جناحي برى بحرى بفرقة واحدة الى الجنوب من نهر التيبر على روما ، في الوقت الذي تشرع فيه جيوشه بهجوم عام على طول الجبهة ، وأدى توقف جيوشنا الى شعور كل واحد بأن الحاجة العسكرية تتطلب نزول اكثر من فرقة واحدة . وكنت بالطبع أؤيد دائما فكرة العملية التي أسميها « مخلب القط » وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا كبيرا من جانب المحترفين ، وأضحى أيزنهاور ملتزما بها من ناحية المبدأ ، كما كان اليكساندر الذي يتولى قيادة الجيوش في ايطاليا يرى ان هذه العملية صحيحة وضرورية ، كما كنت على ثقة من أن رؤساء أركان الحرب البريطانيين سيؤيدون هذه الخطة ، وقد أبرقوا الى في الثاني والعشرين من ديسمبر بعد أن عرفوا وجهة نظري هذه يقولون ، اننا على اتفاق تام معك بأن هذا الركون الراهن لا يمكن أن يستمر والحل كما تقول ، يقوم في استخدام قواتنا البرية والبحرية لتضرب مؤخرة العدو وجناحه وتمهد الطريق لزحف سريع على روما وأن هذه الخطة الجديدة ستعني العدول عن احتلال رودس ، كما اقترحوا اثاره المسألة مع رئاسة أركان الحرب المشتركة على أساس العمل على ضوء هذا المخطط قورا .

ولذلك فقد عقد في صباح يوم عيد الميلاد مؤتمرا في قرطاجنة، شهدته أيزنهاور وأليكساندر وبيدل سميث والجنرال ولسون وتيدر والأميرال جون كاتنجهام وغيرهم من كبار القادة ، وقد اتفقنا جميعا على أن نطلب ما لا يقل عن فرقتين .

وعندما انتهت مباحثاتنا ، أرسلت البرقية التالية الى الرئيس ،

كما بعثت بأخرى مماثلة الى الوطن ، وقد حرصت كل الحرص على بيان الحقائق بصراحة :

« ولما كنا قد احتفظنا بست وخمسين قطعة من قطع الانزال في البحر الابيض المتوسط ، هذه المدة الطويلة ، فمن غير المعقول ان نقلها الآن في الاسبوع الذي نستطيع فيه أن نسدى خدمة حاسمة ، وهل هناك شيء أكثر خطرا من ان نترك المعركة الإيطالية في حالة جمود مستمر طيلة ثلاثة اشهر أخرى ؟ وليس في وسعنا أن نتقدم الى الامام مخلفين وراءنا عملا لم تكمل الا نصفه ، ولهذا فقد اتضح للحاضرين أن الواجب يتطلب النزول الى انزوي بفرقتين على الأقل ، حوالي العشرين من يناير ، وقد صدرت الأوامر الى الجنرال اليكساندر لاعداد العدة اللازمة لهذا النزول ، واذا لم ننتهز هذه الفرصة فعلينا أن نتوقع فشل حملة البحر المتوسط في عام ١٩٤٤ ، ولهذا فأننى آمل بان توافق على تأجيل عودة الست والخمسين قطعة من قطع الانزال مدة ثلاثة أسابيع ، وأن توعز الى جميع السلطات المختصة بأن تتيقن أن عملية « السيد الاكبر » لن تتأثر بهذا الاجراء »

وقد تلقيت في اليوم الثامن والعشرين من يناير ، برقية من المستر روزفلت بالموافقة على تأجيل قطع الانزال ، على شرط أن تظل عملية « السيد الاكبر » هي العملية المسيطرة ، وان تنفذ في الموعد الذي اتفق عليه في القاهرة وطهران ، وكان هذا مبعث سرورى المزوج بالدهشة وقد ابرقت الى الرئيس ، أشكره على هذا القرار الرائع الذى يعيد الى صفوفنا الوحدة الشاملة ازاء هذا المشروع العظيم .

وكانت برقية الرئيس أشبه ماتكون بالمعجزة ، وعرفت انى لست مدينا بها الى حسن نية الرئيس وحده ، بل الى عقل الجنرال مارشال الموزون ، وقد قامت هيئة أركان الحرب في الوطن ولا سيما في الاميرالية بجهود عظيمة لتحقيق مشروع « مخلب القط » وبعث الى اليكساندر في اليوم نفسه بخطته ، وبعد أن تشاور مع الجنرال مارك كلارك والجنرال بريان روبرتسون ، قرر استخدام فرقتين احدهما أمريكية والاخرى بريطانية ، كما تقرر توزيع السلاح المدرع وقوات المظلات والفدائيين على أساس المناصفة ، وعهد بالعملية كلها الى قيادة قائد فيلق أمريكى ، وبات من المحقق أن تبدأ العملية في العشرين من يناير ، على أن يقوم اليكساندر بهجوم كبير على كاسينو قبل الموعد بعشرة أيام لاجتذاب الاحتياطى الالماني من المؤخرة ، على أن يتلو ذلك الزحف العظيم المباشر من الامام بوساطة الجيوش الامامية ، وأصبح كل شيء يسير سيرا مرضيا يدعو الى الارتياح ، ولهذا فقد قررت العودة الى الوطن في الرابع عشر من يناير .

محنة يوغوسلافيا واليونان

لما كانت يوغوسلافيا منذ احتلها هتلر في ابريل عام ١٩٤١ أصبحت مسرحا لاحداث مخيفة ، وكان الملك بطرس قد لجأ الى انجلترا ومعه عدد من وزراء الأمير بول وغيرهم من رجال الحكومة ، حيث بدأت حرب العصابات العنيفة بقيادة الجنرال ميخائيلوفيتش الذي التف حوله من تبقى من الطبقة المختارة في يوغوسلافيا ولما كان الالمان يثأرون من أعمال العصابات بقتل مجموعات من الأهالي يتزدد عددهم بين أربعمئة وخمسمئة شخص ، مما جعل ميخائيلوفيتش ينكمش كما اضطر بعض قادته الى اجراء مصالحات محلية مع القوات الالمانية والايطالية لكي يبقوا احرارا في بعض المناطق الجبلية على الا يقوموا بأية حركة ضد العدو .

ولم يمر وقت طويل حتى قامت حركة الانصار بقيادة المارشال تيتو ، فأخذ يحرض الاهالي على القيام بالاضرابات السياسية في ساحل المانيا تنفيذا لسياسة الكومنترن ، وتكونت عصابات كثيرة منهم تحت قيادته ممن لا يرهبون القتل في سبيل وطنهم ، وكانوا يتسلحون بالأسلحة التي يغمونها من ضحاياهم الالمان ، وماكانت الارهابية التي يقوم بها الالمان باعدام الرهائن لتحول بينهم وبين أعمالهم ، حيث أنزلوا بالالمان خسائر كبيرة وأصبحوا سادة مسيطرين على مناطق واسعة واشتبكوا في معارك عنيفة مع انصار ميخائيلوفيتش الذين كانوا يسامون الالمان على سلامتهم ، والذين كانوا يزودون الالمان بالمعلومات عن حركتهم

وقد كنت أتابع هذه الاحداث باهتمام ، وكانت طائرتنا تلقى ببعض المؤن القليلة لهؤلاء الثوار ، لانه لم يكن في مقدورنا أن نقدم أية معونة فعلية لهم ، الا أن قيادتنا في الشرق الاوسط كانت مسهولة عن عمليات هذا المسرح وكانت تحتفظ بجهاز من العملاء وضباط الارتباط من اتباع ميخائيلوفيتش الذي كان يمثل في هذا الوقت الحكومة اليوغوسلافية في القاهرة كما كان يمثل حركة مقاومة الالمان .

وفي شهر مايو عام ١٩٤٣ ، قررنا ايفاد جماعة صغيرة من الضباط البريطانيين وصف الضباط لعمل اتصال مع هؤلاء الانصار اليوغوسلافيين . على الرغم من الصراع القاسي الذي كان دائرا في ذلك الوقت بينهم وبين انصار تيتو الذي كان يشن حربه كشيوعي لا ضد الالمان فقط ولكن ضد الملكية الصربية أيضا والتي يمثلها ميخائيلوفيتش وانصاره (الشيتنيك) وقد هبط الرئيس السكابتن ديكن وهو أحد عمداء جامعة اكسفورد بالمظلة ليكون ممثلا لنا عند تيتو ، كما تبعته بعثة بريطانية أخرى وفي شهر يونيو ، بعث الينا رؤساء أركان الحرب يقولون : استنادا على المعلومات التي توافرت لديهم والتي كانت تبعث

بها البعثات البريطانية من يوغسلافيا ان الشيتنيك أصبحوا متفاهمين مع المحور في مقاطعتي الهرسك والجبل الاسود .

ولما كان يهمنى جدا الحصول على نتائج المقاومة المحلية للمحور في يوغسلافيا فقد طلبت معلومات وافية عنها ، وعقدت جلسة لرؤساء أركان الحرب في داوونج استريت في الثالث والعشرين من يونيو وأكدت في أثناء الحديث الاهمية الكبيرة التي أعلقها ، على بذل كل عون ممكن للحركة اليوغسلافية المناهضة للمحور ، والتي كانت ترهق المحور بثلاث وثلاثين فرقة في هذه المنطقة ، وكانت هذه القضية من الاهمية بمكان عظيم ، حتى اننى طلبت الى اللجنة أن تزيد عدد الطائرات لامداد الثوار بما يلزمهم ولمساعدتهم .

كما قررنا قبل أن أسافر الى كوبيك ، أن أمهد الطريق لعمل آخر في البلقان وذلك بتعيين ضابط كبير يتولى رئاسة بعثة كبيرة لكي تعمل مع الانصار في الميدان ، ولكي يبعث الى بتوصياته مباشرة عما يراه لمساعدة الانصار ، ولما كان المستر فيتزروى ماكلين عضو البرلمان رجلا جريئا ومغامرا ، فقد قررت أن يتولى رئاسة هذه البعثة ، ولما هبط هو ورجاله بالمظلات في يوغسلافيا في شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ ، وجدوا أن الوضع هناك قد اكتسب طابعا ثوريا ، وفي هذه الأثناء كانت أنباء استسلام ايطاليا قد وصلت الى يوغسلافيا ، عن طريق اذاعة البيانات الرسمية ، وعلى الرغم من أننا لم نبعث بأية تعليمات ، فان تيتو كان قد قام بخطوات جريئة ومثمرة ، فلم تمض أسابيع قليلة حتى كان قد نزع السلاح من ست فرق ايطالية ، وقد تمكن اليوغسلافيون من تسليح ثمانين ألف رجل بهذه المعدات الايطالية واحتلوا معظم سواحل الادرياتيک ، وبذلك توافرت لنا الفرصة الطيبة لتقوية وضعنا في الادرياتيک بالنسبة للجبهة الايطالية ، وأخذ جيش الانصار الذي تزايد عدده الى مائتي ألف رجل يقاتل على طريقة حرب العصابات ويشتبك في عمليات واسعة النطاق ضد الالمان الذين واصلوا بدورهم أعمالهم الانتقامية العنيفة بشدة متزايدة .

وفي هذا الوقت دب النزاع بين تيتو وميخائيلوفيتش وأنصاره المتخاذلين ، مما دعا قوة تيتو العسكرية النامية بشكل متزايد أن تثير قضية الوضع النهائي للملكية اليوغسلافية والحكومة المنفى ، وقد بدأت محاولات مخصصة في كل من لندن ويوغسلافيا للوصول الى تسوية عملية بين الفريقين وكنت أؤمل أن يستخدم الروس وساطتهم في هذه القضية وخصوصا بعد المحاولة التي قام بها ايدن في موسكو في أكتوبر عام ١٩٤٣ ولكن الروس لم يظهروا أية رغبة في هذا الشأن ، ولذا فقد فقدت الامل في الوصول الى تسوية عملية بين الفريقين المتنازعين ، كما أبرقت الى الرئيس روزفلت أقول : ان القتال يتخذ شكلا مخيفا ، ويقوم الالمان بأعمال ثأرية دموية ويعدمون الرهائن بالجملة ، ونحن نأمل في تهدئة الخلافات اليونانية قريبا ، أما الخصومة بين تيتو وبين جماعة ميخائيلوفيتش فعميقة الجذور .

وفي نهاية نوفمبر عقد تيتو مؤتمرا سياسيا أعلن فيه قيام حكومة مؤقتة لها وحدها السلطة في تمثيل الشعب اليوغسلافي ، كما جرد

الحكومة الملكية في القاهرة من جميع حقوقها ومنع الملك من العودة الى البلاد الا بعد تحريرها ، ولما كان ميخائيلوفيتش قد أصبح شخصية غير مرغوب فيها ، وكان لزاما علينا أن نحافظ على اتصالنا العسكري بتيتو ، فقد تحتم علينا اقناع الملك باقالة ميخائيلوفيتش من منصبه كوزير للحربية كما سحبنا نحن في أول ديسمبر تأييدنا الرسمي لميخائيلوفيتش واستدعينا البعثات البريطانية التي كانت تعمل في المناطق التي يشرف عليها .

هذا وقد بحثنا القضية اليوغوسلافية في مؤتمر طهران ، وعلى الرغم من أن دول الحلفاء الثلاث قررت تقديم أقصى مايمكن من العون للانصار فان دور يوغسلافيا في الحرب لم يكن إمرأ يستحق اهتمام ستالين .

عندما عدت من طهران الى القاهرة ، قابلت الملك بطرس وأبلغته عما أعرفه عن قوة حركة الانصار وأهميتها كما أبلغته أنه قد أصبح من الضروري فصل ميخائيلوفيتش من الوزارة ، وكان أمل الملك الوحيد هو العودة الى بلاده والوصول الى ترتيب مؤقت مع تيتو قبل أن يشدد الانصار قبضتهم على البلاد ، وقد أبدى الروس استعدادهم للعمل في سبيل الوصول الى حل وسط ، هذا وقد أبرق المستر ستيفنسون سفير بريطانيا لدى الحكومة الملكية اليوغسلافية الى وزارة الخارجية يقول : « يجب أن تقوم سياستنا على ثلاثة عوامل جديدة ، اولها أن الانصار هم الذين سيتولون حكم يوغسلافيا ، ثانياها ، أن هؤلاء الانصار لهم أهمية عسكرية قصوى بالنسبة لنا بحيث يتحتم علينا دعمهم الى أقصى حد ، ثالثها ، ان من المشكوك فيه أن نستمر في اعتبار الملكية عنصر توحيد في يوغسلافيا » وقد وافق وزير الخارجية على هذا الرأي ، ولكن الصراع السياسي حول القضايا اليوغسلافية ظل مستمرا شهرين آخرين في اوساط حكومة المنفى في لندن .

أما في اليونان فقد أدى انسحاب الحلفاء منها في أبريل عام ١٩٤١ الى احتلالها بدولتي المحور ، كما أدى انهيار الجيش وانسحاب الملك وحكومته الى المنفى ، الى بعث الخلافات الحادة في السياسة اليونانية كما كانت الانتقادات القاسية توجه الى الملكية في داخل الوطن وفي الدوائر اليونانية في الخارج ، لانها سمحت بدكتاتورية الجنرال متكساس هذا بالإضافة الى المجاعة الشديدة التي حلت بالبلاد في الشتاء والتي لم يخفف من حدتها الا المعونات التي بعثت بها جمعية الصليب الاحمر ، وأدت المجاعة التي غمرت جميع البلاد الى تطوع أعداد كبيرة في حركات المقاومة وقد تسلحوا بالأسلحة التي كانت أخفيت في الجبال عند استسلام الجيش ، وأعلنت الهيئة التي أطلقت على نفسها اسم جبهة التحرير الوطني والتي تألفت في خريف عام ١٩٤١ ، عن قيام جيش التحرير الوطني في أبريل عام ١٩٤٢ وفي الوقت نفسه التف بقايا رجال الجيش اليوناني التي كانت في جبال أيروس وجبال المنطقة الشمالية الغربية حول شخص يدعى العقيد نابوليون زيرفاس ثم وانضم اليه بعض الاهالي من سكان الجبلين ، وكان القادة الشيوعيون هم الذين سيطروا على جبهة التحرير الوطني وجيشها ، أما أنصار زيرفاس

فكانوا جمهوريين في عواطفهم ، ولكنهم مع مضي الزمن انقلبوا الى خصوم للشبيوعية وحدها ، ولم يكن أى منهما يبدى شعور العطف للحكومة الملكية في لندن أو يحاول الاتصال بها .

ولما كنا قد قررنا مهاجمة خط الاعداد الالماني الممتد عبر اليونان الى بيريه ، وهى القاعدة المهمة في الطريق الالماني الى شمال افريقية وذلك في أثناء قيامنا بمعركة العلمين ، فقد أنزلنا أول بعثة بريطانية بالمظلات بقيادة المقدم مايزر ، فاتصلت في الحال بالعصابات اليونانية وتم نسف جسر رئيسى على الطريق الحديدى الاساسى المؤدى الى أثينا ، كما قام العملاء اليونان بأعمال تدميرية جريئة ضد ملاحه المحور في بيريه ، وعززنا البعثات البريطانية في الصيف التالى بقوات جديدة ، اشتركت مع العصابات اليونانية في نسف جسر آخر على السكة الحديدية الرئيسية الموصلة الى أثينا مما اضطر القيادة الالمانية الى ارسال فرقتين الى اليونان كان من المقرر ارسالهما الى صقلية ، وكانت هذه العمليات آخر اسهام حربى قامت به العصابات اليونانية .

كما بدأت العناصر الثلاثة المختلفة ، وهى جيش التحرير الوطنى «ايلاس» الذى يبلغ تعدادة عشرين الفا ، والذى يسيطر عليه الشيوعيون وعصابات زيرفاس التى سميت (ايديس) والتى يبلغ عددها خمسة آلاف ، والسياسيون المليون المجتمعون اما في القاهرة أو لندن حول الملك جورج الثانى ، بعد أن تبين أن النصر أصبح شبه مضمون للحلفاء ، بدأت تتصارع فيما بينها لنيل السيطرة السياسية ، وعندما استبدام الايطاليون في شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ تمكنت (ايلاس) من الاستيلاء على ماكان لديهم من الاسلحة والمعدات ، وبذلك حققت انفسها التفوق العسكرى .

ولما كان من المحتمل جلاء الجيش الالماني من البلقان بعد أن وصلت الجيوش السوفيتية الى حدود رومانيا ، وأصبح في الامكان عودة الحكومة الملكية الى البلاد بمساعدة بريطانيا ، فقد قرر زعماء جبهة التحرير الوطنى القيام بانقلاب شيعى .

وكان هذا العمل يعد تحديا مباشرا لسلطة الحكومة الملكية في المستقبل ونذيرا بنشوب ثورة في القوات اليونانية المسلحة في الشرق الاوسط وفي دوائر الحكومة اليونانية في الخارج ، كما قامت جماعة من ضباط الجيش والبحرية والطيران بزيارة رئيس الوزراء المسيو تسوديروس في القاهرة يوم واحد وثلاثين من مايو وطالبته بالاستقالة ، كما أعلن اللواء اليونانى الاول العصيان على ضباطه .

وفي هذه الاثناء وصل الملك الى القاهرة ، في الثانى عشر من ابريل . وأصدر بيانا ، أعلن فيه عزمه على تأليف حكومة تمثل الشعب ويكون معظم أعضائها من اليونانيين الموجودين في اليونان ، واتخذت الخطوات السرية لنقل عدد من المثليين من أرض اليونان وبينهم المسيو باباندريو زعيم الحزب الديموقراطى الاشتراكى ، وقد تولى رئاسة الوزارة ، وفي شهر مايو عقد مؤتمر يمثل جميع الاحزاب في أحد مصايف جبل لبنان . وشهد زعماء اليونان ، اتفق فيه على اقامة حكومة في القاهرة تمثل فيها جميع الاحزاب تحت رئاسة باباندريو .

احتلال انزويو

بعد أن استسلمت إيطاليا في شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ ، تشكلت لجنة من الساسة الذين نكاهم موسوليني عن السلطة والحكم ومن ممثلي الهيئات التي تعارض الحكم الفاشي ، لمقاومة الالمان ولتحرير روما ، وفي هذا الوقت كان موسوليني قد اعتقل في جزيرة بونزا ثم نقل منها فيما بعد الى لامادالينا الواقعة على مقربة من ساحل سردينيا ، وخوفا من أن يقوم الالمان بحركة خاطفة أمر بادوليو بنقل موسوليني الى قرية جبلية صغيرة تقع على قمة عالية في أبروزي في أواسط إيطاليا الا انه في صباح اليوم الثاني عشر من سبتمبر هبط نحو تسعين من رجال المظلات الالمانيين من طائرة انزلاق على مقربة من الفندق الذي اعتقل فيه موسوليني وأركبوه طائرة ألمانية تولت نقله فورا الى ميونيخ ، حيث عقد اجتماعا مع هتلر ، وبحثا معا في طريقة اطالة حياة الحياة الفاشية الإيطالية في المناطق التي لاتزال القوات الألمانية تحتلها ، وأعلن الدوتشي في الخامس عشر من سبتمبر تأليف حزب فاشي جمهوري جديد ليتولى اقامة حكومة في الشمال الإيطالي ، عرفت باسم حكومة جمهورية سالو ، وذلك بعد أن اتخذ له مقر قيادة على شواطئ بحيرة جاردا .

وكان من نتائج استسلام إيطاليا المباغت أن وقعت جيوشها في البلقان في كمين بين قوات عصابت المقاومة المحلية وبين الالمان المتعطشين للانتقام حيث أيدت الحامية الموجودة في كورنو والبالغ عددها سبعة آلاف تقريبا ، وكذلك أيدت القوات الموجودة في جزيرة كيبهالوتيا ، الا أن الحاميات الموجودة في بحر ايجه تمكنت من الفرار في مجموعات صغيرة الى مصر ، كما انضمت وحدات من الإيطاليين في البانيا وعلى الساحل الدماسي وفي داخل يوغسلافيا الى جماعة الانصار ، حيث قام تيتو بتشكيل الجزء الأكبر من فرقتين إيطاليتين من فرق «غاريبالدي» في الجبل الأسود وكان مجموع ماخسرتة الجيوش الإيطالية في البلقان وبحر ايجه مايقرب من أربعين ألف جندي

كما فرقت إيطاليا في أهوال الحرب الأهلية ، وأخذ ضباط الجيش الإيطالي وجنوده المقيمون في المناطق الشمالية التي يحتلها الالمان ينظمون وحدات من الانصار للعمل ضد الالمان وضد مواطنيهم الذين مازالوا على ولائهم للدوتشي ، وأخذ هؤلاء الانصار يتصلون بجيوش الحلفاء في جنوب روما ومع حكومة بادوليو ، بغية تنظيم المقاومة الإيطالية للاحتلال الالماني ، وكانت المساعدات التي يبدونها لاسرائيل الذين داهمتهم الهدنة وهم في معسكرات الاسر في شمال إيطاليا من

جملة الاعمال المهمة التي كانوا يتولونها ، وبسبب هذه المساعدة تمكن عشرة آلاف أسير من مجموع الأسرى البالغ عددهم ثمانين ألفا من الهرب من معسكرات الاعتقال .

ولما رأى موسوليني أن « جمهورية سالو » أخذت تتداعى قدم الى المحاكمة في القلعة القديمة في فيرونا في نهاية عام ١٩٤٣ ، جميع قادة العهد الفاشي القديم الذين كانوا قد اقترحوا ضده والذين أمكن اعتقالهم في المناطق الإيطالية التي يحتلها الالمان ، وقد حكم عليهم جميعا بالاعدام بما فيهم الكونت تشايفو زوج ابنته ايدا ، وقد نفذ فيهم حكم الاعدام في شهر يناير عام ١٩٤٤ .

أما من ناحيتنا فقد أخذنا نعد العدة لعملية « الحصباء » وهو الاسم الرمزي الذي أطلقناه على عملية « انزيو » وذلك في أوائل يناير واشتبكت قوات الجيش الخامس في قتال عنيف مع القوات الألمانية لاختراق خط جوستاف الذي كانت كاسينو مركزه الأساسي ، وهو خط دفاعي حصين ، تتخلله مراكز مراقبة على قمم الجبال ، كان العدو يسيطر بنيران مدافعه منها على جميع الوديان ومايقع فيها من حركات ، مما أرغم قواتنا على الارتداد .

وفي هذه الأثناء سارت قوافلنا المتجهة الى انزيو في عرض البحر تحت حماية الطائرات التي قامت بغارات على مطارات العدو وبالاخص على مطار بيروجيا قاعدة طائرات الاستطلاع الألمانية ، وكنت أرقب بقلق بالغ نتيجة هذه العملية المهمة ، حتى جاءتني الأنباء ، بأن الفيلق السادس الذي يتألف من الفرقة الأمريكية الثالثة والفرقة البريطانية الاولى بقيادة الجنرال الأمريكي لوكاس ، قد نزل الى البر في شواطئ انزيو في صباح الثاني والعشرين من الشهر واستفرقت عمليات جس النبض في اتجاه شيشترنا وكامبوليوني طيلة يومي ٢٢ و ٢٣ يناير ، كما نزل أيضا جماعتان من الفدائيين البريطانيين والأمريكيين مع حشد هائل من المعدات والاسلحة على الشاطئ ، ولكن الفرصة التي بدلنا كل هذه الجهود الهائلة في سبيل الحصول عليها قد ضاعت بسبب ما قام به الجنرال كيسلرنج من رد سريع وهجوم شامل على قواتنا ، وقد وصلتني أنباء خطيرة من الجنرال اليكساندر بأنه هو والجنرال كلارك غير راضيين عن سرعة التقدم ، ولكن هجماتنا استمرت على مواقع العدو في كاسينو ، ولم يضعف الخطر الذي يهدد جناح كيسلرنج من عزمته على مقاومة هجماتنا ، وتصميمه على الاحتفاظ بمواقعه تنفيذًا للأمر الصادر اليه من هتلر ، والذي قال فيه :

« يجب الاحتفاظ بخط جوستاف بأي ثمن ، بالنظر الى النتائج السياسية التي يمكن أن تنجم عنه ، وأن الفوهرر يتوقع كفاحا شديدا في سبيل كل شبر من الأرض » . .

ولو أننا حققنا تقدما مرضيا في البداية حيث اجتزنا نهر أبيدو المار ببلدة كاسينو ، ثم هجمنا نحو الجنوب في اتجاه جبل الدين الا أن الالمان صمدوا صمودا عنيدا ولم يأت أول فبراير حتى كانت قوة هجومنا قد ضعفت صمدوا صمودا عنيدا ولم يأت أول فبراير حتى كانت قوة هجومنا قد ضعفت.

وجئنا بفيلق نيوزيلندى يضم ثلاث فرق من جبهة الادرياتيک وبدانا فى الخامس عشر من فبراير هجومنا الرئيسى الثانى بقصف الدير نفسه ، وقد ظهر أن هذا الجبل عائق دفاعى مهم جدا ولم تكن النتيجة مجدية ، كما عهد الى الفرقة الهندية الرابعة التى حلت محل الأمريکيين بالهجوم ، وقاموا فعلا بمحاولات يائسة فى لياتين متتاليتين لاحتلال أکمة بين المواقع التى يوجدون فيها وبين الجبل الذى يقوم عليه الدير ولكنها منيت بالفشل ، وفى ليلة الثامن عشر من فبراير قاموا بمحاولة ثالثة ودار بينها وبين العدو قتال عنيف قتل فيه جميع رجالنا الذين توصلوا الى الالمان وخسرت قواتنا خسائر بالغة مما اضطرها الى التوقف ، وهكذا فشل الهجوم المباشر على کاسکينو .

وقد قال الجنرال ویلسون فى تقريره « أغلق المحيط ، وأصبحت قواتنا فى داخله عاجزة عن التقدم » فعلى الرغم من أن الجنرال لوکاس قد حصل على المباغثة التى كنا نريدها الا أنه فشل فى استغلالها والاستفادة منها ، وكان هذا مثبطا للعزائم عندنا وفى الولايات المتحدة ، وقد كنا فى الظاهر لانزال أقوى من الالمان فى قوتنا المحاربة ، ولكن السهولة التى كانوا ينقلون بها قطعهم من مكان الى آخر والسرعة التى كانوا يستندون فيها الثغرات الخطرة التى فى جبهتهم الجنوبية كانتا ظاهرتين مؤثرتين كل التأثير ، ووضح ان كل هذا يبين لنا حقائق ليست فى مصلحة عملية « السيد الاکبر »

كما بدأت المحاولة الرئيسية المنتظرة للقذف بنا الى البحر ، عندما استخدم العدو أكثر من أربع فرق يدعمها نحو أربعمائة وخمسين مدفعا فى هجوم مباشر من کامبوليونى نحو الجنوب تنفيذا لأمر هتار باخلاء الشاطئء فى بحر ثلاثة أيام ، ولكن الخط الذى كان حتى الآن يفرض العراقيل شاء فى اللحظة الأخيرة أن يولينا بعنايته ، فقبل ان تنتهى الأيام الثلاثة المقررة توقف الهجوم الألمانى ، وفى الحال قمنا بهجوم عام تؤيدنا نيران شديدة من مدفيعتنا وغارات طائراتنا ودار قتال عنيف بلغت خسائر الفريقين فيه حدا هائلا ولكننا كسبنا المعركة .

وفى أوائل شهر مارس توقف الفريقان عن الحركة بسبب رداءة الطقس بعد أن فشلنا فى اختراق جبهة الالمان الرئيسية فى کاسينو كما فشل الالمان فى القذف بنا الى البحر فى انزىو .

ولو أن انزىو لم تعد مصدر قلق لنا ، الا أن الحملة فى ايطاليا فى مجموعها أبطأت فى سيرها ، وكنا نأمل أن نتمكن من طرد الالمان الى الشمال من روما ، كما نتمكن من القيام بعملية انزال قوات ومعدات على شاطئء الريفيرا الفرنسى لتكون عوننا لنا فى عملية الغزو عبر القناة الا أنه قد تبين أن علينا أن نسير بالحملة فى ايطاليا شوطا بعيدا قبل أن نبدأ فى عملية غزو القناة .

ولما كانت الحاجة ماسة تتطلب انهاء فترة الجمود التى تسود جبهة

كاسترو ، فسرعان ما بدأت الاستعدادات لمعركة كاسينو الثالثة ، ولكن رداءة الطقس حالت دون بدء الهجوم حتى الخامس عشر من مارس ، حيث بدأنا الهجوم بالقاء أكثر من ألف طن من قنابل الطائرات والقف ومائتي طن من قذائف المدافع حتى يتيسر لمشاةنا التقدم ، وعندما هبط الغلام كان الجزء الأكبر من البلدة قد أصبح في أيدينا ، ولكن المعركة استمرت في خرائب كاسينو حتى الثالث والعشرين من الشهر وهي تتردد بين مد وجزر من الهجمات والهجمات المضادة ، ولكننا على كل حال أفلحنا في تثبيت رأس جسر على نهر رابيدو ، مما كان له كبير الأهمية في الاندفاع الذي قمنا به في شهر يناير الماضي ، عبر الحوض الأدنى لنهر كاريجيليانو ، وعندما جاء دور المعركة الحاسمة الظافرة فيما بعد ، تمكنا من احتلال انزيو ، وقد دل هذا العمل الذي قامت به جيوشنا في إيطاليا ولا سيما في ضربة انزيو ، على أننا سننجح في عملية « السيد الأكبر » .

عبور القناة أو عملية السيد الأكبر

لما كنت شديد الرغبة في اشراك الولايات المتحدة معنا في هجوم مباشر عبر القناة على جبهة الألمان البحرية في فرنسا ، ولما كنت أيضا غير مقتنع بأن هذه الخطة كانت الوحيدة التي تضمن الفوز في الحرب ، وكنت أعرف انها مغامرة محفوفة بالأخطار وكثيرة المتاعب ، وكانت الألمان الغالية التي دفعناها من الارواح البشرية والدماء في أثناء الحرب العظمى الاولى ، لاتزال منقوشة في ذاكرتي ، وكنت لا أزال أعرف أن الحصون المبنية من الاسمنت المسلح والفولاذ والمسلحة بالقوة النارية الحديثة والتي يدافع عنها رجال مدربون أكمل تدريب ، لا يمكن التغلب عليها الا بعنصر المباغتة . فقد ظل الجنرال مورجان وأركان حربه من القوات الحليفة المشتركة يعملون طول أشهر الصيف عام ١٩٤٣ في اعداد الخطة ، وكان من رأى الجنرال ايزنهاور والجنرال مونتجمري أن يكون الهجوم بقوة كبيرة وعلى جبهة أوسع ليكسب سرعة رأس جسر ذا حجم كاف لتعزيز القوات التي تنزل الى البر ، وكان من المهم أيضا الاستيلاء على أرصفة شربورج ، وطالبا أن يكون الهجوم بخمس فرق بدلا من ثلاث . وقد تقرر أخذ قطع الانزال اللازمة لفرقة واحدة من الفرقتين الاضافيتين من عملية « السندان » أما البواخر اللازمة للفرقة الثانية فيمكن ايجادها من تأجيل عملية السيد الأكبر حتى فترة القمر في يونيو .

وقد أخذت جميع الفرق تجري تدريباتها النهائية ، وبالطبع لم يمر هذا النشاط عرضا ، فقد كان لنا غاية في أن يلاحظ المراقبون الاعداء ذلك من خليج كاليه ، كما كنا في هذه الفترة نجرى عملية استطلاع جوى مستمرة لنكون على علم بما يدور في القناة ، كما كانت تقوم بعض الجماعات برحلات عدة في زوارق صغيرة لسير بعض الاغوار على الشاطئ ومعرفة العقبات الجديدة واختبار طبيعة الساحل وذلك في جنح الظلام .

ولما كان اختيار يوم الغزو وساعته أمرا دقيقا ومعقدا ، كما ان جميع الشروط المرغوب فيها ما كانت لتتوافر الا ثلاثة أيام في كل شهر قمرى ، وكانت الايام الثلاثة التي حددها الجنرال ايزنهاور هي الخامس والسادس والسابع من يونيو فقد اتفق على أن يكون اليوم الخامس من حزيران هو بدء الغزو ، واذا لم يكن الطقس ملائما في أى من هذه الايام الثلاثة فان العملية كلها ستتأجل شهرا كاملا انتظارا للقمر .

ولما كان حشد القوات المهاجمة والتي كان يبلغ تعدادها (١٧٦) ألف جندي وعشرين ألف سيارة وعدة ألوف من أطنان الذخائر ، التي تقرر نقلها في اليومين الأولين مهمة كبيرة للغاية ، فقد بدأ نقل الجنود من جميع

مراكزهم في أنحاء بريطانيا الى المقاطعات الجنوبية كما جمعت فرق الجو الثلاث وهي التي تقرر هبوطها في نورماندى قبل بدء الهجوم البحرى فى أماكن قريبة من المطارات التي ستستقل الطائرات منها .

ولما كان من غير المعقول ، أن تظل جميع هذه التحركات فى البر والبحر خافية عن عيون العدو واهتمامه ، وكانت هناك أهداف مغرية لطائرات العدو فقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة كافة لمواجهة ذلك ، وأعدنا أكثر من سبعة آلاف مدفع مضاد للطائرات والصواريخ وأكثر من ألف منطاد لحماية هذه الحشود الهائلة من الرجال والسيارات .

وقبل ثلاثة أسابيع من ابتداء الغزو ، عقدنا مؤتمرا ثانيا فى لندن ، فى مقر قيادة مونتجمرى شهده الملك والمارشال سمطس ورؤساء أركان الحرب البريطانيين وقواد الحملة وعدد كبير من أركانهم ، وكان قد أعد خريطة كبيرة لنورماندى وشواطئها ومداخلها ، ليتمكن كبار الضباط الذين يشرحون خطة العملية والطرق الموصلة للأماكن التي يشيرون اليها ، وانتهت الجلسة بعد أن ألقى الملك والجنرال مونتجمرى وضباط الأركان خطاباتهم .

هذا وقد لاحظنا أن العدو يعد نجذات من القوات البحرية الخفيفة فى شربورج والهافر كما أبدى نشاطا كبيرا فى عمليات زرع الألغام فى القناة ، وعندما حل يوم الغزو وهو الخامس من يونيو ، مدعنا جميع الأشخاص الذين تقرر اشتراكهم فى الحملة من مغادرة بواخريهم أو معسكراتهم أو نقاط تجمعهم على الساحل ، كما احتجز البريد بأنواعه ، وأخذنا ندرس التقارير عن حالة الطقس ، وقد عرفنا أن الطقس سيكون سيئا للغاية ، وهذا أمر كبير الأهمية بالنسبة لغارات الطائرات التي ستمهد للانزال ، وطال أمد التأجيل الى ما بعد السابم وأصبح من غير الممكن الحصول على الجمع بين القمر والمد قبل مضي نحو أسبوعين . وكانت قم هذه الاثناء قد صدرت التعليمات الى جميع الجنود بالاستعداد ، ولكن لما كان من الواضح أنه ليس فى وسعنا الاحتفاظ بهم على ظهر هذه البواخر الصغيرة الى أمد غير محدود ، كما أنه كان فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن تحول دون تسرب الانباء ووصولها الى العدو قم حالة حدوث تأجيل طويل وعلمية فقد أصدر الجنرال أيزنهاور أمرا بتأجيل العملية وعادت جميع البواخر والسفن المحملة بالجنود والعقاد الى مكان تجمعها الاصلى .

ولكن خبراء الارصاد الجوية عادوا وأكدوا وجود تحسن مؤقت صباح السادس من يونيو ويعود الطقس بعدها الى السوء ، الى وقت غير محدود . وكان على ايزنهاور أن يواجه الخيار الخطير بين أمرين . أما تقبل الاخطار أو تأجيل الهجوم مدة أسبوعين على الأقل ، ولكنه على ضوء نصائح قادته قرر بحكمة كما أثبتت الأيام . أن يمتنع قداما فى العملية وتقرر أن تقع الغزو فى اليوم السادس من يونيو ، وبعد أن تتابعات الأحداث تبين لنا أن هذا القرار قد بررته الأحداث وكان سببا فى أن قضيتا على ناصية المداغنة مع ما تنطوى عليه من فوائد ، وكان من حسن حظنا أن ضباط الارصاد الجوية الالمان ، كانوا قد أبلغوا قيادتهم العليا أن الغزو الخامس والسادس من يونيو فى حكم المستحيل بسبب رداءة الطقس التي قد تستمر عدة

أيام ، وعلى ذلك فقد مضت العملية الكبيرة في طريقها بدقة متناهية .
وتقدم أعظم أسطول غزو في التاريخ متجها الى ساحل فرنسا تتقدمه
كاسحات الألغام وتحرسه من جميع جهاته القوات البحرية الجوية
الحليفة .

وكانت شبكة الدفاع حول جميع شواطئنا محكما ، وتعمل في منتهى
الدقة والنشاط كما كان أسطول الوطن يقظا ومتربصا لأيّة حركة قد تقوم
بها السفن الحربية الألمانية ، كما كانت الدوريات الجوية تراقب شواطئ
العدو من النرويج حتى القناة ، وفوق المداخل الغربية وخليج بسكاي ،
وفي هذه الاثناء جاءتنى أنباء مثيرة عن احتلال قواتنا لروما .

الاستيلاء على روما

لقد توقف زحف الحلفاء في إيطاليا لمدة شهرين بسبب ملاقته قواتنا من صعب في جبهتي انزيو و ثاسينو ، في أثناء القتال الذي دار هناك وقد تحتم علينا أن نعيد تنظيمها ، وأن ننقل الجزء الأكبر من الجيش الثامن ومن ناحية الادرياتيكي لكي يتاهب الجيشان لهجوم القادم . وفي هذه الأثناء كان الجنرال ويلسون يستخدم كل ما لديه من قوات جوية ليعرقل حركات العدو ، ويلحق به ادفح الخسائر ، كما اشتركت قوات الحلفاء الجوية في مهاجمة مواصلات العدو البرية أملا في قطعها . لكي ترغم القوات الألمانية على الانسحاب بسبب افتعارها الى المؤن ، ولذلك تحطيم الجسور والقناطر وغيرها من الأماكن الحساسة لتوقف سير القطارات الى الشمال من روما ولكن العملية فشلت . وتمكن العدو من المحافظة على طرق امداده ، باستخدام الملاحة الداخلية ونقل شحناته بالسيارات بدلا من القطارات ، ولكنه عجز عن جمع كميات كبيرة من المؤن والذخائر تكفي قواته للاستمرار في القتال لمدة طويلة ، وظهر الضعف في صفوفه في أثناء القتال العنيف الذي نشب في الايام الاخيرة من شهر مايو . مما حقق لنا الاتصال بجيوشنا المنفصلة ، كما تحقق لنا الاستيلاء على روما في أسرع مما كنا نتوقع . كما منى سلاح الجو الألماني بخسائر فادحة .

وقد كان الجيش الخامس بقيادة الجنرال كلارك يضم في هذا الوقت سبع فرق بينها أربع فرق فرنسية ويحتل الجبهة الممتدة من البحر الى نهر ليري ، كما كانت جبهة الجيش الثامن الذي يقوده الجنرال ليز . مكمل الخط عبر كاسينو الى الجبال والذي يضم اثنتي عشرة فرقة وقد تجميع للحلفاء بذلك ثمان وعشرون فرقة ، مقابل ثلاثة وعشرين فرقة للامان . وكانت خطواتنا التضليلية تذهل كيسلرنج مما دعاه الى توزيع قواته على مساحة شاسعة ، وبذلك لم يكن لديه في الجبهة الممتدة بين كاسينو والبحر ، حيث تقرر أن توجه ضربتنا اليها أربع فرق ، وقد بدأ الهجوم في مساء اليوم احدى عشر من مايو ، عندما أطلقت مدافعنا البالغ عددها ألفي مدفع قذائفها على العدو وعززها في الصباح قصف جوي شديد قامت به طائراتنا وبذلك تم لنا في اليوم الثامن عشر من مايو التغلب على العدو وتطهير كاسينو بصورة نهائية .

كما كانت هناك ست فرق يقودها الجنرال الامريكي تروسكوت قد احتشدت في رأس شاطيء انزيو اندفعت في هجومها مع الجيش الثامن ، ولم يمض يومان حتى اتصلت بالفيلق الامريكي الثاني .

وبذلك تحطمت المقاومة الألمانية في مساء اليوم الثاني من يونيو، وفي

اليوم الرابع من يونيو دخلت طلائع الفرقة الثامنة والثمانين الى ساحة البندقية في قلب العاصمة (روما) .

وفي اليوم السادس من حزيران عام ١٩٤٤ ، أعلنت في مجلس العموم تحرير مدينة روما على أيدي جيوش الحلفاء تحت قيادة الجنرال اليكساندر كما بعثت الى ستالين أعلمه بذلك وبسير عملية «السيد الأكبر» نحو غايتها ، وقد رد على يقول :

« تلقيت رسالتك عن النجاح الذي حققتموه في بداية عملية «السيد الأكبر» مما بعث السرور الى نفوسنا والامل في انتصارات أخرى ، هذا وسيبدأ حوالى منتصف هذا الشهر هجوم الصيف بالنسبة للقوات السوفيتية كما اتفقنا في مؤتمر طهران ، على أن تتطور العمليات الهجومية خلال شهر يوليو الى هجوم عام تشنه الجيوش السوفيتية في جميع أنحاء الجبهة » .

وبعد أيام أبرق الى ستالين يقول :

« لقد أصبح واضحاً أن النزول الذي خطط له على نطاق واسع، قد نجح نجاحاً كاملاً ، ولا أستطيع أنا وزملائي الا الاعتراف بأن تاريخ الحرب لا يعرف عملية أخرى مماثلة من حيث تطوراتها وتصوراتها الواسعة وتنفيذها العبقري .

ومن المعروف جيداً أن نابليون قد فشل فشلاً معيباً في اجتياز القناة بالقوة ، وهتلر المجنون الذي ظل يتبجح عامين كاملين بأنه سيعبر المانش ، لم يستطع أن يحزم أمره حتى على مجرد الإشارة بأنه سيحاول تنفيذ وعده ولم يتمكن سوى حلفائنا من أن يحققوا بشرف الخطة العظيمة في عبور المانش ، ولا ريب في أن التاريخ سيسجل هذا العمل على أنه عمل من أعظم الأعمال » .

وأبلغنا الجنرال مونتيجمري في العاشر من يونيو بأنه قد أصبح ثابت الاقدام على الشاطئ بحيث يستطيع تقبل الزيارات ، فقامت ومعى الجنرال سمطس وبروك لزيارته على ظهر إحدى المدمرات كما استقبل الجنرال مارشال والإميرال كينج وضباط أركان حربهما مدمرة أخرى ليكونوا معنا في هذه الزيارة ، ونزلنا الى البر وأخذت السيارة تطوف بنا المنطقة المحدودة التي يحتلها في نورماندى وعدنا بعد ذلك على المدمرة « كيلفن » .

وبعد عودتي ، بعثت بالرسالة التالية الى الرئيس شرحت له فيها جميع القضايا ومن بينها بالطبع الزيارة التي ينوي الجنرال ديغول القيام بها لفرنسا والتي أعددت لها العدة دون استشارة الرئيس ، قلت له فيها :

« لقد قضيت يوماً ممتعاً على الشاطئ الفرنسي وفي الداخل ، وهناك كتلة ضخمة من البواخر تنتشر على مسافة تتعدى الخمسين ميلاً على طول

الشاطئ ، وتقوم الموانى الاصطناعية بحماية هذه البواخر . وفى وسعنى أن أقول ان كل عنصر من هذه الموانى كان ناجحا فى حد ذاته ، وسنصبح عما قريب عاملا مهما فى تأمين الملاذ الامين ضد الطقس السيء ، ويبدو أن قوة سلاحنا الجوى وقوة وسائلنا فى مقاومة الغواصات قد ضمنت لنا حدا كبيرا من الحماية وبعد أن قمنا بواجبات كثيرة منهكة أطلقنا نيران مدافعنا من مدمراتنا على الرغم من اننا كنا على بعد ستة آلاف ياردة ولكن العدو لم يكرمنا برد تحيتنا » .

تحرير باريس

ولنبين الآن مما نوضح لنا ما نالت عليه اوضاع وخطط العدو . فقد كان المارشال رونشتادت يتولى قيادة (جدار الاطلنطي) وتحت امره ستون فرقة تتولى العمل فى القطاع الممتد من الاراضى المنخفضة حتى خليج بساي ، ومن مارسيليا الى نهايه الساحل الفرنسى الجنوبى ، وكان رومل يتولى القطاع الساحلى الممتد من هولندا الى اللوار وكان جيشه الخامس عشر المؤلف من تسع عشرة فرقة على حين كان جيشه السابع المؤلف من تسع فرق مشاة وفرقة مدرعة فى نورمانديا نفسها ، أما الفرق العشر المدرعة الموجوده فى الجبهة الغربيه فلها فكانت منتشرة من بلجيكا الى بوردو ، ومن الغريب أن الالمان وقد أصبحوا فى مركز المدافع فقد ارتكبوا الاخطاء التى ارتكبها الفرنسيون عام ١٩٤٠ عندما وزعوا أقوى سلاح يمكن لهم الاعتماد عليه فى الهجوم المضاد .

ومن الغريب أن هذا الهجوم الضخم جاء مباغتاً للعدو ، ففي صباح الخامس من يونيو كان رومل قد عادر مقر قيادته لزيارة هتتر فى بحثسجادن عندما حلت الضربة بقطاعه وكان رونشتادت يعتقد بان صربتنا الرئيسيه ستوجه من مضيق دوفر ، ولدن يظهر أن هتسر وأركان حربيه كانوا قد تلماوا تقارير تشير الى أن نورمانديا ستكون ميدان المعركة الرئيسى ، وصلت تساوره التسوك حتى بعد نزولنا ، وأصاع يوماً كاملاً قبل ان يقرر استال أقرب فرقتين مدرعتين الى الجبهة لتعزيزها لانه كان فى رايه أن عملية الانزال فى نورمانديا لم يكن الا مجرد عملية أوليه وفرعيه ، ولم يرسل القوات الاحتياطيه من الجيش الخامس المربط فى خليج كالنيه جنوباً تشترك فى المعركة الا بعد أن انقضى ستة أسابيع على يوم الغزو .

ومع ذلك فقد قاتلت جيوش العدو بعناد واصرار ولم يكن من السهل التغلب عليها ، ولكن على الرغم من جميع الصعوبات التى لاقيناها ، فقد حققنا تقدماً طيباً باستثناء فشلنا فى احتلال كاين ، التى نالت ذات أهمية عظيمة بالنسبة لنا ، ولأن مونتجمرى كان قد قرر أن يقيم بوساطة القوات الأمريكيه فيها نقطة ارتكاز يساريه ضخمة تدور منها المعارك ولأن أرضها كانت تصلح لاقامة أماكن لهبوط الطائرات فيها ، كما كانت هذه البلدة مهمة أيضاً بالنسبة للالمان ، لان اختراق الجبهة فيها يجبر جيشهم السابع بأكمله على الانسحاب فى اتجاه جنوبى شرق اللوار ويفتح ثغرة بينه وبين الجيش الخامس عشر فى الشمال ، كما يتفتح الطريق فى الوقت نفسه الى باريس .

وقد تمكن الحلفاء فى الحادى عشر من يونيو من اقامة جبهة متصلة واندفع الأمريكيون شرقاً وغرباً تؤيدهم الطائرات المقاتلة ، وبعد قتال

عنيف توقفوا عند أبواب الخطوط الدفاعية لمدينة شربورج في الثاني والعشرين من يونيو .

وفي هذه الاثناء وقعت احداث أخرى وراء الميدان أثرت على مستقبل المعركة تأثيرا حاسما ، ففي ليلة الثالث عشر من يونيو سقطت على لندن أولى القنابل انطائرة ، وكانت هذه القنابل تنطلق من سواحل فرنسا الشمالية من أماكن بعيدة عن جيوشنا النازية الى البر ، ولو كنا احتلنا هذه الأماكن في وقت مبكر لأرحنا السكان المدنيين في لندن من تعرضهم لهذه الغارات الجوية الفظيعة .

وفي اليوم التاسع عشر من يونيو عقد هتلر مؤتمرا في مارجيفال على مقربة من سواسون، شهدته رونشتادت ورومل ، وبين له القائدان وجوب سحب الجيش السابع بانتظام قبل أن يتعرض للدمار الى نهر السين حيث يستطيع أن يخوض بالاشتراك مع الجيش الخامس عشر معركة حاسمة ومتحركة ولكن هتلر لم يذعن لرأيهما ، وأصر كما سبق أن أصر في روسيا وإيطاليا على وجوب القتال عن كل شبر من الأرض .

هذا وقد تم لنا في الستة الايام الاولى من بدء الهجوم تثبيت أقدامنا وانزلنا (٣٢٦) ألف رجل و (٥٤) ألف سيارة و (١٠٤) آلاف طن من العتاد والذخائر ، كما أقمنا جهازا هائلا للتموين ، كما أعدنا ميناء «بورت آن باسان » ليكون الميناء الرئيسي للامداد بالبترول في المنطقة كلها وفي هذه الاثناء هبت عواصف شديدة استمرت اربعة ايام وحالت دون نزول أية قوات أو معدات جديدة الى الساحل لما أخطت أضرارا كبيرة بحواجز الماء ، واقتلت قطع عابرة . فاصطدمت بحواجز الميناء وبأسسها الراسية في مرافئها وتحطم الميناء الموجود في المنطقة الامريكية وقد سببت في تعطيل بعمق في الميدان ، واقام البريطانيون في الاسبوع الاخير من يونيو راس جسر لهم في جنوب كاين ولبن المحاولات التي بذلت لتوسيعه جنوبا وشرقا منيت بالفشل .

وفي السابع عشر من شهر يوليو ، وقع حادث مهم للغاية ، حيث أصيب رومل بجراح بالغة من جراء هجوم صاراتنا المحاربة من ارتفاع منخفض على سيارته ولكنه بعد أن شفى من جراحه لقي حتفه فيما بعد بأمر من هتلر ، كما نحى رونشتادت عن قيادة الجبهة الغربية كلها ليخلفه فيها فون لوج ، وهو قائد أظهر تفوقا عظيما في الجبهة الروسية كما وقعت في العشرين من يوليو محاولة أخرى فاشلة لاغتيال هتلر ، بوساطة قنبلة زمنية وضعها الكولونيل فون شتوفنبرج، وقد قتل عدد من الضباط الذين كانوا حاضرين ولكن الفوهرر برغم الصدمة الشديدة والجراح التي أصيب بها نهض هاتفا « من يقول ان الله لا يرعاني بحمايته » .

وفي الثامن عشر من يوليو هجم الجيش البريطاني بثلاثة فيالق تقدمها قصف جوى هائل ، حال بين سلاح المانيا الجوى وبين التدخل في المعركة وتقدمنا الى الشرق من كاين ، الى أن حالت الغيوم الملبدة في السماء بين طائراتنا وبين الحركة الفعالة ، مما سبب تأخرا في عملية الاقتحام في القطاع الامريكي لمدة اسبوع .

وفي هذه الآونة صدرت الاوامر بالغاء الحظر الذي كانت القيادة العليا الالمانية قد فرضته على جيشها الخامس عشر والتي كانت محتفظة به وراء نهر السين ، كما توجهت فرق جديدة لتعزيز الجيش السابع الذي لحق به الاجهاد ، وقد تمكنت طائراتنا من عرقلة نقل هذه الفرق بالسكة الحديد .

وحانت أخيرا لحظة الهجوم الأمريكي العظيم بقيادة الجنرال برادلي ففي الخامس والعشرين من يوليو، اندفع الفيلق السابع جنوبا من سان لو وانضم اليه الفيلق الثامن المربط الى ميمنته في اليوم التالي ، تؤيدهما قاذفات القنابل الامريكية ، كما اندفعت القوات المدرعة تجرف في طريقها كل شيء مستهدفة نقطة كوتانس ، ذات المركز الحساس ، فقطعت طريق النجاة بالنسبة للالمان على طول ساحل نورمانديا الغربي ، وأصبحت جميع مراكز الالمان اندفاعية الى الغرب من نهر فير في حالة من الشلل والاضطراب ومضى الزحف مندفعاً للامام، وتم احتلال افرانسن في الحادي والثلاثين من يوليو ، وتلتها الزاوية البحرية التي فتحت الطريق الى شبه جزيرة بريتاني وقام الكنديون في الوقت نفسه بهجوم من كاين جنوبا في اتجاه طريق ناليز ولكنه لقي مقاومة فعالة من أربع فرق مدرعة .

وفي هذا الوقت تم تشكيل الجيش الامريكي الثالث بقيادة الجنرال باتون وشرع يعمل في ميدان القتال ، وقد أوفد هذا الجيش فرقتين مدرعتين وثلاث فرق من المشاة الى الجنوب والغرب ، لتطهير جزيرة بريتاني ، بمساعدة حركة المقاومة الفرنسية التي كانت تضم ثلاثين ألف رجل ، وقد تم الاستيلاء على شبه جزيرة بريتاني .

وبعد أن تم تطهير بريتاني ، شرعت بقية جيش باتون في الزحف شرقا في الخطاف الطويل « الذي سيصل بها الى الثغرة الواقعة بين باريس والبار وهبوطا مع السين في اتجاه روان » ودخلت قواتنا بلدة لافال في السادس من أغسطس وفي السابع منه بلدة ليماز ، ولكن الصعوبة الكبرى كانت من تموين الامريكيين الزاحفين في مساحات طويلة شاسعة وكان من الواجب في هذه اللحظة نقل كل شيء الى شواطئ الانزال الاساسية ومنها الى الطرف الغربي من نورمانديا عبر افرانش حتى تصل المؤن الى الجبهة ، وهكذا أصبحت افرانش بمثابة عنق الزجاجة ، وقد حانت فرصة مغرية للالمان ليشنوا عليها هجوما مضادا واستحوذت الفكرة على خيال هتلر ، فأصدر أوامره بأن تقوم القوات بالهجوم على مورثان ، لتشق طريقها منها الى افرانش . ولتقطع بذلك طرق مواصلات باتون ، وأجمع القادة الالمان على استنكار هذا الهجوم الجديد ، لادراكهم أن معركة نورمانديا قد انتهت بفقدائها ، ولكن هتلر أصر على رأيه وفي السابع من أغسطس شنت خمس فرق مدرعة وفرقتان من المشاة هجوما عنيفا على مورثان من ناحية الشرق ، فسقطت الضربة على فرقة أمريكية واحدة ، ولكنها صمدت للهجوم حتى وصاتها ثلاث فرق أخرى لمساعدتها وصد العدو . ومضت قوات الحلفاء تندفع في طريقها مهاجمة الالمان المكتظين في الجيب الضيق ، وتمكنت بفعل المدافع من أن تنزل بها خسارة هائلة ، وصمد الالمان بعناد واصرار محاولين انقاذ مايمكن انقاذه بوساطة قواتهم المدرعة ، وتحول المنظر الى

مذبحة وانطبق الفكان في العشرين من أغسطس ، وقد تمكن شطر كبير من قوات العدو من الخلاص من الطوق والنجاة ، إلا أن ما لا يقل عن ثمان فرق ألمانية قد تمت إبادتها في هذه المعركة .

كما تمكن الجيش الأمريكي الثالث من تطهير بريتاني والاسهام في نصر فاليه الرائع ، بدفعه ثلاثة فيالق في اتجاه الشرق والشمال الشرقي من ليمانز ، وقد وصلت في السابع عشر من أغسطس الى أورليان وشاراد ودرو . ثم اندفعت في اتجاه شمالي غربي للقاء القوات البريطانية الزاحفة على روان .

وكان أيزنهاور الذي تولى القيادة العليا الآن عازما على تجنب خوض معركة لاحتلال باريس ، ولما كانت ستالنجراد ووارسو قد برهنتا على ما في الهجمات الجيبية من مفازع ومخاوف ومن انتشار روح الوطنية بين المدافعين ، فقد قرر تطويق العاصمة وارغام الحامية التي بها اما على الاستسلام أو الهرب ، وحانت في العشرين من أغسطس ساعة العمل ، وكان الجنرال باتون قد عبر نهر السين على مقربة من سانت ووصل جناحه الايمن الى فونتبلو ، وأعلنت الحركة السرية الفرنسية الثورة وأضرب رجال الشرطة وسيطر الوطنيون الفرنسيون على مراكز قيادة الشرطة ووصل أحد ضباط المقاومة الفرنسية الى مركز قيادة باتون حاملا تقارير هامة وقد نقلت هذه التقارير الى الجنرال أيزنهاور في ليمانز ، كما التحقت الفرقة الفرنسية المدرعة الثالثة بقيادة الجنرال ليكليرك والتي كانت قد هبطت الى البر في نورمانديا في أول أغسطس بجيش الجنرال باتون . وأدت دورا مهما في التقدم ووصل ديجول في اليوم نفسه فأكد له القائد الأعلى للجلاء ، أنه عندما يحين الوقت وطبقا للاتفاقات السابقة ، ستكون قوات ليكليرك أول القوات التي تدخل باريس ، وما أن وصلت الى أيزنهاور أنباء عن وقوع قتال في شوارع العاصمة حتى قرر أن يعمل فورا وأصدر أمره الى ليكليرك بالزحف على باريس

وفي الرابع والعشرين من أغسطس تحرك الاندفاع الرئيسي بقيادة العقيد بيلوني من أورليان في اتجاه باريس ، ووصلت طليعة الدبابات في تلك الليلة بوابة أورليان ، ودخلت الى الساحة القائمة في مدخل دار الأمانة ، وفي صباح اليوم التالي ، كانت قوات بيلوني المدرعة تحتل ضفتي السين وعند الظهر تم تطويق مقر قيادة الجنرال الألماني فون شوليتز في « قصر موريس » وجيء بفون شوليتز امام ليكليرك ، وكانت هذه خاتمة المطاف من دنكرك الى بحيرة تشاد فالوطن ثانية وتم التوقيع على شروط تسليم حامية المدينة ، ودخل ديجول في السادس والعشرين من أغسطس العاصمة سيرا على قدميه الى شانزليزيه ومنها الى ساحة الكونكورد حيث استقل ورفاقه السيارات صاعدين الى نوتردام ، وبعد فترة قصيرة جرى الاحتفال الرسمي بتحرير باريس وفقا للخطة الموضوعة .

وفي الثلاثين من أغسطس عبرت قواتنا نهر السين من عدة جهات وكانت خسائر العدو هائلة ، فقد بلغت اربعمائة الف رجل وأكثر من نصفهم وقعوا في الأسر ، وألفا وثلثمائة دبابة وعشرين ألف سيارة وألفا وخمسمائة مدفع ميدان ، وقد مزق الجيش الألماني السباع وجميع الفرق التي أرسلت لنجدته وكتب الجنرال ايزنهاور في تقريره الرسمي يقول : « لولا التضحيات العظيمة التي قدمتها الجيوش الانجليزية والكندية في معارك كاين وفاليه الوحشية ، لما كان في امكاننا أن نحقق الزحف الرائع بواسطة قوات الحلفاء الأخرى في المناطق الثانية . »

تحرير ايطاليا والنزول في ايطاليا

لما كان تحرير نورمانديا من الاحداث العظيمة في الحملة الاوروبية لعام ١٩٤٤ ، ولكنه لم يكن الا احدى الضربات الموجهة الى المانيا النازية ، وكان الروس في الشرق يتدفقون على بولندا والبلقان ، على حين كانت جيوش اليكساندر في الجنوب « اى في ايطاليا » تضغط في اتجاه نهر البو ، فقد كان من المحتم الآن اتخاذ القرارات في صدد حركتنا المقبلة في البحر الابيض المتوسط ، وانه لما أسجله مع المزيد من الأسف ، ان هذه القرارات تسببت في أول خلافات مهمة في الخطط الاستراتيجية العليا بيننا وبين حلفائنا الامريكيين

من ذلك أننا كنا قد وعدنا بتنفيذ عملية « السيد الاكبر » وكانت مهمتنا الأولى هي انجاح تلك العملية ، ولما كنا لا نزال نحتفظ بقوات قوية في البحر الابيض المتوسط ، فقد صممنا على أن تحتل هذه القوات روما ، التي كنا نحتاج الى مطاراتها لقصف المانيا الجنوبية، وأن نتقدم في شبه الجزيرة الى خط بيزا - ريميني ، وأن نرغم هناك أكبر عدد من قوات العدو على البقاء ، كما كنا قد اتفقنا على عملية ثالثة وهي عملية النزول في جنوب فرنسا ، وكان الخلاف يكاد ينشب على هذه العملية بالذات ، لأن الامريكيين كانوا قد أصرروا على وجوب القيام بهجوم حقيقى تشنه عشر فرق على الأقل ، وقد أيدهم ستالين في هذا الرأي ، وقد اضطرت لقبول هذا الرأي لكى أمنع تحويل هذه القوات الى بورما .

وهكذا فقد كان سقوط روما شرطا أساسيا للقيام بعملية « السندان » وأيضا في الوقت نفسه تبدأ عملية « السيد الاكبر » وإلى أن يتحقق ذلك لم يكن في وسع اليكساندر الاستغناء عن أى جزء من قواته .

ومع هذا فقد أخذنا عددا من أحسن فرقنا في ايطاليا للاشتراك في عملية « السيد الاكبر » الرئيسية ، قبل انتهاء عام ١٩٤٣ ، ولهذا فقد لحق الضعف بقوة الجنرال اليكساندر ، على حين تقوى كيسلرنج ، حيث بعث الالمان بنجديات الى ايطاليا فأوقفت احتلال انزيو ، كما أخرت دخولنا روما حتى قبيل يوم الغزو في نورمانديا ، وأدى هذا القتال غير الحاد الى اشغال عدد مهم من قوات العدو الاحتياطية كان في الامكان نقاها الى فرنسا ، مما ساعد عملية السيد الاكبر في مراحلها الحرجة المبكرة ، ومهما يكن ، فان تقدمنا في البحر الابيض المتوسط قد اضطرب الى حد كبير ، ولهذا فقد بعث الجنرال ولسون في الحادى والعشرين من مارس يقول : « أن عملية (السندان) لا يمكن القيام بها قبل نهاية يوليو ، ثم عاد فأجل الموعد الى منتصف شهر

أغسطس ، وأعلن أن خير طريقة لمساعدة عملية « السيد الأكبر » تقوم على التخلي عن مهاجمة الريفييرا والتركيز على إيطاليا .

وعند ما سقطت روما في الرابع من يونيو ، تحتم علينا إعادة النظر في المشكلة قبل أن تبدأ عملية « السندان » .

وكان من رأى الجنرال أيزنهاور تقوية الهجوم على شمال غربى أوروبا بجميع الوسائل والامكانيات المتيسرة ، ووافق رؤساء أركان الحرب الأمريكيون أيزنهاور على خطته . كما أيدهم الرئيس روزفلت وقال ان التقدم تجاه ممر بوليانا قد يشغل عددا من الفرق الألمانية ولكنه لا يؤدي الى سحب أى منها من فرنسا وحث على ضرورة القيام بعملية السندان على حساب جيوشنا في إيطاليا ، إلا ان رؤساء الأركان البريطانيين اتخذوا موقفا مغايرا تماما ، وكانوا يفضلون ان يرسلوا قوات من إيطاليا بطريق البحر الى أيزنهاور بدلا من النزول في الريفييرا ، كما أعلنوا ان القيام بعملية « السندان » ستؤثر على القوات الباقية لدى الجنرال اليكساندر ، بحيث لا يمكنه القيام بأى نشاط جديد .

ولم يكن فى الامكان التوفيق بين هذه الآراء التى يتمسك بها كل من الفريقين ، فقد أبرقت الى الرئيس فى الثامن والعشرين من يونيو أقول : « ان هذه الأزمة بين رؤساء أركان حربنا كفيلة بأن تؤدي الى أخطر النتائج ، وغايتنا الاولى هى مساعدة الجنرال أيزنهاور بأسرع ما يمكن ، ولكننا لا نعتقد ان تحقيق هذه الغاية ينطوى بحكم الضرورة على تدمير جميع الجهود العظيمة التى قمنا بها فى البحر الأبيض المتوسط تدميرا كاملا ، وانى لارجو رجاء حارا ان تدرس هذه القضية بنفسك دراسة تفصيلية كما ارجو ان تتذكر حديثك معى فى طهران عن موضوع ايستريا » .

وكان رد المستر روزفلت مقتضبا وجافا ، فقد كان مصمما على استقلال عملية « السيد الأكبر » الى اقصى حدود الاستقلال ، وتحقيق تقدم فى إيطاليا مع القيام بهجوم مبكر على جنوب فرنسا ، وقد ايد ستالين نفسه عملية « السندان » وقال ان العمليات الأخرى فى البحر الأبيض المتوسط ليست بذات أهمية ، ولذا فقد أعلن روزفلت انه لا يستطيع أن يتخلى عن هذه العملية ، وأضاف يقول :

« ان اهتمامى وامانى يتركزان على هزيمة الالمان امام أيزنهاور وانا واثق بأنه ستتوافر لنا فى إيطاليا حتى بعد سحب القوات اللازمة بعملية « السندان » الموارد الكافية لمطاردة كيسلرنج الى الشمال من خط بيرزا - ريميني ، والضغوط الشديد على جيشه لارغامه على الاحتفاظ بقواته الراهنة هناك ، كما أننى لا أستطيع أن أقتنع بأن الالمان سيدفعون الثمن بزج عشر فرق اضافية بقصد الاحتفاظ بشمال إيطاليا كما يقدر الجنرال ويلسون .

كما انه فى وسعنا ان نسحب فورا كما يؤكد الجنرال ويلسون خمس فرق : ثلاث منها أمريكية وفرقتان فرنسيتان من القوات العاملة فى إيطاليا حاليا لتقوم بعملية « السندان » ، وستؤيد من الاحدى

والعشرين فرقة الباقية بالاضافة الى عـدد من الالوية المتفرقة للجـنرال اليكساندر تفوقه البرى .

ولكن اعتراضات المستر روزفلت على النزول فى شبه جزيرة ايستريا والانذفاع نحو فيينا عن طريق ممر بوليانا ، قد اقامت الدليل على تـزمـت الخطط العسكرية الامريكية وعدم مرونتها من ناحية وعلى شكوكه فيما سماه بحملة « فى البلقان » من ناحية اخرى ، وادعى ان اليكساندر وسمطس ، اللذان يؤيدان وجهة نظرى « لعدة اسباب طبيعية وانسانية للغاية » يميلان الى تجاهل اعتبارين حيويين للغاية اولهما ان العملية تمس « الاستراتيجية العظمى » وثانيهما ، انها قد تطول الى حد كبير ، وانا قد لا نستطيع توزيع اكثر من ست فرق من فرقنا ، وكتب يقول : « لا أستطيع الموافقة على استخدام القوات الامريكية ضد ايستريا وفى طريق البلقان ، كما لا أستطيع ان ارى الفرنسيين يوافقون على استخدام قواتهم فى مثل هذه الخطة ، كما لا أستطيع ايضا ان اصمد لاعتبارات سياسية لاية « صدمة » قد تصيبنا فى عملية « السيد الاكبر » ولا سيما اذا عرف « انا قد حولنا قوات ضخمة الى حد ما الى البلقان .

لكننى على كل حال قررت الاذعان مؤقتا ، واصدرت امرى فى الثانى من يوليو الى الجنرال ويلسون ، باعداد العدة لشن هجوم على جنوب فرنسا فى الخامس عشر من شهر اغسطس ، وقد بدأت الاعدادات فورا ، وهنا يجب على القارىء ان يعلم اننا بدلنا اسم عملية « السندان » « بعملية التين » مخافة ان يكون العدو قد فهم معنى الكلمة الاولى .

وعندما وقع تبدل ملحوظ فى ميادين القتال فى نورمانديا فى اوائل شهر اغسطس ، وكانت هناك تطورات كبيرة متوقعة ، فقد قمت فى السابع من الشهر بزيارة الجنرال ايزنهاور فى مقر قيادته على مقربة من بورتسماوث وبسطة له آخر امل لى فى وقف الهجوم على جنوب فرنسا .

لكننى لم أستطع زحزحته عن موقفه او التأثير عليه ، وقد تلقيت فى اليوم التالى برقية من الرئيس يقول فيها : « لقد تبينت بعد الدرس ان علينا ان نشن عملية « التين » طبقا لمخططنا السابق فى اسرع وقت ممكن ، ولى كل الثقة فى نجاح العملية ، لانها ستكون عوننا كبيرا لايزنهاور فى طرد الالمان من فرنسا .

ولذلك قررت فى الحال ان اذهب الى ايطاليا ، لارى القادة والجنود ، كما كنت شديد الرغبة للقاء تيتو ، الذى كان فى امكانه ان يأتى بسهولة الى ايطاليا من جزيرة فيز ، التى كنا نتولى حمايته فيها ، كما كان فى وسع المسيو باباندريو رئيس وزراء اليونان وبعض زملائه الآخرين ان يقدوا من القاهرة ، لكى نضع معهم الخطط لمساعدتهم فى العودة الى اثينا ، عندما يبارحها الالمان ، ولما وصلت الى نابولى بعد ظهر الحادى عشر من اغسطس اوضح لى الجنرال ويلسون ان الترتيبات قد اتخذت لعقد مؤتمر فى الغد بين تيتو وسوباجيك رئيس وزراء حكومة

الملك بطرس الجديدة في لندن ، وكان الرجلان قد وصلا الى نابولي فعلا .

هذا وقد اجتمعت بالمارشال تيتو في المكان الذي انزل فيه في غرفة كبيرة تملأ جدرانها خرائط جبهات القتال وبعد ان تحدثنا طويلا، اشرت الى شبه جزيرة ايستريا على الخريطة ، فأيد المارشال مشروعنا بمهاجمتها ووعد بتقديم كل عون ، واتفقنا على بذل كل جهد ممكن لتقوية يوغوسلافيا حريبا ، وعلى رأب الصدع بينه وبين الملك بطرس .

وبعد ذلك طرت الى جزيرة كورسيكا في اليوم الرابع عشر من أغسطس ، لمشاهدة عملية انزال القوات في الريفيرا ، وأرى لزاما على أن ادون هنا باختصار كل ما حدث :

فقد تم تأليف الجيش السابع بقيادة الجنرال باتسن للقيام بالهجوم وكان يضم سبع فرق فرنسية وثلاث فرق أمريكية مع فرقة أخرى من البريطانيين والأمريكيين الذين نقلوا بالطائرات ، تؤيدها نحو ستبوارج وواحد وعشرين طرادا ومائة مدمرة ، وكان تفوقنا الجوي كبيرا ، كما كان هناك نحو خمسة وعشرين ألف فرنسي مسلح من قوات المقاومة في جنوب فرنسا على استعداد للثورة ، وبدأ الهجوم في صباح الخامس عشر من أغسطس بين كان وهاير ، وكانت الخسائر طفيفة نسبيا ، ولم يأت اليوم الثامن والعشرون من أغسطس حتى كان الأمريكيون قد تجاوزوا فالانس وجرينوبل ، ولم يبذل العدو أية مقاومة جدية لوقف الزحف ، وكانت قوة الحلفاء الجوية تنزل بالألمان أفبوح الخسائر وتحطم مواصلاتهم ، على حين كانت مطاردة ايزنهاور لهم من نورماندي مستمرة ولا سغيما بعد ان وصلت قوات الحلفاء الى نهر السين عند فونتينبلو في العشرين من أغسطس ، وبعد خمسة أيام كانت قواتنا قد تجاوزت ترويه ، وكانت العناصر الباقية من الجيش الألماني التاسع عشر قد اخذت تتراجع تاركة وراءها نحو خمسين ألف أسير في أيدينا ، كما تم احتلال ليون في اليوم الثالث من سبتمبر ، وبيزانسون في الثامن منه ، كما حررت قوات المقاومة ديجون ، وبدأ قد تلاقى قوات « السيد الأكبر » و « الاثنين » في اليوم الثامن من سبتمبر في بلدة سوميرنون ، وقد تم في المثلث الواقع في جنوب فرنسا الغربي عزل بقايا الجيش الألماني الأول وعددها عشرون ألف جندي استسلموا بدون مقاومة ، الا اننا دفعنا في مقابل ذلك ثمنا باهظا للغاية .

هذا وقد بعثت الى الرئيس من نابولي البرقية التالية لانبثه عن حقيقة الموقف بشكل لا لبس فيه :

« ان احاديثك الى في طهران عن ايستريا لا تغيب عن بالي قط ، واني لوائق من أن وصول جيش قوى الى تريستا وايستريا في مدى اربعة اسابيع او خمسة سيكون له اثر بالغ الاهمية ، ولا ريب في ان جماعة تيتو سيكونون في انتظارنا في ايستريا ، وليس في وسعي أن اتصور ماذا سيكون عليه موقف المجر اذ ذاك . ولكننا سنكون على الأقل في وضع يمكننا من استغلال الأوضاع العظيمة » .

وبعد عودتي للوطن تلقيت الرد التالي من الرئيس روزفلت :

« اننى أشاطرك الثقة فى أن قوات الحلفاء فى ايطاليا كافية لاداء المهمة الملقاة عليها ، وان قائد المعركة سيواصل الضغط بقوة وعزم مستهدفا تحطيم قوات العدو ، . . اما بالنسبة الى استخدام قواتنا الموجودة فى ايطاليا فى المستقبل ، فهذه مسألة يمكننا بحثها فوراً ، وبالنظر الى أوضاع الفوضى التى تسود الالمان فى جنوب فرنسا ، فانى آمل ان تتصل قواتنا فى الشمال والجنوب فى وقت اسرع مما كان منتظرا فى السابق .

وسنرى ان هذين الاملين لم يتحققا لأن الجيش الذى انزلناه فى الريفييرا والذى كلفنا انزاله هذا الثمن الباهظ بالنسبة الى عملياتنا فى ايطاليا ، وصل متأخرا للغاية ، وبذلك لم يستطع أن يقدم العون لصراع ايزنهاور الرئيسى فى الشمال ، وفى الوقت نفسه منى جيش اليكساندر بالفشل بعد أن كاد ينجح ، مما سبب تأخير تحرير ايطاليا ثمانية اشهر ، كما حيل بيننا وبين زحف جناحنا الايمن فى اتجاه فيينا ، وباستثناء ما حققناه فى اليونان ، فإن قدرتنا العسكرية على تحرير جنوب اوروبا الشرقى قد ضاعت وتلاشت .

ولما كان كيسلرنج قد تلقى نجدات جديدة حتى اصبح عدد القوات الالمانية العاملة تحت امرته ثمانيا وعشرين فرقة كما تمكن من تجميع فرقتين جاء بهما من قطاعين هادئين وشرع فى هجمات مضادة ، اذا اضيفت الى مشكلات تمويننا فوق المرات الجبلية ووعورة الارض ، فقد اثمرت فى وقف زحفنا ، الا انه على الرغم من الخسائر الفادحة التى منينا بها فقد تحقق لنا بعدها الظفر ، وبدأ المستقبل زاهيا مشرقا ، لأن جيوش الحلفاء فى ايطاليا ظلت تواصل الضغط لكى تحول بين العدو وبين وصول المساعدات اليه ، ولكنه بعد منتصف شهر نوفمبر استحال علينا القيام بأى هجوم رئيسى ، ولم تستطع جيوشنا تحقيق النصر الذى تستحقه والذي كادت تحصل عليه فى الحريف الا عندما حل الربيع الجديد .»

انتصار الروس في بولندا واحتلالها

كان النضال الروسى يفوق فى نطاقه الى تحد كبير جميع العمليات العسكرية التى سردها فى الفصول السابقة ، ولما كان العدو قد منى بنكسات متتالية فى مطلع شتاء عام ١٩٤٣ ، فقد صمموا على الا يتيحوا له فرصة للاستراحة ، حتى أنهم فى منتصف شهر يناير سنة ١٩٤٤ شنوا عليه هجوما فى جبهة طولها مائة وعشرون ميلا تمتد من بحيرة ايلمان الى ليننجراد وتمكنوا من اختراق الخطوط الدفاعية التى أقامها العدو أمام المدينة والى الجنوب من هذه الجبهة ، كما أنهم صدوه فى نهاية شهر فبراير الى شواطئ بحيرة بيبوس ، بعد ان تحررت ليننجراد نهائيا ، وقد أصبح الروس بهذا الانتصار يقفون على حدود دول البلطيق كما ارغموا الالمان أيضا على التراجع من غرب كييف الى حدود بولندا ، كما واصلوا طيلة شهر مارس ضغطهم على طول الجبهة ، حتى ارغموا العدو على التراجع من جومر الى البحر الاسود ، ولم يتوقف هجوم الروس حتى تم دحر الالمان وتحطيم الجيش السابع عشر واسترداد ساستبول .

وقد أثارت هذه الانتصارات العظيمة قضايا ذات أهمية بالغة وخصوصا بعد أن أطل الجيش الاحمر الآن على أواسط أوروبا وشرقها كما أثارت كثيرا من التساؤلات ، عن مصير بولندا والمجر ورومانيا وبلغاريا واليونان التى ضحينا من أجلها بالكثير وعملنا المستحيل لمساعدتها وهل ستدخل تركيا الحرب الى جانبنا ؟ وهل ستحاط يوغسلافيا بالفيضان الروسى ؟ ولما كانت أوروبا قد بدأت تتطور بعد الحرب ، فقد أصبح من الضرورى اعداد ترتيب سياسى سريع بالنسبة لها مع السوفيت

لذلك فقد قام السفير السوفيتى فى لندن بزيارة وزارة الخارجية فى الثامن عشر من مايو للبحث فى الاقتراح الذى كان المستر ايدن قدمه للسوفيت وذكر فيه أن فى وسع الاتحاد السوفيتى أن يعتبر المشكلات الرومانية مؤقتا من القضايا الخاصة به ، على ان يترك مشكلات اليونان لنا لنعالجها ، ولما كان الروس على استعداد لقبول هذا الاقتراح ، فقد أرادوا أن يعرفوا اذا كنا قد استشرنا الولايات المتحدة بخصوصه فاذا اتضح اننا استشرناها فليس لديهم مانع من الموافقة عليه ، ولذلك فقد بعثت فى الحادى والثلاثين من مايو ببرقية الى المستر روزفلت قلت فيها :

« آمل فى ان تتمكن من ان تمنح هذا الاقتراح بركتك ، ونحسن بالطبع لا نريد تقسيم البلقان الى مناطق نفوذ ، وعند الموافقة عليه ، يجب ان توضح تماما ، انه لا ينطبق الا على أوضاع الحرب ، والا يؤثر على حقوق الدول العظمى الثلاث ومسئولياتها ، التى ستمارسها فرادى فى أية تسوية سلمية بالنسبة الى أوروبا كلها ، كما ان هذا الترتيب لا يؤثر

على كل حال ، على التعاون الراهن القائم بيننا وبينكم ، في تخطيط سياسة الحلفاء تجاه هذه الدول وتنفيذها ، ونحن نشعر أن هذا الترتيب المقترح ، سيكون وسيلة نافعة في الحيلولة دون أى خلاف في السياسة بيننا وبينهم في البلقان ،

وقد أثار هذا الاقتراح أعصاب المستر هل وزير الخارجية الأمريكية لأنه كان لا يوافق على إيجاد مناطق نفوذ لاى كان ولا حتى قبول فكرتها ، ولذلك فقد أ برق الرئيس الى فى الحادى عشر من يونيو يقول :

« نحن نقر باختصار ، بأن من حق الحكومة العسكرية المسئولة فى أى أرض أن تتخذ القرارات التى تتطلبها التطورات العسكرية ، ولكننا على يقين من أن مثل هذا الاتفاق المقترح ، سيقوى الميل الطبيعى لتوسيع هذه القرارات لتشمل آفاقا أخرى غير عسكرية ، كما أنه سيؤدى حتما الى اشتداد الخلاف بينكم وبين الروس ، بسبب تقسيم منطقة البلقان الى مناطق نفوذ ، على الرغم من التصميم المعلن لأن يكون هذا فى نطاق المسائل العسكرية فقط ، كما أننا نعتقد أن المحاولات يجب أن تبذل عوضا عن ذلك ، لاقامة جهاز استشارى يتولى ازالة سوء التفاهم ، والحد من الاتجاه الى تنمية مناطق النفوذ الخاصة »

وقد ازعجتنى هذه الرسالة ، فبعثت الى الرئيس فى اليوم نفسه أقول : « ان العمل سيقف تماما اذا تحتم على كل إنسان أن يستشير الآخر فى كل موضوع أو اجراء قبل اتخاذه ، فالاحداث فى البلقان ستسبق فى سرعتها دائما الاوضاع المتغيرة فى المنطقة ، ويجب أن يكون هناك من يملك سلطة التخطيط والعمل ، أما قيام لجنة استشارية فسيكون بمثابة عائق ، نتخطاه دائما فى حالات الطوارئ ، عن طريق الاتصال المباشر بينى وبينك أو بين كل منا وبين ستمالين »

ولننظر الآن الى ماوقع فى عيد الفصح ، لقد تمكنا من السيطرة على الوضع بالنسبة لتمرّد القوات اليونانية طبقا لآرائك الشخصية ، لأننى كنت قادرا على اصدار الاوامر الدائمة الى القواد العسكريين الذين كانوا فى البداية يؤيدون فكرة الصلح والتفاهم ، ويعارضون فى استخدام القوة ، أو حتى فى مجرد التهديد باستخدامها ، وقد تحسّن الوضع فى اليونان تحسنا كبيرا ، كما أن الروس على استعداد للسماح لنا بتولى الشئون اليونانية ، وهذا يعنى أن فى امكان جيوش اليونان الوطنية نفسها أن تسيطر على جبهة التحرير الوطنية وعلى كل ما تبينته من النوايا السيئة ، واذا كان من المحتم علينا فى مثل هذه المصاعب ان نستشير دولا أخرى ، وان يجرى تبادل البرقيات بشكل ثلاثى أو رباعى ، فان النتيجة الوحيدة لمثل هذه الحالة أن تسود حالة الفوضى والعجز .

ويبدو لى أنه بالنظر الى اعتزام الروس القيام بغزو رومانيا بقوات كبيرة والى رغبتهم فى مساعدتها على استعادة جزء من تراتسلفانيا من المجر ، على شرط أن يبدى الرومانيون اخلاصا لجهودها ، وهو ما قد

يفعلونه ، فإن من الخير أن نحذر حذو السوفيت ، ولا سيما ، أنه لا يوجد لنا أبداً لكم أية قوات هناك ؛ وإن في وسعهم تحقيق ما يريدون هناك على أى حال ، ولهذا فاني اقترح بأن توافق على تجربة الترتيبات التي حددتها في رسالتي في الحادي والثلاثين من مايو لمدة ثلاثة أشهر ، على أن تعود الدول العظمى الثلاث الى اعادة النظر فيها بعد انتهاء هذه المدة . »

وقد وافق الرئيس على هذا الاقتراح في الثالث عشر من يونيو ، ولكنه أضاف يقول ، انه يجب علينا ان نحرض أشد الحرص على ان نوضح بكل جلاء أننا لا نقيم في عملنا هذا مناطق للنفوذ ، وقد وافقته على رأيه وبعثت اليه بالرد التالي :

« انني شاكر لكم أجزل الشكر ، وقد طلبت الى وزير الخارجية ان ينقل هذه المعلومات الى مولوتوف ، وان يوضح له ان السبب الذي حملنا على تحديد فترة الاشهر الثلاثة ، هو رغبتنا في ألا يكون هناك أى مجال للتفكير بأننا نعنى إقامة مناطق نفوذ لما بعد الحرب . »

وقد أبلغت هذا لوزارة الحرب ، واتفق على أن يقوم وزير الخارجية بإبلاغ الحكومة السوفيتية موافقتنا على هذا الاقتسام العام للمسئولية ، وتم تنفيذ ذلك في التاسع عشر من يونيو ، لكن الرئيس لم يكن مرتاحاً للطريقة التي عملنا بموجبها ، فقد تلقيت منه رسالة يقول فيها :

« لقد أزعجنا ، أن يقوم رجالك بالتحدث إلينا في هذا الموضوع بعد ان تم الاتفاق عليه مع الروس . »

ولما كانت رسالته هذه تفيض بالالم وفيها معنى التآنيب فقد أرسلت اليه الرد التالي :

« ان روسيا هي الدولة الوحيدة التي تستطيع ان تفعل شيئاً في رومانيا كما يقع العبء اليوناني من الناحية الاخرى على كاهلنا ، وقد حملنا هذا العبء منذ ان خسرنا نحواً من أربعين الف رجل في محاولة غير مجدية لمساعدة اليونان في عام ١٩٤١ ، بالاضافة الى انكم قد سمحتم لنا بأن نعمل ما نريد مع تركيا ، ومع ذلك فقد كنا نستشيركم دائماً في القضايا السياسية ، واعتقد اننا كنا على اتفاق بصدد الاتجاه الذي نسير فيه ، وقد يكون من السهل على ان انزلق من ناحية المبادئ العامة الى اليسار ، وهو ما غدا مألوفاً الآن في السياسة الخارجية ، وأن أسمح للأمور بأن تسوء ، فيجد ملك اليونان نفسه مضطراً للنزول عن العرش وتفرض جبهة التحرير الوطني حكماً من الارهاب في البلاد ، مرغمة القرويين وغيرهم من أبناء الطبقات الاخرى على تأليف أفواج للسلامة والامن تحت اشراف الالمان لمنع البلاد من الوقوع في الفوضى ، والطريقة الوحيدة التي تمكنني من الحيلولة دون ذلك هي اقناع الروس بأن يوقفوا دعمهم لجبهة التحرير ودفعهم للامام بكل مآلديهم من قوة ، كما قمت أيضاً بالاجراءات اللازمة لاحقق وحدة يوغسلافيا ، بالجمع بين قوات تيتو وقوات الصربيين مع جميع من يؤيد الحكومة الملكية التي اعترفنا بها معا ، وكنا نطلعك في كل مرحلة على الطريقة التي حملنا بها هذه

الإعباء الثقيلة التي نتحملها الآن وحدنا ، وليس أسهل هنا أيضا من القذف بالملك وجكومتته الى الذئاب تنهشهما ، ومن السماح للحرب الاهلية بأن تندلع في البلاد ، مما يثلج صدور الالمان ، واننى أجاهد لاستخلاص النظام من الفوضى في كل من البلدين ، ولاركن كل الجهود على مقارعة العدو المشترك ، كما اننى أواصل اطلاءك على كل ما أعمله ، وكل أملى فى ان أنال ثقتك ومساعدتك فى الميادين كلها . »

وجاء هذا الرد من الرئيس روزفلت. لكى يضع حدا لهذا الجدل بين الاصدقاء :

« يبدو لى ان كلا منا قام متهاونا بعمل من جانب واحد فى اتجاه نتفق معا الآن على انه نافع ومفيد ، ومن المهم ان نكون متفقين دائما فى جميع القضايا التي تتعلق بمجهودنا الحربي »

وقد رددت عليه أقول : « فى وسعك ان تثق فى اننى سأتطلع دائما الى الاتفاق معك حول جميع الأمور قبل العمل وفى أثناء القيام به وبعده »

ومع ذلك فقد ظلت المتاعب تترى ، فعندما أدرك ستالين الشكوك الامريكية في الموقف ، أصر على استئثارهم مباشرة ، ولم يتمكن فى النهاية من الوصول الى اتفاق أخير حول تقسيم المسئوليات فى البلقان ، كما بعث الروس فى أوائل شهر أغسطس بطريق التهريب بعثة من ايطاليا الى جيش التحرير اليونانى (ايلاس) المنبثق من جبهة التحرير الوطنى والذي يعمل فى شمالى اليونان ، وعلى ضوء تردد الحكومة الامريكية وسوء نية الروس ، تخلينا عن محاولتنا للوصول الى تفاهم كلى ، الى أن التقيت بـستالين فى موسكو ، بعد مضي شهرين ، وتمت فى اثنائها أمور كثيرة فى الجبهة الشرقية .

ففى فنلندا اقتحمت جيوش سوفيتية خط مانرهايم وأعادت فتح السكة الحديدية بين ليننجراد ومورمانسك ، وأجبروا الفنلنديين قبل نهاية شهر أغسطس على طلب الهدنة ، وبدأ هجومهم الرئيسى على الجبهة الالمانية فى الثالث والعشرين من يونيو ، ولم تحل نهاية يوليو حتى كانت الجيوش الروسية قد وصلت الى نهر النيمن بين جوردنو وكوفينو ، أما الخسائر الالمانية فكانت ماحقة ، اذ زال من الوجود نحو من خمس وعشرين فرقة المانية ، كما تم تطويق عدد مماثل فى كورلاند ، وفى السابع عشر من يوليو ، مر فى شوارع موسكو سبعة وخمسون ألف أسير المانى الى جهة لا يعلمها الا الله .

كما أنه وقع فى الثالث والعشرين من أغسطس انقلاب عسكري فى بوخارست أعده الملك الشاب ميخائيل وقد اخلصت الجيوش الرومانية أشد الاخلاص لملكها ، اذ لم تمض ثلاثة أيام حتى كان قد تم نزع سلاح القوات الالمانية التي لم تنسحب فى اتجاه الحدود الشمالية وجلا الالمان عن بوخارست فى الاول من سبتمبر ، ولما دخلت الجيوش الروسية رومانيا اكتسحت البلاد بأكملها واستسلمت الحكومة الرومانية ، وكذلك تم

انخضاع بلغاريا ، كما انتشرت الجيوش الروسية غربا ، فزحفت من وادي الدانوب مختربة ترانسلفانيا وجبال الالب في اتجاه الحدود المجرية على حين كان جناحها الايسر قد اصطف على حدود يوغسلافيا للزحف غربا في اتجاه فيينا .

أما في بولندا فقد وقعت مأساة تتطلب منها شرحا أوفى : ففي نهاية شهر يوليو ، وقفت الجيوش الروسية أمام نهر الفستولا ، وكانت جميع الدلائل تشير الى أنه لن يمضي وقت طويل حتى تكون بولندا بأسرها في أيدي الروس ، وتحتم على قادة جيش المقاومة السرية البولندية وهم الذين يدينون بالولاء لحكومة بولندا التي في لندن ، أن يقرروا موعد القيام بثورة عامة ضد الألمان للاسراع في تحرير بلادهم ، وقد خولت حكومة لندن القائد العام الجنرال بور - توموريسكي تحديد موعد الثورة واعلانها ، وبدأت الفرصة مواتية فعلا ، عندما حملت الأنباء في العشرين من يوليو قصة المؤامرة على هتلر ، وقد تبعها بسرعة اختراق الحلفاء لجهة نورمانديا ، كما عبر الروس نهر الفستولا في اليوم نفسه واندفعت دورياتهم الامامية في اتجاه وارسو ، ولم يبق أي شك في أن الألمان باتوا على وشك الانهيار العام .

ولذلك فقد قرر الجنرال بور تبعا لذلك القيام بثورة عامة وتحرير العاصمة وكان لديه أربعون ألف رجل ، وتألفت في الوقت نفسه لجنة شيوعية لتحرير الوطن في شرقي بولندا ، وفي التاسع والعشرين من شهر يوليو ، وجه الحزب الشيوعي البولندي نداء من إذاعة موسكو الى أهالي وارسو ، يطلب اليهم أن يشتبكوا مع الألمان الآن ، وكانت الدبابات الروسية قد اخترقت خطوط الألمان الدفاعية الى الشرق من العاصمة ، كما أصبحت الجيوش الروسية على بعد عشرة أميال من المدينة ، فلم يمض أكثر من خمس عشرة دقيقة على نشوب الثورة حتى كانت المدينة كلها قد اشتبكت في معركة ضارية ، وهكذا بدأت معركة المدينة .

ولما وصلت الأنباء الى لندن في اليوم التالي ، أخذنا ننتظر بذهلة وقلق المزيدي منها ، وقد سكنت الاذاعة السوفيتية وتوقف النشاط الجوي الروسي عندما شرع الألمان في الرابع من أغسطس يهجمون من مراكز المنيع داخل العاصمة ومن ضواحيها وأصبح الثائرون يواجهون الآن خمس فرق المانية حشدت في المنطقة بصورة عاجلة ، كما جرى بفرقة هيرمان جورنج أيضا من ايطاليا وبفرقتين من رجال الحرس فيما بعد .

فأبرقت الى ستالين أقول :

« تلبية لنداء عاجل من الجيش السري البولندي ، قررنا أن ننزل - اذا ساعدتنا الأحوال الجوية - نحو بستين طنا من المعدات والذخائر في الاحياء القريبة الجنوبية من وارسو ، حيث يقال : ان الثورة البولندية تشتبك مع الألمان في قتال عنيف ، وهم يطلبون في الوقت نفسه المساعدة الروسية التي تبدو قريبة منهم . »

وقد تلقيت من ستالين ردا جافا يقول فيه :

« تسلمت رسالتك ، واعتقد أن المعلومات التي نقلها اليك البولنديون مبالغ فيها كل المبالغة ، ولا توحى بالثقة مطلقا ، لانه ليس لديهم مدافع ولا دبابات ولا طائرات ، ولا أستطيع ان أتصور كيف يمكن هذه الفصائل ان تستولى على وارسو التي حشد الالمان للدفاع عنها أربع فرق من فرق الدبابات بينها فرقة هيرمان جورنج ؟ »

هذا وقد استدعى فيشنسكى ليلة السادس عشر من أغسطس سفير الولايات المتحدة في موسكو لزيارته ، وأوضح له أنه رغبة منه في تجنب أى احتمال لسوء الفهم ، يود ان يتلو على مسامعه البيان المذهل التالي :

« لا تستطيع الحكومة السوفيتية بالطبع ان تعترض على قيام الطائرات الانجليزية او الأمريكية بالقاء السلاح على مقاطعة وارسو اذ ان هذا الأمر يهم الانجليز والأمريكيين وحدهم ، ولكن الحكومة السوفيتية تعارض مصرّة في هبوط الطائرات الأمريكية أو الانجليزية بعد القائها الاسلحة على وارسو في الأراضي السوفيتية وذلك لأن الحكومة السوفيتية لا تريد ان ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمغامرة وارسو » .

وبعد مضي أربعة أيام بعثت هذا النداء المشترك بالانفاق مع الرئيس روزفلت الى ستالين :

« اننا نفكر في الرأى العام العالمى ، وما سيلحق به من صدمة ، اذا تخلينا عمليا عن المكافحين ضد النازية في وارسو ، واعتقد أن من واجبنا نحن الثلاثة ان نبدل كل ما في وسعنا لانقاذ أكبر عدد ممكن من أزواج الوطنيين فيها ونحن نأمل انك ستلقى المساعدات والدخائر من الجو على الوطنيين البولنديين في وارسو أو أنك ستوافق على مساعدة طائراتنا في اداء هذا العمل بكل الطرق الممكنة ولا ريب في ان عامل الوقت مهم للغاية .

وكان هذا هو الرد الذى تلقيناه منه :

« تلقيت رسالتك التى اشتركت فيها مع المستر روزفلت بصدد وارسو وواجب أن أوضح آرائى تمام الايضاح :

ستعرف هذه الحقيقة ان عاجلا أو آجلا ، عن تلك المجموعة من المجرمين الذين شرعوا في مغامرة وارسو ، رغبة منهم في اغتصاب السلطة ، وقد استغل هؤلاء المجرمون سداجة أهل وارسو وحسن نواياهم ، فقدفوا بالعزل من أهلها أمام دبابات الالمان ومدافعهم وطائراتهم ، وقد نشأ وضع لا يخدم البولنديين لتحرير وارسو ، بل يخدم الهتلريين الذين يقتلون أهل وارسو بصورة وحشية .

وكان هذا الوضع الناشئ ضارا بالجيش الاحمر من الناحية العسكرية بقدر ما هو ضار بالبولنديين أنفسهم ، لانه وجه اهتمام

الألمان بشكل متزايد نحو وارسو ، وقد واجهت القوات السوفيتية هجمات ألمانية مضادة وهي تقوم ببذل كل ما في وسعها لتحطيم هذه الهجمات التي يقوم بها الهتلريون ، وليس ثمة شك في أن الجيش الأحمر سيحطم الألمان ويحرر المدينة لأهلها ، وسيكون هذا العمل خير مساعدة فعالة يمكن الجيش الأحمر أن يقدمها إلى البولنديين »

وكانت معركة وارسو قد وصلت في هذه الأثناء إلى ذروتها حيث صب رجال الدبابات جام غضبهم وسخطهم ومرارة خيبتهم على الأبنية المجاورة لهم ، فأشعلوا فيها النيران كما أشعلوا النار في جثث الموتى التي تملأ الشوارع ، كما دفن بعضهم في حدائق البيوت الخلفية والساحات العامة ، وصارت المواد الغذائية قليلة ولكن المدينة لم تصل إلى حد المجاعة ، وقد جف الماء في الأنابيب ، وضاعف اسقاط المؤن من الجو من رفع الروح المعنوية لدى الأهالي وشد من عزائمهم .

وكنتم آمل أن يساعدنا الأمريكيون في اتخاذ عمل جذري ، ولكن المستر روزفلت عارض في ذلك

ولما كانت قضية وارسو من الأهمية بمكان عظيم فقد اجتمع مجلس وزرائنا ليلة الرابع من سبتمبر ، لبحثها ، وكنتم أود أن أقول للروس : « أننا نعتزم إرسال طائراتنا للهبوط في أراضيكم ، بعد القاء حمولتها في وارسو ، فإذا أسأتم معاملتها فسنوقف إرسال قوافلنا إليكم منذ هذه اللحظة »

ولا ريب أننا لو كنا اتخذنا هذه الخطوة لكائن مجدية ، فقد كنا نتعامل مع رجال في الكرملين تتحكم الأرقام في أعمالهم دون عواطفهم وكان وقف القوافل عندهم في هذه اللحظة الحرجة من زحفهم العظيم كفيلا بأن يترك في عقولهم آثارا لا تقل عما تتركه اعتبارات الشرف والانسانية والايمان الكريم في الناس العاديين الآخرين ، ولهذا فقد بعثت وزارة الحرب بالبرقية التالية إلى ستالين ، وكانت هذه هي الخطوة المثلى التي رأينا من الحكمة القيام بها .

« تود وزارة الحرب من الحكومة السوفيتية أن تعلم أن الرأي العام في هذه البلاد متأثر أعماق التأثير بالأحداث الجارية في وارسو ، وبالآلام المرعبة التي يتحملها البولنديون ، ومهما كانت الأخطاء التي ارتكبت في بداية الثورة في وارسو ، صحيحة أو غير صحيحة ، فإن شعب وارسو نفسه لا يمكن أن يعتبر مسئولا عن القرار الذي اتخذ ، ولا يستطيع شعبنا أن يفهم لماذا نحن بالمساعدة المادية من الخارج على البولنديين في وارسو وأصبح الكل عندنا يعرفون أن مثل هذه المساعدة لا يمكن إرسالها لأن حكومتكم ترفض السماح للطائرات الأمريكية بالهبوط في المطارات التي في أيدي الروس ، وإذا قدر للبولنديين في وارسو أن يسحقوا بعد هذا كله على أيدي الألمان ، وهو أمر بات متوقعا خلال يومين أو ثلاثة كما قيل لنا ، فإن الهزة التي سيصاب بها الرأي العام عندنا ستكون أكثر مما يحتمل ويطاق .

واحتراما منا للمارشال ستالين وللشعوب السوفيتية التي نود مخلصين أن نعمل معها في السنوات المقبلة ، تود وزارة الحرب مني

ان اوجه نداء آخر الى الحكومة السوفيتية لتقدم كل ما في وسعها من طاقة في هذا الصدد ، وان تؤمن هبوط الطائرات الأمريكية في مطاراتكم تحقيقا لهذا الغرض .

ولهذا فقد شرع الكرملين في تغيير أسلوبه في العاشر من سبتمبر كما بدأت قذائف المدفعية السوفيتية تتساقط على الضواحي الشرقية من وارسو ، وشقت القوات البولندية الشيوعية بأمر من الروس طريقها الى حدود العاصمة ، وأخذت الطائرات السوفيتية تلقي المؤن على العاصمة ، ولكن معظم المظلات لم تفتح فتحطمت الصناديق التي بها المؤن وأخذت المجاعة تسيطر على المدينة .

وقد أدت المحاولات التي بذلتها مع الأمريكيين للحصول على مساعدتهم دورها ، فحلقت مائة وأربع قاذفات ثقيلة في الثامن عشر من سبتمبر فوق العاصمة ، وألقت فوقها المؤن ولكن النجدة جاءت متأخرة ، وجاءني ميكولاچيك في الثاني من أكتوبر ليقول لي : ان القوات البولندية في وارسو على وشك الاستسلام للألمان . والتقطنا في لندن آخر اذاعة صدرت عن المدينة الباسلة ونصها الآتي :

« أنها الحقيقة البشعة ، لقد عوملنا أسوأ مما عومل به أتباع هتلر ، عوملنا أسوأ من ايطاليا ورومانيا وفنلندا ، واننا لنبتهل الى الله العادل القدير ، أن ينزل عقابه بأولئك الذين عرضوا الشعب البولندي لظلم مروع ، وأن يقتص من جميع المسؤولين عما لحق بنا من عذاب » .

« مثل هذا الشعب الذي استطاع حشد هذا القدر من البطولات إنما هو من الخالدين ، ولقد انتصر الذين قضوا نحبتهم ، أما الذين عاشوا فسيمضون في القتال ، وسيمنتصرون ، وسيقيمون الدليل من جديده على أن بولندا ستظل حية طالما أن هناك بولنديين بين الأحياء .

ولا يمكن لانسان أن ينسى أبدا هذه الكلمات ، فلقد استمر الصراع في وارسو أكثر من ستين يوما ، وسقط في ميدان النضال أكثر من خمسة عشر ألفا من اربعين ألفا من الرجال والنساء كانوا يؤلفون جيش المقاومة السرية وأصيب أكثر من مائتي ألف من سكان العاصمة ، كما كلف اخماد الثورة الألمان أكثر من عشرة آلاف قتيل وسبعة آلاف مفقود وتسعة آلاف جريح .

وعندما دخل الروس المدينة بعد ثلاثة أشهر لم يجدوا شيئا غير الشوارع المحطمة والجثث التي لم تدفن ، وهكذا كان تحرير الروس لبولندا التي يحكمونها الآن ، ولكنها لن تكون نهاية القصة على كل حال .

بورما

اما الموقف في جنوب شرقي آسيا فانه يختلف كل الاختلاف عن مثيله في أوروبا ، حيث كان اليابانيون يحتلون منذ أكثر من ثمانية عشر شهرا ، قوسا دفاعيا يضم المناطق الجديدة التي احتلوها ، وكان هذا القوس يمتد من الجبال التي تغطيها الغابات في شمالي بورما وغربيها ، حيث كانت قواتنا البريطانية والهندية تشتبك معها في قتال عنيف يمتد الى جزر اندامان وجزيرتي سومطرة وجاوه . ومن هناك في انعطاف نحو الشرق الى غينيا الجديدة

وقد أقام الأمريكيون قواعد الطائرات البعيدة المدى في أرض الصين لمهاجمة اليابان نفسها ، كما كانت تقوم بتدمير مواصلات العدو البحرية بين اليابان وجزر الفلبين ، وكذلك تقوم أيضا بنقل المعدات للقوات الصينية بطريق الجو فوق جبال هملايا وكانت هذه عملية شاقة ومتعبة جدا ، وقد طلب منا الأمريكيون أن نعيد احتلال شمالي بورما بسرعة لتأمين الطريق الى الصين ، لأننا كنا نؤيد بقاء الصين في الحرب واستخدام أراضيها كقواعد جوية لطائرات الحلفاء ، ولكنني لم تستهوني فكرة القيام بحملة واسعة النطاق في شمالي بورما لأن هذا المكان كان أسوأ ميدان لكى نقاتل فيه اليابانيين ، كما أن شق الطريق الذى طلبه الأمريكيون ليصل ليدو بالصين كان عميلا فى ذاته منهكا ، وكان لا يمكن اتمامه الا بعد أن تكون الحاجة اليه قد انتهت وحتى لو تم اتمامه فى الوقت المناسب لاستعماله فى تزويد القوات الصينية بالمعدات والسلاح فان ذلك لا يغير شيئا من طاقتها ، ولا ريب فى أن الحاجة الى تقوية القواعد الجوية الأمريكية فى الصين ستخف تدريجيا كلما تقدمت قوات الحلفاء فى المحيط الهادى ومن ناحية استراليا ، واحتلت مطارات تقربها من اليابان .

وقد كنت أفضل ابقاء على اليابانيين فى مركز الدفاع فى بورما وان نخترق القوس الدفاعى العظيم من الجزر التى تؤلف الطرف الخارجى لجزر الهند الهولندية ، حيث كان فى وسع جبهتنا الهندية فى هذه الحالة أن تتقدم الى خليج البنغال لتشتبك مع العدو عن طريق استخدام العمليات البرمائية فى كل مرحلة من هذه المراحل .

هذا وقد بدأت الحملة فى ديسمبر عام ١٩٤٣ عندما اجتاز الجنرال ستلويل بفرقتين صينيتين الحاجز المائى من ليدو الى الادغال التى تحت سلسلة الجبال الرئيسية ، وقد قاومته الفرقة اليابانية الثامنة عشرة المشهورة ولكنه واصل التقدم حتى توغل مسافة اربعين ميلا ، كما قام فيلق بريطانى فى الجنوب بالزحف على طول ساحل

أركان على خليج البنغال ، وتمكننا في الوقت نفسه بمساعدة الطائرات القاذفات اللهب من إحراز شيء من التفوق الجوي ، ومع هذا فقد توقف زحفنا في شهر فبراير فجأة .

أما اليابانيون فقد أخذوا يعدون خططهم منذ شهر نوفمبر ، حيث ضاعفوا قواتهم في بورما من خمس فرق إلى ثمان ، كما فكروا في غزو شرقى الهند ، لرفع علم الثورة ضد البريطانيين ، وكانت الضربة الأولى التى فكروا فيها هى القيام بهجوم في أركان نحو ميناء شيتا جونج ، لكى يرغمونا على سحب قواتنا الاحتياطية كما تمكنوا من وقف زحف فرقنا الخامسة على الساحل ، ثم تسللوا بفرقة أخرى داخل الأدغال حول فرقنا السابعة التى كانت فى الداخل ، وقد تمكنوا فى بضعة أيام من تطويق هذه الفرقة ، كما هددوا بقطع طريق الساحل وراء فرقنا الخامسة . وظلت قواتنا تتلقى الغذاء والماء والعتاد بطريق الجو مدة أسبوعين .

ولم يكن هذا كل شيء ، فقد تلقينا اشارات واضحة تؤكد أن جبهتنا الوسطى فى أجهال ستعرض للهجوم ، وكنا بدورنا نستعد للزحف نحو نهر شندوين . واعدت قوات الشنديات المشهورة التى يتولى قيادتها الجنرال وينجيت لتوجيه ضرباتها إلى خطوط تموين العدو ومواصلاته ، كما بدأنا فى الخامس من مارس نقل لواءين آخرين من القوات البريطانية وجنود الجوركا (من الهنود) تعزيزها وحدة من الفدائيين الجويين الأمريكيين تحملها ٢٥ طائرة ، وبعد أن اجتمعت هذه القوات فى مكان واحد شرعت فى هجومها فقطعت مواصلات السكة الحديدية الى الشمال من اينداد ، ولكن ضربة العدو الرئيسية سقطت على جبهتنا كما توقعنا حيث شرعت ثلاث فرق يابانية فى الهجوم فى الثامن من شهر مارس ، كما سحب الجنرال سكونيز فيلقه الرابع المؤلف من ثلاث فرق أيضا إلى هضبة امبها ، ليخوض معركة فى أرض يختارها هو ، وكرر اليابانيون الخطة التى اتبعوها نفسها فى أركان ، وركزوا خططهم من أجل الاستيلاء على مستودعاتنا الضخمة فى امبها ، كما كان هدفهم ان يقطعوا الطريق الى ديمابور والسكك الحديدية أيضا ، وذلك لقطع طريق تموين قوات الجنرال ستلويل ، والجسر الأمريكى الى الصين ، وقد اضطررنا لايقاف عملياتنا الحربية على ساحل أركان ، كما سحبنا الفرقة الهندية لمساعدة الفرقة الخامسة فى امبها ، ونقلنا الفرقة السابعة الى ديمابور ، بقيادة الجنرال ستوبفورد .

ولما كانت بلدة كوهيما تسيطر على مفترق الطرق وعلى المضيق المؤدى الى وادى آسام ، فقد شن اليابانيون هجوما عنيفا عليها استخدموا فيه فرقة كاملة وكانت حاميتها تتألف من فوج من قوة كنت الملكية ولواء من قوة نيبال ولواء من قوات آسام ، وايضا كل جندي يستطيع حمل السلاح من الناقهين فى المستشفيات ، وقد اضطرت قواتنا الى التراجع الى منطقة صغيرة ثم حوصرت فى تل واحد

هذا وقد اشتد القتال حتى بلغ ذروته فى مايو سنة ١٩٤٤

وقد حوصرت قواتنا البالغ عددها ستين ألف جندي بريطاني وهندي بكل معداتهم الحديثة في دائرة في سهل امبهال وأيقنت أن كل شيء يتوقف الآن على طائرات النقل ، فأيرقت الى مونتباتن في الثاني والعشرين من يونيو أقول :

« اعرب رؤساء أركان الحرب عن قلقهم بصدد الوضع في امبهال ، ولا سيما بالنسبة الى احتياطي الذخائر والمؤن ، ونحن نخولك ان تطلب ما تشاء من الطائرات اللازمة للمحافظة على الوضع ، سواء آكانت من الطائرات التي تنقل المعدات الى الصين أم من أى مصدر آخر ، ومن الواجب اعتبار طائرات هاملايا (السنام) احتياطيا دائما ، تسحب منه ما تحتاج اليه في كل وقت اذا اقتضت الضرورة ، حتى لا يبقى لك أى عذر اذا فشلت في مسعاك ، ويجب عليك أن تحافظ على مهام منصبك خصوصا في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة » .

وقد جاء منه الرد التالي :

« كان الوضع في الاسبوع الثالث من شهر يونيو حرجا جدا ، إلا انه بعد وصول الفرقة البريطانية الثانية والفرقة الهندية الخامسة أمكننا ان نفتح الطريق الى القوة المحاصرة في امبهال ، وبدأت القواغل سيرها في الحال »

وهكذا انتهت قصة غزو اليابان للهند ، بعد أن خسر اليابانيون أكثر من ثلاثة عشر ألف قتيل ، واذا ما أضفنا اليهم أولئك الذين فقدوا أرواحهم بسبب اصابتهم بجراح قاتلة ، أو من جراء الجوع أو المرض ، أمكن القول ان خسائرهم بلغت خمسة وسبعين ألف رجل .

وعندما بلغت الرياح الموسمية ذروتها توقفت العمليات الحربية ، وفي أثناء ذلك ، تم تعزيز قوات الشنديدات ، وكانت أربعة من ألويتها الخمسة تشق طريقها شمالا بجوار السكة الحديدية في انداو ، لتحول بين وصول النجذات الى العدو ، ولتدمر كل ما تلقاه في طريقها من مستودعات إلا أنه على الرغم مما أوقعته هذه القوات من اضطراب في مؤخرة العدو ، فان القوات اليابانية لم تحاول أن تسحب جنودا من جبهة امبهال ، كما لم تسحب الا لواء واحدا من جبهة ستلويل ، وكذلك جاءت الفرقة الثالثة والخمسون من جبهة سسيام ، ولكن محاولتهم منيت بالفشل ، حيث واصل ستلويل تقدمه المستمر فاحتل متكينا في الثالث من أغسطس ، كما استمر العمل في تمهيد الطريق الطويلة الممتدة من شمالي آسام لا يصالها بالطريق الأساسي الممتد من بورما الى الصين ، وبذلك تيسر انشاء خط انابيب للزيت طوله ٧٥٠ ميلا يمتد من كلكتا .

وعلى الرغم من هذه الانتصارات ، فقد ظللت أواصل حث حلفائنا على وجوب الاستمرار في القتال في الاحراج الى أجل غير مسمى ، كما كنت راغبا في توجيه ضربة برمائية من خليج البنغال الى رانجون في قاعدة البر البورمي حتى اذا زحف الجيش الرابع عشر

آن ذاك من أواسط بورما أمكننا فتح الطريق لهجوم نشنه على سومطرة ، وهكذا مضينا ببطء نخوض أعظم معركة برية مع اليابان وقعت حتى الآن فاتصل الجيش الرابع عشر بالقوات الأمريكية الصينية الزاحفة من الشمال وأمكن في منتصف شهر ديسمبر أن نقيم رأس جسر على نهر شندوين استعدادا للزحف الرئيسي إلى سهل بورما الأوسط ، إلا أنه اعترضتنا مشكلات إدارية هائلة :

فهنالك في جنوب شرقي الصين ، بدأ اليابانيون الزحف على شونكينج عاصمة تشيانج كاي شيك ، وأيضا على كونمينج ، وهي النقطة التي تسلم فيها المعدات التي تنقل بالطائرات الأمريكية ، وقد اهتم الأمريكيون اهتماما بالغا بهذا التطور ، فقد اكتسح العدو مطاراتهم الأمامية في الصين ، ولم تتمكن قوات شيانج كاي شيك من الصمود واستنجدت بفرقتين صينيتين من القوات العاملة في شمال بورما ، كما طلبت الاستعانة بأسراب جوية أمريكية جديدة خصوصا طائرات النقل .

وكانت هذه الأنباء سيئة للغاية ، ولكن لم يكن لذا مناص من قبولها ، ولو أننا كنا في حاجة ماسة إلى هذه الطائرات لتموين الجيش الرابع الذي كان يقوده الجنرال سلبه بطريق الجو ، لعدم صلاحية الطرق البرية في تموينه ، مما سبب تأخيرا خطيرا للحملة ، إلا أنه على الرغم من كل هذه العقبات فقد تمكن الجيش الرابع من الاندفاع من الجبال للسهل الذي إلى الشمال الغربي من مندلاي كما تمكن الجنرال سلطان الذي خلف ستلويل في نهاية يناير عام ١٩٤٥ من إعادة فتح الطريق إلى الصين .

وفي الشهر التالي عندما بدأت المعارك الحاسمة ، واجه الأميرال مونتهباتن صعوبات استراتيجية ، حيث كانت الأوامر قد صدرت إليه بأن يحرر بورما ثم يحتل الملايو ويفتح مضائق ملقا ، مع ادراكه بأنه لن يستطيع الحصول على قوات جديدة لتحقيق جميع هذه الأهداف ، وكانت مهمته الأولى أن يحتل السهل الأوسط في بورما ومدينة رانجون قبل حلول الرياح الموسمية في أوائل شهر مايو ، وكان في وسعه أن يختار بين عمليتين : أما أن يركز جميع قواته في معركة حاسمة في سهل مندلاي ثم يتقدم بسرعة إلى الجنوب أو يستخدم جزءا منها في عملية برمائية ضد رانجون ، وكان كل شيء يتوقف على التموين الجوي الذي تقوم فيه الطائرات الأمريكية بدور بارز .

ولما كانت فكرة مساعدة الصين لا تزال تحتل الجزء البارز من السياسة الأمريكية وكان من المحتمل أن تسحب طائرات أخرى من الطائرات التي تعمل معه ، مما يدمر خططه كلها ، فقد قرر القيام بعملية واحدة ضد قوات العدو الرئيسية إلى الغرب من مندلاي ، وإن يتقدم في الوقت نفسه في اتجاه رانجون ، وقد تمكنت إحدى فرقته من احتلال رأس جسر على الضفة المقابلة لنهر ايراوادي ، على بعد أربعين ميلا إلى الشمال من مندلاي ، كما عبرت الفرقة العشرون في الثاني عشر من فبراير النهر إلى الجنوب وإلى الغرب من مندلاي ،

وسرعان ما انضمت اليها الفرقة البريطانية الثانية ، وعندئذ اقتنعت القيادة العليا اليابانية بأن المعركة الحاسمة أصبحت وشيكة الوقوع ، فسارعت إلى إرسال النجدة إلى الميدان التي اشتبكت مع قواتنا في قتال عنيف تمكن في أثناءه الجنرال سليم من عبور نهر ايراوادي بفرقة السابعة في الثالث عشر من فبراير، وتمكن من إقامة رأس جسر فوق النهر ، وفي الحادي والعشرين من فبراير انطلق لواءان مدرعان من الفرقة السابعة عشرة ولواء من الدبابات من رأس الجسر فوصلت كلها إلى ميكتيلا في الثامن والعشرين منه، وكانت هذه البلدة هي المقر الإداري للجبهة اليابانية كلها ، كما كانت مركز مواصلاتهم ومطاراتهم ، وبعد قتال عنيف استغرق أسبوعاً كاملاً سقطت البلدة في أيدينا .

كما كان الجنرال سلطان يتحرك في الشمال أيضاً فوصل في منتصف شهر مارس إلى منتصف الطريق الممتد من لاشيو إلى مندلاي، ولكن شيانج كاي تشيك فرض التوقف على قوات الحلفاء ولم يسمح للفرق الصينية بمواصلة السير ، وأصر على سحبها ، واقترح على الجنرال سليم وقف زحفه بعد احتلال مندلاي ، وكان هذا ما خشيه مونبتاين حقاً ، عندما أعد خطته قبل شهر ، وبالفعل فقد تمكن اليابانيون من نقل فرقتين من فرقهم الثلاث من هذه الجبهة ، وبعثوا بهما فوراً إلى جبهة الجيش الرابع عشر .

واستمرت معركتنا مندلاي وميكتيلا ناشبتين طوال شهر مارس، ودخلت قواتنا مندلاي في التاسع من الشهر ، كما احتلت جبل مندلاي ولكن اليابانيين قاوموا بشدة ، وصمت أسوار قلعة دوفرين أمام الصواريخ العادية ، وأخيراً تم اخراق هذه الأسوار بقنابل زنة ألفي رطل ، وفي العشرين من مارس فر العدو من القلعة ، وواصلت بقية الفيلق الثالث والثلاثين طريقها إلى ميكتيلا ، ولقيت مقاومة عنيفة ، لأن القائد الياباني العام - علي الرغم من تدخل الفرقة السابعة عشرة وراء جبهته - لم يبد أية علامة تشير إلى رغبته في الانسحاب ، إلا أنه بعد أن يئس من المعركة بدأ ينسحب على الطريق الرئيسية الممتدة إلى تونججو ورائجون مخترباً الجبال إلى الشرق ، وكذلك توقف الجنرال سليم على طريق لاشيو ، كما أنه لم يعد هناك أي أمل في وصول الجيش الرابع عشر إلى رانجون في أواسط أبريل

ولما كان الجنرال سليم مصمماً لا على الوصول إلى رانجون فحسب ، بل أيضاً على القاء شبكة مزدوجة في جنوبي بورما لاصطياد العدو فيها ، فقد اندفع الفيلق الثالث والثلاثون من ميكتيلا على طول نهر ايراوادي بسرعة فائقة فوصل إلى بروم في الثاني من شهر مايو، كما كان الفيلق الرابع يتقدم أيضاً على الطريق والسكة الحديدية اللتين إلى الشرق ، كما وصل رتل مدرع مع الألوية الآلية التابعة للفرقتين الخامسة والسابعة عشرة إلى تونججو في الثاني والعشرين من أبريل، على أن تكون قفزتها الثانية نحو بيغو لاحتلالها ، مما سيؤدي إلى سد طريق النجاة على قوات العدو المرابطة في الطرف الأسفل من بورما،

ولما وصلت قواتنا الأمامية إليها في التاسع والعشرين من إبريل ، سقطت الأمطار بشدة ، فتوقفت المطارات الأمامية عن العمل ولم تستطع الدبابات والسيارات أن تتحرك على الطريق .

ولما كان اليوم الثاني من مايو هو موعد النزول البرمائي أيضا ، فقد ظلت قاذفات الحلفاء الثقيلة تقصف مدة يومين تحصينات العدو في مدخل نهر رانجون ، كما أنزلت الطائرات في اليوم الأول من مايو فوجا من المظليين على خطوط العدو ، ووصلت أيضا سفن الفرقسة السادسة والعشرين تؤيدها وحدات المجموعة الجوية ٣٣٤ في اليوم التالي إلى مصب النهر .

ولما كان اليابانيون اعتقادا منهم باستحالة القيام بنزول برمائي في مثل هذا الوقت ، قد أدخلوا مدينة رانجون واتجهوا إلى الشمال للدفاع عن بيجو ، وحلقت طائراتنا عليها ، ووجدتها خالية من جيوش الأعداء ، أنزلت إليها الملاحين بالطائرة فدخلوها دون مقاومة .

وفي الوقت نفسه سارعت القوات البرمائية إلى الاتجاه شمالا ، نحو بيجو وبروم ، وهكذا انتهى الصراع الطويل الذي خاضه الجيش الرابع عشر ببسالة .

احتلال لبيتي

أما حرب المحيطات ضد اليابان ،وهي التي تشتمل على سلسلة طويلة من مجموعات الجزر التي تمتد نحو ألفي ميل فقد بلغت ذروتها أيضا ، كما وصلت قوة الحلفاء البحرية في المحيط الهادى الى مرتبة التفوق ، ولما كان العدو قد حصن عددا كبيرا من هذه الجزر وجعلها بأحدث المطارات بالإضافة الى قاعدة تروك البحرية الكبرى التي في الطرف الجنوبي من اليابان ، كما يلي هذه الدرع الواقية فرموزا والفلبين والصين وذلك لحماية طرق تموينه الامامية فقد أصبح من المتعذر علينا أن نقوم بغزو اليابان أو قصفها من الجو ، قبل أن نحطم هذه الحلقة ، واحتلال جميع الجزر المنيعه المحصنة ، ولذلك فقد اتبع الامريكيون اسلوب الضفدعة في القفز ، حيث كانوا يحتلون الجزر الهامة منها .

ففى مستهل شهر يونيو سنة ١٩٤٤ اكمل الجنرال ماك ارثر احتلال غينيا الجديدة على حين واصل الاميرال نيميتز فى الوسط الضغط على سلسلة الجزر المحصنة ، وكانا يهدفان من وراء ذلك الى جزر الفلبين والى تدمير الاسطول اليابانى الذى كانت تأمل اليابان من ورائه احرار نصر بحرى كبير ضد الحلفاء .

ورغبة منها فى المحافظة على قوتها لهذه المغامرة الخطيرة والحيوية ، سحبت من قاعدة تروك القسم الأكبر من أسطولها ، وقسمته بين جزر الهند الشرقية وبين مياه اليابان نفسها ، الا انه فى الوقت نفسه وجه الاميرال سبروانس ضربة بحاملات طائراته الى جزر الماريان ونزل فى الخامس عشر من يونيو فى جزيرة سيبان المنيعه ، مما اضطر الاسطول اليابانى الى التدخل واتجه بسرعة نحو الشرق على مقربة من الفلبين ، كما هاجمت طائراته اسطول الحاملات الامريكية من جميع الاتجاهات حيث ألحقت بالقوات الامريكية خسائر فادحة

وفى العشرين من يونيو اشتبكت القوات البحرية الامريكية مع مثيلاتها من القوات اليابانية ، فأغرقت للعدو حاملة طائرات كما أغرقت الغواصات الامريكية حاملتين كبيرتين أيضا مما اضطر الاسطول اليابانى الى الانسحاب ، وبذلك أصبحت جزيرة سيبان تحت ايدينا كما تم أيضا اجتياح جزيرتى جوام وتينيان فى اليوم التاسع من يوليو .

وفى نهاية الشهر كانت كل جزر الماريان فى قبضة الامريكيين ، وكان سقوط جزيرة سيبان ضربة صاعقة للقيادة العليا اليابانية مما أدى الى زوال حكومة توجو ، اذ كانت بها قلعة منيعه جدا وممتازة ولكنها بسقوطها فى أيدي الامريكيين تكون قد فصلت المناطق الدفاعية

الجوية وأصبح في وسع القاصفات الأمريكية الثقيلة أن تستخدم هذه القاعدة لمهاجمة اليابان نفسها ، كما أصبحت الطرق مفتوحة أمام البوارج الأخرى للاشتراك في الهجوم ، ولو أن الاسطول الياباني كان لا يزال قويا فإنه أصبح عاجزا عن خوض أية معركة شديدة دون الاستعانة بطائرات ترتكز إلى قواعد ثابتة .

كما كانت حالة الجيش الياباني أفضل قليلا ، إلا أنه مع كثرة العديدة كان منتشرا في الصين وفي جنوب شرقي آسيا وفي مختلف الجزر النائية ، وقد أصدرت القيادة العليا أوامرها بالقسالة أمام فورموزا والفلبين حتى النهاية كما قررت أن تدفع بالاسطول كله إلى ميدان المعركة في شهر أغسطس ولتضمن عدم انقطاع الزيت الذي يصلها من الهند الشرقية ، ولما كانت خطة حلفائنا حتى الآن تستهدف غزو الجزء الجنوبي من الفلبين أي جزيرة مينداناو ، فقد بدأت طائرات هالس تهاجم المطارات اليابانية في الجزيرة ، وفي جزيرة لوزن الشمالية الكبيرة ، فحطمت عددا كبيرا من طائرات العدو ، واكتشفت في أثناء المارك الجوية أن الحامية اليابانية في لييتي ضعيفة إلى حد لم تكن تتوقعه ، وكانت هذه الجزيرة بين جزيرتي مينداناو ولوزون اللتين كانتا هدفى النزول الأمريكي فقرر الأميرال نيمتز غزو جزيرة لييتي فوراً ، وقد وافقه الجنرال ماك آرثر .

وقد بدأ الأمريكيون حملتهم في اليوم العاشر من أكتوبر بغارات على المطارات التي بين اليابان والفلبين ، فأنزلوا بالعدو خسائر فادحة جدا ، وصمد اسطول حاملات طائراتهم للهجمات اليابانية .

ولما كانت جزيرة لييتي بين جزيرتي الفلبين الكبيرتين وهما لوزون في الشمال ومينداناو في الجنوب وتعتبر أهم هذه الجزر ، فقد استهدف الأمريكيون احتلال هذه الجزيرة ، على حين صمم اليابانيون على وقفهم وتدمير الاسطول الأمريكي ، ولذلك أصدر القائد الياباني العام أوامره في السابع عشر من أكتوبر إلى أسطوله بالإبحار إلى مضيق سوريجار للدفاع عن هذه الجزيرة وغيرها من الجزر الأخرى .

وقد اشتبك هذا الاسطول مع الاسطول الأمريكي في موقعة ضارية تغلب فيها الاسطول الأمريكي عليه واحتل جزيرة لييتي بعد أن خسر فيها ثلاث حاملات طائرات وثلاث مدمرات وغواصة ، في حين غرقت للعدو ثلاث بوارج وأربع حاملات طائرات وعشرون سفينة حربية ، ولم يبق له من سلاح فعال إلا القاذفات الانتحارية ، مما ساعد على هبوط أكثر من ربع مليون أمريكي في جزيرة لييتي في نهاية شهر نوفمبر .

وقد واصل الجنرال ماك آرثر زحفه الرئيسي فاحتل دون مقاومة جزيرة ميندورو التي لا تبعد أكثر من مائة ميل عن مانيلا .

وفي التاسع من يناير ١٩٤٥ أنزل أربع فرق جديدة في خليج لينجايين إلى الشمال من مانيلا مفتحة صفحة جديدة في معركة الفلبين ، وعندما اندفع الأمريكيون نحو مانيلا أخذت المقاومة اليابانية

تشتد ولكن القوات الامريكية هبطت في مكانين آخرين على الساحل الغربى وأحاطت بالمدينة بعد أن خسر العدو من القتلى ستة عشر ألف جندي ، الا أن الطائرات الانتحارية اليابانية ألحقت بنا خسائر فادحة حيث أغرقت ست عشرة باخرة أمريكية في يوم واحد ، كما أصيب الطراد أستراليا

هذا وقد تمكنت حاملات طائرات الاميرال هالسى في منتصف يناير من شق طريقها الى بحر الصين الجنوبي وتمكنت طائرتنا من إلحاق أكبر الأضرار بهونج كونج .

وعلى الرغم من استمرار القتال في الجزر عدة أشهر أخرى تمكنت القوات الامريكية من السيطرة على بحر الصين الجنوبية ، وبذلك تم الاشراف على طرق تموين اليابان بالزيت والمواد الأولية الاخرى التي يعتمد عليها مجهودها الحربى .

تحرير أوروبا الغربية

في الاول من سبتمبر ، تسلم الجنرال ايزنهاور القيادة العليا للقوات البرية في شمالي فرنسا ، وهي مكونة من مجموعة الجيوش البريطانية الحادية والعشرين بقيادة المارشال مونتجمري ، ومجموعة الجيوش الامريكية الثانية عشرة بقيادة الجنرال برادلي ، وبذلك كان يسيطر على أكثر من سبع وثلاثين فرقة تضم أكثر من نصف مليون رجل ، وكانت قوات العدو تبلغ سبع عشرة فرقة .

وكانت خطة الجنرال ايزنهاور تستهدف الاندفاع في الاتجاه الشمالي الشرقي بأقصى ما لديه من قوات لاجتياح مراكز انطلاق القنابل الطائرة الالمانية واحتلال انتويرب ، لانه ما لم تحتل قوات الحلفاء هذا الميناء الضخم لم يكن في امكانها القيام بهجوم عبر الجزء الأدنى من نهر الراين والاندفاع الى سهول المانيا الشمالية ، ولذلك فقد اتجهت جيوش مونتجمري الى ميناء انتويرب فاحتلت مدينة امبان وأسرت الفرقة المدرعة الحادية عشرة قائد الجيش الالمانى السابع في أثناء تناوله الفطور في امبان ، وواصلت اندفاعها الى مدن الحدود وهي أراس ودواي وليل ، قد أخلى الالمان بروكسل فدخلتها فرقة الحرس المدرع الثالث في اليوم الثالث من سبتمبر ، كما اتجهت فرقة الحرب بعد ذلك شرقا الى لوفين .

وقبل التاسع من سبتمبر كانت قواتنا قد تمكنت من تطهير منطقة خليج كاليه ، بما فيها من مراكز انطلاق القنابل الطائرة ، وكذلك موانئ القتال وهي ديب وبولون ودنكرك ، الا ميناء الهافر حيث ظلت حاميته المؤلفة من أحد عشر ألف رجل تقاوم بشدة واصرار على الرغم من قصفها بمدافع بحرية من عيار خمس عشرة بوصة ومن أكثر من عشرة آلاف طن من القنابل من الجو ، حيث استسلمت في الثاني عشر من سبتمبر ، كما احتلت الفرقة المدرعة البولندية مدينة جنت التي لا تبعد أكثر من أربعين ميلا عن انتويرب .

وبقيت أمامنا القفزة الأخيرة نحو أرnhem ، حيث كان الطقس السيء قد حال دون ايصال الامدادات والمؤن والذخائر بطريق الجو ، وكانت الفرقة الاولى التي نقلت بالطائرات بالجو في وضع يائس ، فقد عجزت عن الوصول الى الجسر ، واصبحت محصورة في قطاع ضيق على الضفة الشمالية ، متعرضة لهجمات عنيفة ، وقد بذلت كل محاولة ممكنة من الضفة الجنوبية لانقاذها ، ولكن العدو كان قويا للغاية ، وقامت بهذه المحاولات فرقة الحرب والفرقة الثالثة والاربعون ولواء المظليين البولنديين ، ولكنها جميعها منيت بالفشل ، حتى اضطر

المارشال مونتجمري الى اصدار أوامره الى من تبقى من الفرقة بالعودة .

وبعد ذلك اتجهنا لتطهير مصب الشلوت وفتح ميناء انتويرب للملاحة حيث كانت فرقة مدرعة ألمانية ومدربة خير تدريب تتولى الدفاع عن جزيرة بريسكينز وقد أثبتت صلابتها ، كما دار قتال عنيف جدا لعبور قناة ليوبولد واحتلال جنوبي بيفيلاند ، وقد تمكنا في نهاية الشهر وبعد جهود عظيمة هائلة من الاستيلاء على البرزخ كله وأسر نحو ١٢٥٠٠ ألماني .

وهكذا أصبحت الطرق ممهدة للهجوم على وولشيرين ، ووجه السلاح الجوي الملكي في أوائل أكتوبر الضربة الأولى حتى تمكنت طائراتنا من فتح ثغرة عظيمة وقد اشترك في هذه العملية ثلاث وحدات من فدائيي البحرية . كما اشترك الاسطول البحري أيضا في الهجوم .

وعلى الرغم من الاصابات القاسية التي وقعت برجال الاسطول فقد تمكن من مواصلة إطلاق مدافعه حتى تمكنت وحدات الفدائيين من النزول الى الساحل ، كما صبت مدافع الفيلق الكندي الثاني نيرانها القوية عبر الماء من شاطئ بريسكينز على مدافع العدو القوية المثبتة في دعائم من الاسمنت المسلح ، وقد تمكنت وحدة الفدائيين الثامنة والاربعون من قتل وأسر بقية رجال حامية الجزيرة ، ولم تمض بضعة أيام في قتال عنيف حتى كانت الجزيرة كلها في أيدينا .

كما واصل برادلي ، وضباطه المتحمسون ، اندفاعهم القوي على الجناح الايمن وراء باريس ، على رأس مجموعة الجيوش الامريكية الثانية عشرة ، فسقطت في أيديهم شارلروا ، ومونز ، ولييج ، وتمكنوا خلال اسبوعين من تحرير اللكسمبورج بأسرها وجنوبي بلجيكا ، ووصلوا في الثاني عشر من سبتمبر الى الحدود الألمانية ، كما اخترقوا خط سيغفريد على مقربة من آخن .

هذا وقد قامت القوات الجوية الاستراتيجية بدور بارز في زحف الحلفاء الى حدود فرنسا وبلجيكا ، ثم عادت في الخريف الى دورها الاساسي في قصف ألمانيا مستهدفة مستودعات البترول وأجهزة المواصلات كأهداف محدودة ، كما أرغمت هجمائنا المستمرة الالمان على توزيع مصانعهم في نقاط متباعدة وقد دفعت قواتنا الثمن غاليا لتحقيق هذا الهدف .

ولما كان الالمان يعتمدون على طرق مواصلاتهم الجيدة ، وقد تعطل أكثرها بسبب الغارات فقد تسبب ذلك في تكديس أكوام الفحم في المحطات لعدم وجود عربات الشحن التي تنقلها كما اضطر أكثر من ألف قطار من قطارات الشحن للتوقف يوميا بسبب الافتقار الى الوقود ، وكذلك بدأت محطات القوة الكهربائية والمصانع ومعامل الغاز تغلق أبوابها وهبط انتاج البترول واحتياطيه هبوطا هائلا مما أثر لا على

حركة القوات العسكرية فحسب ، بل على النشاط الجوي وتدريب
الطيارين .

وقد حذر سيبر في شهر أغسطس الفوهرر من شلل الصناعة
الكيمائية كلية بسبب الافتقار الى المنتجات الثانوية من مصانع الزيت
الكيمائي ، وأخذ الوضع يزداد سوءا يوما بعد يوم ، وقال سيبر :
أنه إذا استمر الوضع في التردى والتوقف في حركة القطارات فإن النتيجة
ستؤدي الى كارثة انتاجية ذات أهمية حاسمة

ولهذا السبب فقد بدأ هجومنا الجوي يحقق غاياته أخيرا .

الاجتماع لبريطاني السوفييتي في موسكو

لَمَّا كُنْتُ قد اتفقت مع الرئيس في أوائل فصل الصيف على تقسيم المسئوليات بالنسبة لمختلف البلاد المتأثرة بحركات الجيوش ، وكانت الأوضاع قد تحسنت خلال الأشهر الثلاثة التي اتفقنا على أن نستغرقها الاتفاق ، فإنه عندما حل فصل الخريف أخذ كل شيء في أوروبا الشرقية يسير في طريق الازمة والتوتر حيث كانت الجيوش السوفييتية تضغط بشدة على المسرح البلقاني ، وأصبحت رومانيا وبلغاريا في قبضتها ، كما أصبح من المحتم أن تسقط بلغراد في قبضتها بعد قليل ، على حين كان هنر يقاتل بعناد واصرار للاحتفاظ بالمجر .

ولما كان انتصار الحلفاء الاعظم قد أصبح قضية وقت ليس الا ، بعد البداية الناجحة لعملية « السيد الاكبر » فقد كان من الطبيعي أن تنمو أطماع الروس ، بعد أن رفعت الشيوعية رأسها وراء الجبهات الروسية المزمجرة ، لذلك شعرت بالحاجة الى اجتماع شخصي بستانين ، وأن استغل العلاقات الطيبة التي تربطنا بالسوفييت للوصول معهم الى حلول مرضية للمشكلات الجديدة التي بدت بين الشرق والغرب ، وعلى الاخص مصر بولندا التي دخلنا الحرب بسببها وكذلك مصر اليونان الذي كان يؤثر علينا تأثيرا كبيرا ، وكانت حكومتاهما قد لجأتا الى لندن ، وكنا نشعر بمسئولياتنا في اعادتهما الى بلديهما ، وكان هذا رغبة شعبيهما أيضا ، وكانت الولايات المتحدة تشاركنا في هذه المخاوف الى حد كبير ، ولو أنها كانت غير مدركة لقوة النفوذ الشيوعي الذي تسرب قبل زحف الجيوش الروسية القوية ثم سار في ركابها .

وبالإضافة الى هذه القضايا الخطيرة التي أثرت على أواسط أوروبا كلها ، فإن مشكلات التنظيم العالمى ، بدأت تلقى بثقلها على تفكيرنا ، وكنا قد عقدنا من قبل مؤتمرا طويلا في « دومبارتون أوكس » على مقربة من واشنطن ، امتد بين أغسطس وأكتوبر ، حيث وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي والصين المشروع الذي أصبح الآن معروفا لحفظ سلام العالم وأمنه .

وقد كشفت المناقشات عن خلافات عدة بين الدول الكبرى الثلاث ، لان وفد الكرملين لم يكن راغبا في الاشتراك في هيئة دولية تتغلب فيها أصوات مجموعة من الدول الصغرى على صوته ، وقد كنت على ثقة من أننا نستطيع الوصول الى قرارات طيبة مع روسيا طالما أننا لانزال في حرب مع عدو مشترك .

وقد هبطنا في مطار موسكو في التاسع من أكتوبر ، وعقدنا أول اجتماع في الكرملين ، شهدته ستالين ومولوتوف وايدن ، وقررنا أن نوجه الدعوة الى رئيس وزراء بولندا ووزير خارجيتها المسيو رومير والى المسيو جراسكى ، للحضور الى موسكو فوراً ، كما أبرقت كذلك الى المسيو ميكولاجيك لكى يحضر للتباحث مع الحكومة السوفيتية ومعنا ومع لجنة لوبلين البولندية ، وأوضحنا لنصيحتنا وسيؤدى من الاشتراك في المحادثات سيعنى رفضاً واضحاً لنصيحتنا وسيؤدى من ثم الى تحليلنا من كل مسئولية تجاه حكومة بولندا التى فى لندن .

وبينت لستالين أن الفرصة متاحة للعمل ، لكى تسوى جميع القضايا المتعلقة بالبلقان ، كما أنه يجب علينا ألا نقف متعارضين فى اهدافنا تجاه قضايا بسيطة بالنسبة الى بريطانيا وروسيا ، وقلت له : ماقولكم فى أن يكون لكم التفوق بنسبة تسعين فى المائة فى رومانيا وأن تكون لنا النسبة نفسها فى اليونان وأن نكون متعادلين فى يوغسلافيا ، وبينما كان المترجم ينقل ما قلته الى الروسية كتبت على ورقة صغيرة البيان التالى :

رومانيا :

روسيا	٩٠٪
الدول الاخرى	١٠٪

اليونان :

بريطانيا بالاتفاق مع الولايات المتحدة	٩٠٪
روسيا	١٠٪

يوغسلافيا :

روسيا	٥٠٪
بريطانيا وأمريكا	٥٠٪

المجر :

روسيا	٥٠٪
بريطانيا وأمريكا	٥٠٪

بلغاريا :

روسيا	٧٥٪
الدول الاخرى	٢٥٪

ودفعت بالورقة الى ستالين ، فكتب عليها بقلمه بالموافقة ، وأعادها الى ، وهكذا تم اقرار كل شيء فى أسرع وقت ممكن ، أما القضايا

الكبرى فقد أرجأناها لمائدة الصلح ، وهذا وقد بعثت الى الرئيس كتابا خاصا قلت فيه :

أرى من الضرورة أن نحاول التفاهم بصدد البلقان ، لكى نتمكن من الحيلولة دون وقوع الحروب الاهلية فى عدد من البلاد عندما أكون أنا وانت الى جانب فريق من الناس ويكون ستالين الى الجانب الآخر ، وسأوضح اطلاقك على ما يجد فى هذا الموضوع ، ولن يتقرر أى شىء باستثناء اتفاقات أولية تمهيدية بين بريطانيا وروسيا ، وأنا واثق أنك على هذا الأساس لن تعارض فى أن نحاول الالتقاء فكريا مع الروس .

وبعد هذا الاجتماع استعرضت فى مخيلتى علاقاتنا بروسيا بالنسبة لمناطق أوروبا الشرقية ، ورغبة منى فى إيضاح أفكارى ، أعددت كتابا الى ستالين فى الموضوع مرفقة به مذكرة توضح تفسيراتنا للنسب المثوية التى اتفقنا عليها ولكننى لم أبعث بهذه الرسالة فى النهاية ورأيت من الحكمة أن أترك الأمور تسير وحدها .

غير أننى قد بعثت الى اخوانى فى الوطن برسالة مؤرخة ١٢ من أكتوبر عام ١٩٤٤ بينت فيها النسب المثوية التى اتفقنا عليها وتفصيل الاسباب التى دعت الى ذلك ، كما بينت أنه سيعاد النظر فيها عندما تجتمع الدول العظمى بعد انتهاء الحرب على مائدة الهدنة أو الصلح لاعداد تسوية أوروبية عامة .

ولما وصل البولنديون من لندن ، اجتمعنا فى الثالث عشر من أكتوبر فى دار ضيافة الحكومة السوفيتية المعروفة باسم « سبيريدونوفكا » لنستمع الى ميكولاجيك وزملائه وهم يعرضون قضيتهم ، وكانت هذه المباحثات بمثابة تمهيد لاجتماع آخر يعقده الوفدان البريطانى والأمريكى مع ممثلى لجنة لوبلين البولندية الشيوعية ، وقد ألححت على ميكولاجيك ليدرس قضيتين :

الأولى - الاعتراف واقعيا بخط كرزون ، مع اجراء تبادل فى السكان واجراء محادثات ودية مع لجنة لوبلين لتأمين السبل لقيام بولندا متحدة ، وقلت : أن الخير كل الخير فى تحقيق الوحدة الآن فى هذه المرحلة الختامية من الحرب ، وطلبت اليهم أن يدرسوا هذا الموضوع بعناية فى هذه الليلة ، وأكدت لهم أننى والمستر أيدن سنكون تحت تصرفهم ، ولكنه من الضرورى أن يتصلوا بلجنة لوبلين وأن يقبلوا بخط كرزون كترتيب عملى على أن يعاد النظر فى الموضوع كله فى مؤتمر الصلح .

وعندما اجتمعنا فى الساعة العاشرة مساء من تلك الليلة الى ما يسمى باللجنة البولندية ، اتضح لنا فورا ، أن البولنديين أعضاء لجنة لوبلين ليسوا سوى مخالب فى أيدي روسيا ، وقد حفظوا الدور الذى يجب عليهم أن يمثاوه ، فمثلا قد تحدث إلينا المستر نيرون زعيم اللجنة بقوله : « اننا نطالب هنا باسم بولندا بأن نكون جزءا من روسيا ، وهذه هى ارادة الشعب البولندى » كما تحدث زعيم آخر من زعماء لجنة لوبلين هو المسيو أوسوبكا موروفسكى باستفاضة واسهاب وكان

حديثه باعشا على الالم وقد كون المستر ايدن أسوأ فكرة عن الزعماء البولنديين الثلاثة ، ودام المؤتمر أكثر من ست ساعات، ولكن النتائج كانت مخيبة للامل ، ومع مضي الايام لم يتحقق الا القليل في طريق تحسين العلاقات البولندية الروسية ، وكان بولنديو لندن على استعداد لقبول خط كرزون ، كخط للحدود بين روسيا وبولندا ، ولكن الروس أصروا على استعمال العبارة التالية « كأساس للحدود بين روسيا وبولندا » واصر كل من الفريقين على رأيه .

وقد كان ستالين معارضا في محاولة تأليف حكومة بولندية موحدة قبل تسوية مشكلة الحدود أولا ، وقال : انه اذا سويت مسألة الحدود فانه سيكون على استعداد لقبول تولي جيكولاجيك رئاسة الحكومة الجديدة . وقد خيل الى أن صعوبات ليست بأقل حدة وعنادا ستتشب عند البحث في ادماج الحكومة البولندية في لجنة لوبلين ، لانهم كانوا يطمعون في تولي حكم بولندا ، ولذا فقد رأيت من الافضل طبقا للظروف الراهنة ، أن يعود كل من الوفدين البولنديين الى المكان الذي جاء منه ، وأحسست احساسا عميقا بالمسؤولية الملقاة على عاتقي وعانق وزير الخارجية في محاولة وضع الاقتراحات لايجاد تسوية روسية - بولندية ، وأنه مما لا ريب فيه ، أن فرضنا خط كرزون على بولندا سيثير علينا عاصفة من النقد .

ولما كان من الواضح أن الحكومة السوفيتية تعتزم مهاجمة اليابان فور سقوط هتلر ، وان هذا الهجوم سيؤدي الى تقصير أمد الكفاح كله ، فانه مما لا ريب فيه أن الترتيبات التي اتخذناها بصدد البلقان ، كانت خير ما يمكن الوصول اليه ، واذا ما سارت ههنا الإجراءات جنبا الى جنب مع عمليات عسكرية ناجحة فستؤدي حتما الى انقاذ اليونان ، ولم يكن لدى شك أيضا في أن اتفاقنا على اتباع سياسة مشتركة بنسبة الخمسين في المائة في يوغسلافيا كان أحسن حل لتاعبنا بالنسبة الى سلوك تيتو ، الذي جاء بعد أن عاش ثلاثة أشهر أو أربعة في حمايتنا الى موسكو بصفة سرية ليشاورها دون اطلاعنا على المكان الذي سافر اليه ، ولاسيما بعد أن وصلت قوات روسية وبلغارية تحت القيادة الروسية الى بلاده لمساعدة جناحه الشرقي

ولم يكن ثمة شك في أننا ضمن دائرتنا الضيقة ، كنا نتحدث أنا وستالين بمنتهى الحرية والود ، وبشكل لم يسبق له أن سناد العلاقات بين بلدينا ، الا أنني أزدت اقتناعا الآن بأنه ليس على اكل حال الحاكم المطلق في بلاده ، وقد قلت لزملائي في الوطن : « ان هناك بدا خفية تلعب وراء ظهر الفارس » .

باريس وجبهة الاردن

عندما تم الاتفاق على أن خير موعد أقوم فيه بزيارة باريس هو يوم الهدنة في الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وأعلن رسميا أنني سأقوم بهذه الزيارة في ذلك التاريخ ، فقد وصلتنا تقارير عدة تقول أن المتعاونين مع الالمان سيحاولون الاعتداء على حياتي ، وبناء على ذلك فقد اتخذت الاحتياطات الوقائية اللازمة ، وهبطت في العاشر من نوفمبر في مطار أورلي ، حيث كان ديجول في استقبالى على رأس ثلة من حرس الشرف ، ثم ركبت معه عربة مكشوفة ، فاجتزنا ضواحي باريس الى آن وصلنا الى « الكي دورسيه » حيث حلت مع زوجتى وابنتى مارى - ضيوفا رسميين على الدولة ، وكان كل شيء على أحسن ما يرام .

وفي اليوم التالى غادرنا باريس الى بيزانسون ، لكى يطلعنى الجنرال ديجول على الهجوم الواسع النطاق الذى تقرر أن يقوم به الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال دى لاتردى تاسينى ، وقد وصلته قبل بدء المعركة بوقت طويل ، وكان من المقرر أن نزور مركز مراقبة على الجبال ، ولكن بالنظر الى الثلوج الغزيرة حيث كانت الطرق غير صالحة للسير تقرر تأجيل العملية كلها .

وفي المساء توجهت بالقطار الى ريمز فوصلتها في الصباح حيث قمت بزيارة للجنرال ايزنهاور وعدت في المساء طائرا الى نورفولت .

ولم يكن الوضع في الجبهة الغربية في هذه الآونة مناسباً تماماً ، فلقد كان هناك الكثير من الاعداد للزحف نحو نهر الراين ، الا أن جيش ديسمبرس الثانى فى القطاع البريطانى تمكن من طرد العدو الى ما وراء نهر الموز ، أما فى الجنوب فقد تلاقت قواتنا مع الجيش الأمريكى التاسع وأخذت تناضل زاحفة فوق أرض مشبعة بالمياه للوصول الى نهر الروهر ، وكان من المجازفة حتى الآن محاولة عبور هذا النهر ، لانه كان تحت سيطرة سدود ضخمة كانت لا تزال فى قبضة العدو ، وكان فى وسعه عن طريق فتح هذه السدود أن يعزل قواتنا التى على الضفة الأخرى ، وقد حاولت قاذفاتنا التى على الضفة الأخرى ، تحطيم هذه السدود ، واطلاق هذه المياه ولكن على الرغم من اصابتها اصابات مباشرة لم تفتح فيها أية فجوات مما اضطر الجيش الأمريكى الاول فى الثالث عشر من ديسمبر الى تجديد زحفه للاستيلاء عليها .

وفي هذا الوقت كان الجنرال باتون قد عبر نهر الموزيل فى الجنوب من الاردن وزحف شرقا متجها الى الحدود الألمانية ، واضطر جيشه الى التوقف أمام حصون منيعة من خط سيغفريد ، كان يدافع

عنها العضو بعناد واصرار ، والى يمين هذا الخط ، تمكن جيش الجنرال وبغير السادس من شق طريقه نحو الفوج وثغرة بيلفورت . كما تمكن الفرنسيون بعد معركة دامت اسبوعا ، من الاستيلاء على بيلفورت فى الثانى والعشرين من نوفمبر ، ووصلوا الى نهر الراين الى الشمال من بال ، وهنا التف الفرنسيون جنوبا حول الجسناح الالمانى فى الفوج ، مما أرغم العدو على الانسحاب بسرعة ، ويسر دخول الحلفاء ستراسبورج ، فى الثالث والعشرين من نوفمبر ، كما طهر الجيش الأمريكى السابع فى الاسابيع التالية جميع المناطق الشمالية من الالزاس ، واستدار حول ميمنة الجيش الثالث ، ثم عبر الحدود الالمانية واخترق خط سيجمريد على مقربة من ويسمبورج .

ولكن هذه الانتصارات المهمة ، لم تكن لتخفى الحقيقة الواقعة وهى أن الحلفاء الغربيين منوا بانتكاسة استراتيجية حيث كنا قد سجلنا قبل البدء بهذه الحركة الواسعة وجهة نظرنا فى أن من الخطأ الهجوم فى الجبهة كلها ، وعلى الرغم من خيبة الامل التى منينا بها .

هذا وقد بعثت برسالة الى الرئيس فى السادس من ديسمبر اعربت فيها عن مخاوفى وقلت فيها : « لقد حان الوقت لاعرض عليك الوضع الحربى الحرج والمخيب للآمال الذى يواجهنا فى نهاية هذا العام ، فعلى الرغم من احرازنا بعض الانتصارات فقد ظلت هناك الحقيقة الماثلة » وهى اننا فشلنا حتما فى الوصول الى الاهداف الاستراتيجية التى حددناها لجيوشنا قبل اسابيع ، فلم تصل بعد الى الراين فى طرفه الشمالى ، وهو أهم قطاع فى الجبهة ، وسنقضى عدة اسابيع أخرى فى معارك ضارية ، قبل أن نأمل الوصول الى الراين ، واقامة رءوس جسورنا عليه وبعد ذلك علينا من جديد أن نستأنف الزحف داخل المانيا ، وما زال الالمان يحتفظون فى ايطاليا بست وعشرين فرقة وهو ما يعادل ست عشرة فرقة كاملة التجهيز أو نحوها على جبهتنا

ولا ريب أن السبب الذى حال بين مجموعة الجيوش الخامسة عشرة وبين تسجيل نصر حاسم على قوات كيسلرنج ، هو التأخر الذى نجم عن اضعاف قواتنا لتأمين عملية « التنين » والنزول فى جنوبى فرنسا ، ولهذا لم نستطع عبور جبال الابنين ، قبل أن تغمر المياه حوض نهر البو ، هكذا لم نستطع لا فى الجبال ولا فى السهول استخدام مالدينا من تفوق فى سلاح المدرعات .

وبالنظر الى عناد المقاومة الالمانية فى جميع الجبهات ، لم نقم بسحب الفرق البريطانية الهندية الخمس من أوروبا لنتمكن مونتيباين من الهجوم على رانجون فى شهر مارس ، ولهذا فقد بدأ مونتيباتن - وفقهنا لما اتفقنا عليه فى كوبيك - زحفا عاما فى اتجاه بورما من الشمال والغرب ، واحرز تقدما مرضيا ، أما الآن وبالنسبة الى الزحف اليابانى فى الصين ، بما سينطوى عليه من تهديد بالقتال لكومينج ، وربما لشوتكنج ، والجنرال لسمو شيانج كاي شيك ، فقد تقرر سحب فرقتين صينيتين أو أكثر للدفاع عن الصين ، ولو أن هذه الخطوة كانت ضائية فقد

كانت نتائجها مع ذلك بالغة الخطورة ، وهكذا انتكست جميع آرائى فى توجيه ضربة ثقيلة عبر الادرياتيک أو عبر خليج البتغال .

وعلى الرغم من جهودنا المشتركة يقوم هنا سؤال محدود تماما : « ترى ماذا فى وسعنا أن نفعل ؟ » ويزداد قلقى من انهيار جميع الآمال فى قيام اجتماع مبكر بين ثلاثتنا ، ومن التأجيل الذى لا نهاية له فى عقد اجتماع بينى وبينك ، يحضره أركان حربنا ، لنبحث فى مشكلاتنا الانجليزية الامريكية ككل ، ولهذا أرى لزما على أن أقول : انه اذا لم يتيسر لك الحضور بنفسك قبل شهر فبراير ، فلتبعث برؤساء أركان حربك الى هنا فى أسرع وقت ممكن ليكونوا على اتصال وثيق بجيوشنا الرئيسية وبالجنرال ايزنهاور ، لكى يكون عملنا المشترك مركزا تمام التركيز بصورة مماثلة لما وقع فى حملاتنا عام ١٩٤٤ ،

وقد بدا لى أن الرئيس روزفلت ، على الرغم من شعوره الودى لم يكن يشاطرني مخاوفى ، فقد بعث الى يقول : « لقد كنت أشعر دائما بأن احتلال ألمانيا حتى الضفة اليسرى من الراين سيكون دائما عملية شاقة كما اننى لم أشعر بالتفاؤل من سهولة اجتياز نهر الراين بجيوشنا المشتركة ، ومع ذلك فأنى اعتقد أن خططنا الاستراتيجية الواسعة والمتفق عليها ، تسير وفقا للخطة المرسومة ، واذا كان قد طرأ بعض التأخير فى الوقت الحاضر ، فأنى أرى أن الاستمرار فى المعارك ونتائجها موكولان الى قادتنا فى الميدان الذين يتمتعون بكامل ثقتى » .

وكان من المقسدر أن نتحمل الآن ضربة ثقيلة ، فبعد ستة أيام من ارسال هذه البرقية تعرضنا لازمة خطيرة ، فقد كان القرار الذى اتخذناه بتوجيه ضربتنا من آخن الى الشمال وعبر الالزاس فى الجنوب ، قد جعل جبهتنا الوسطى ضعيفة كل الضعف ، اذ كان الفيلق الأمريكى الثامن الذى يضم أربع فرق يتولى حراسة جبهة طولها خمسة وسبعون ميلا فى الاردن ، وقد توقعنا الخطر ، وكانت النتائج خطيرة ، وكان من المحتمل أن تزداد فى الخطورة ، فقد تمكن العدو بعد جهد دائع من حشد نحو سبعين فرقة فى الجبهة الغربية بينها خمس عشرة فرقة مدرعة تشتمل على الجيش المدرج السادس الذى هو فى منتهى القوة والاعداد .

كما أن الالمان ، كانوا قد أعدوا بالفعل خطة رئيسية ، فقد حشد وونشتادت جيشين مدرعين هما الجيش الخامس والسادس ومعهما الجيش السابع أى مايقرب من عشر فرق مدرعة وأربع عشرة فرقة مشاة .

وكان من المقرر أن تخترق هذه القوة الضخمة يقودها سلاحها المدرع جبهة الاردن الى نهر الموز ، وأن تندفع شمالا وشمالا بغرب ، فتشطر خط الحلفاء شطرين وتحتل ميناء انتويرب وتقطع شريان الحياة على جيوشنا الشمالية ، وكان هتلر قد وضع هذه الخطة ولم

يكن ليقبل أى تبديل فيها ، مما قد يقترحه قادته الذين يشكون فى سلامتها ، وحشدت بقايا القوة الجوية الألمانية للقيام بمجهود نهائى على حين عهد الى رجال المظلات والمخربين والوكلاء الذين يرتدون ملابس الحلفاء العسكرية بأداء دورهم فى المعركة المنتظرة .

وقد بدأ الهجوم فى السادس عشر من ديسمبر ، بعد قصف مدفعى شديد ، وهاجم الجيش الالماني المدرع السادس من ناحية جناحه الشمالى ميمنة الجيش الأمريكى الاول الذى كان يتقدم فى اتجاه سدود نهر الروهر ، وبعد معركة ظلت متأرجحة فترة من الزمن تمكنت قوات الحلفاء من وقف العدو ، كما تمكن الالمان فى الجنوب من اختراق جبهتنا فى قطاع ضيق ، وشن الجيش المدرع الالماني السادس هجوما اختراقيا جديدا فى اتجاه الغرب والشمال الغربى على نهر الموز قبل مدينة ليبج ، وتمكن الجيش المدرع الخامس من اختراق جبهة الفيلق الأمريكى وتوغل مسافة كبيرة فى اتجاه نهر الموز

وعلى الرغم من أن اتجاه العدو جاء مفاجئا لقيادة الحلفاء العليا من ناحية توقيتته وثقله - قررت أن نعزز فورا « كتفى » منطقة الاختراق ، وأن نحافظ على معابر الموز ، الى الشرق والجنوب من نامور وسارع ايزنهاور بوقف جميع هجمات الحلفاء ، واستقدم أربع فرق من القوات الأمريكية الاحتياطية وست فرق أخرى من الجنوب ، وفرقتين محمولتين من الجو من انجلترا ، كما قذف الجيشان الأمريكيان الاول والتاسع بكل مالدیهما من قوات احتياطية لتوسيع جناحيهما الدفاعى الى الغرب من ماليدى .

ولما كان الالمان قد شطروا جبهة مجموعة الجيوش الثانية عشرة التى يقودها الجنرال برادلى ، وحالوا بينه وبين ممارسة القيادة الفعلية من مقر قيادته فى لكسمبورج ، فقد عهد الجنرال ايزنهاور الى مونتجمرى بالقيادة المؤقتة لجميع قوات الحلفاء فى الشمال على حين عهد الى الجنرال برادلى بالاحتفاظ بمواقعه وشن هجمات مضادة على العدو من الجنوب ، كما قام أيضا باجراء تبديلات مماثلة فى قيادة سلاح الجو التكتيكى .

ولما كانت القوات المدرعة الألمانية قد حرمت هدفها الرئيسى وهو نهر الموز ، فقد استدارت الآن بوحشية على باستون ، وتفوق العدو تفوقا هائلا فى العدد على الفرقة الواحدة بعد المسائة على الرغم من تعزيزها الا انها قد تمكنت من الصمود فى البلدة أسبوعا آخر ، وعندما حلت نهاية شهر ديسمبر أدركت القيادة العليا الألمانية أنها قد خسرت المعركة الا انها بذلت مجهودا آخر بطريق الجو حيث قامت فى اليوم الاول من يناير عام ١٩٤٥ بهجوم مباغت عنيف وعلى ارتفاع منخفض على جميع مطاراتنا الامامية .

وعلى الرغم من أن خسائرنا كانت جسيمة فاننا عوضناها بطائرات جديدة فورا ، ولكن السلاح الجوى الالماني خسر أكثر مما يستطيع احتماله من خسارة فى آخر هجوم قامت به ألمانيا فى الحرب الثانية .

وكان هذا هو آخر هجوم شنه الالمان في الحرب ، ولو أن هذا الهجوم قد أقلقنا أشد القلق وآخر زحفنا ، فأننا استفدنا منه في النهاية ، فلم يكن في وسع الالمان أن يجدوا بديلا عن الخسائر التي خسروها .

وعلى الرغم من أن معاركنا المقبلة على نهر الراين كانت عنيفة وقاسية ، فإن هجوم الاردن الفاشل قد سهل مهمتها . ولا ريب في أن القيادة العليا الالمانية وهتلر نفسه قد خدعا عندما باغتهما ايزنهاور وقادتهم بهجومهم ، أما الفضل كل الفضل لنجاحنا فيعود الى ما ذكره مونتهمرى في تقريره وهو « لقد كسبنا معركة الاردن بفضل ما يتمتع به الجندي الامريكى من روح حربية عالية » ، وفعلا قد قامت القوات الامريكية بأكبر قسط في المعركة وتحملت أكبر قسط في الخسائر .

عن الميلا في اثينا

لقد اشتهر اليونانيون بأنهم من أكثر شعوب العالم اهتماما بالسياسة ، وأنه مهما كانت اوضاعهم قاسية أو كانت الاخطار التي تتعرض لها بلادهم خطيرة ، فانهم لا ينفكون عن الانقسام الى شيع واحزاب عدة ، يتولى قيادتها عدد من الزعماء يتخاصمون ويتشاحنون بحيوية وحماس .

ولما كنت قد طلبت الى رئيس اركان حرب القوات البريطانية ، اعداد التفاصيل المتعلقة ، بايفاد حملة بريطانية الى اليونان في حالة انهيار الالمان وذلك قبل ان اغادر ايطاليا في نهاية شهر اغسطس ، فقد تم اعدادها في اوائل سبتمبر ، واطلقنا على هذه العملية اسم « المن » وفي الوقت نفسه كنا قد اتينا بالمسيو باباندريو رئيس الوزراء وزملائه الى ايطاليا واخذ يعمل مع ممثلى جبهة التحرير الوطنى « ايام » ومع منافسيهم القوميين من جماعة الجيش الوطنى الديموقراطى « ايديس » يساعده فى ذلك المستر ماكميلان وزيرنا المقيم فى البحر الابيض المتوسط ، والمستر ليبر سفيرنا لدى الحكومة اليونانية وتمكنوا جميعا من الوصول الى اتفاق شامل تم التوقيع عليه فى السادس والعشرين من سبتمبر ، وقد نص الاتفاق على أن تضع جميع قوات العصابات فى البلاد نفسها تحت أوامر الحكومة اليونانية التى وضعت نفسها بدورها تحت تصرف القائد البريطانى الجنرال سكوبى ، وقد قدر لهذه الوثيقة التى سميت باتفاق « سايستر » ان تسيطر على جميع اعمالنا فى المستقبل .

وقد بدأ تحرير اليونان فى شهر اكتوبر ، وبعثنا بوحدات من الفدائيين الى جنوبى اليونان ، وتمكنت قواتنا فى الساعات الاولى من صباح الرابع والعشرين من شهر اكتوبر من احتلال باتراس ، وكانت هذه اول موطىء قدم لنا منذ أن خرجنا ذلك الخروج المؤلم فى عام ١٩٤١ .

ولما شرع الالمان فى الجلاء عن اثينا ، فى الثانى عشر من اكتوبر ، هبط المظليون البريطانيون فى اليوم التالى فى مطار ميجارا ، القريب من العاصمة ، واحتلوا المدينة فى اعقاب الانسحاب الالماني كما دخلت قواتنا البحرية ميناء بيريه يصحبها الجنرال سكوبى مع أكثر جنوده ، وكما وصلت ايضا الحكومة اليونانية بعد يومين يرافقها سفيرنا .

ولما كانت المؤن قد نفدت ، وكان المستر ايدن وهو فى طريق عودته من موسكو ، عرج على اليونان لزيارة اثينا ، وكان يرافقه فى هذه الزيادة اللورد موين الوزير المقيم فى القاهرة والمستر ماكميلان ، فقد بحث كل ما يمت الى موضوع الاغاثة واتخذت كل التدابير الممكنة

لتأمينها ، كما بدأ رجال فرقة المهندسين البريطانيين فى اصلاح طرق المواصلات التى لا غنى عنها ، وعندما حل اليوم الاول من نوفمبر كان الالمان قد انسحبوا من سلانيك وفلورينا ، وبعد عشرة ايام اجتازت آخر قواتهم الحدود الشمالية ، وبذلك تحررت اليونان بأسرها ، باستثناء بعض الجزر الصغيرة النائية والمعزولة والتى كانت الحاميات الالمانية لا تزال فيها .

ولما كانت الحكومة اليونانية لم تكن تملك القوات الكافية للسيطرة على البلاد وارغام «ايلاس» على احترام اتفاقية سابسترا ، وانتشرت الفوضى وعمت البلاد ، وكان من المتوقع ان تقوم جبهة التحرير الوطنى بثورة فى كل لحظة ، فقد اصدرنا الاوامر الى الجنرال سكوبى فى الخامس عشر من نوفمبر باتخاذ استعدادات مضادة كما تقرر اعلان مدينة اثينا منطقة عسكرية وكذلك صدرت الاوامر الى جيش التحرير «ايلاس» بمفادرتها ، وفى هذا الوقت كانت الفرقة الهندية الاولى قد وصلت الى اليونان ، وكان من الواضح ان الطريقة الوحيدة لتجنب الحرب الاهلية انما هى فى نزع سلاح افرادالعصابات والقوات الاخرى، واقامة جيش وطنى جديد وقوة من الشرطة تعمل تحت الاشراف المباشر لحكومة اثينا .

وفى اليوم الاول من شهر ديسمبر استقال وزراء جبهة التحرير الستة واعلن الاضراب العام فى اثينا فى اليوم التالى ، واصدرت البقية الباقية من مجلس الوزراء مرسوما بحل العصابات ، كما نقل الحزب الشيوعى مقر رياسته من العاصمة ، ووجه الجنرال سكوبى رسالة الى الشعب اليونانى اكد فيها وقوفه الى جانب الحكومة الدستورية القائمة ، الى ان تتم اقامة الدولة اليونانية عن طريق انتخابات حرة ، كما وجهت رسالة مماثلة من لندن .

وفى اليوم الثالث من يناير اصطدم انصار الشيوعيين الذين كانوا يسيرون فى مظاهرة ممنوعة مع رجال البوليس وبدأت الحرب الاهلية ، ولذلك اصدر الجنرال سكوبى اوامره الى قوات جيش التحرير «ايلاس» بالجلء عن اثينا وبيريه ، ولكن هذه القوات يؤيدها المدنيون المسلحون حاولت الاستيلاء على العاصمة بالقوة ، وعندما علمت ان الشيوعيين قد استولوا على معظم مراكز الشرطة وذبحوا كل الرجال الذين كانوا فيها ، ولم ينضموا اليهم ، وانهم أصبحوا على بعد ربع ميل من مقر الحكومة ، اصدرت اوامرى الى الجنرال سكوبى والى خمسة آلاف جندى من البريطانيين الذين يعملون تحت امرته بالتدخل واطلاق النار على المعتدين الآثمين ، ولا ريب فى ان وجود مثل هذه الاوامر فى حيازته ، لا تقتصر على تشجيعه على القيام بعمل حاسم ، بل تمنحه التأكيد اللازم بأننى سأكون الى جانبه فى أى اجراء حازم قد يتخذه مهما تكن النتائج .

أما وقد عرف العالم الحر الآن الكثير عن الحركة الشيوعية فى اليونان وغيرها ، فان الكثير من القراء سيدهشون حتما من الحملات العنيفة التى تعرضت لها الحكومة البريطانية ، وتعرضت لها أنا شخصيا بصفتى رئيسها ، كما استنكرت معظم الصحف الامريكية ،

اجراءنا ، أشد الاستنكار . وأصدرت وزارة الخارجية الامريكية التى كان يرأسها المستر سبيثيتينوس ، بيانا انتقاديا واضحا ، وشهدت انجلترا نفسها غليانا وهيجانا شديدين ، ووجهت صحيفتا « التيمس » و « المانشستر جارديان » اللوم العنيف لما أسمته بسياسة الرجعية أما ستالين فقد حافظ من جانبه بأمانة على اتفاقنا الذى عقدناه فى شهر أكتوبر .

كما شهد مجلس العموم اضطرابا شديدا ، وكانت هناك تيارات قوية من الآراء الفاضحة ومن العطف والتأثر ، ولو كانت هناك حكومة اخرى لا تتمتع بما تتمتع به حكومتنا القوية من أسس ثابتة قوية نتهاوت محطمة منهارا ، ولم يقترح ضدنا الا ثلاثون فقط واقترح معنا نحو من ثلثمائة ، وكانت مناسبة جديدة أظهر فيها مجلس العموم قوته المستمرة وسلطته .

وفى ذلك الوقت كانت القوات البريطانية تقاتل بشدة فى قلب اثينا وقد حوصرت وتفوق عليها العدو عددا ، وكانت تشتبك فى قتال من بيت الى بيت مع عدو يرتدى أربعة أخماس أفراده الملابس المدنية ، وكان باباندريو ومن تبقى من وزرائه قد فقدوا كل سلطة كما رفض الملك اقتراحا باقامة مجلس وصاية يرأسه رئيس الاساقفة داما سكينوس الا ان سفيرنا المستر ليبر عاد فعرض الفكرة ثانية على الملك فى العاشر من شهر ديسمبر ، ولكنه ظل معارضا لها ولم تكن فى ذلك الحين ترغيب فى الضغط عليه لقبولها .

وكان قد وصل الى اثينا فى هذا الوقت كل من المارشال اليكساندر والمستر هارولد ماكميلان ، وصدر الامر بتحول الفرقة البريطانية الرابعة - التى كانت تنتقل من ايطاليا الى مصر - الى اليونان ، وادى وصولها فى النصف الأخير من الشهر وفى الوقت المناسب الى قلب الاوضاع ، وان كان قتال الشوارع فى أثناء ذلك ظل متأرجحا على نطاق واسع ، ولذلك فقد حذرني اليكساندر بضرورة الوصول الى تسوية فى أسرع وقت ممكن ، وأكد أن خير سبيل لذلك يكون بتدخل رئيس الاساقفة ، وابرق الى يقول : « مالم تقم بذلك فأننى أخشى اذا استمرت مقاومة الثائرين على ما هى عليه الآن من شدة وعنف أن اضطر الى ارسال نجدات كبيرة اخرى من الجبهة الايطالية ولأضمن تطهير مقاطعة اثينا - بيرييه ، وهى منطقة تضم خمسين ميلا مربعا من المنازل »

فقررت ان اذهب الى اثينا لارى الامور بنفسى على مسرحها وكان ذلك فى اليوم الرابع والعشرين من ديسمبر ، وكنا قد أعدنا حفلة عائلية تضم عددا من الاطفال بمناسبة ليلة عيد الميلاد ، لكنى شعرت بالحاجة الماسة الى أن أطير الى اثينا ، وأن اتعرف على رئيس الاساقفة الذى يتوقف عليه وعلى شخصه الكثير ، واسرعت باعطاء الاوامر لاعداد طائرة لى فى تلك الليلة فى نور سهولت حيث كان ينتظرني المستر ايدن لكى نستقلها معا الى اثينا ، فهبطنا عند الظهر فى مطار كالماكى ، وكان فى فى انتظارنا المارشال اليكساندر والمستر ليبر والمستر ماكميلان ،

فصعدوا الى الطائرة حيث قضينا ثلاث ساعات في مناقشات حادة استعرضنا فيها الموقف بكامله من نواحيه السياسية والعسكرية واتفقنا على الخطوات التي يجب ان نتخذها فوراً .

وتقرر ان تمضى الليلة على ظهر الطراد اجاكس ، ولكى نستقبل فيه رئيس الاساقفة وبطانته ، فذهبنا الى حيث انطراد وعند وصول رئيس الاساقفة اجتمعنا به ، فتحدث بمرارة بالغة عن فظائع جيش التحرير « ايلاس » وعن اليد الأثيمة البشعة التي تقوم وراء جبهة التحرير « ايام » ، وعندما اصفيت اليه تبين لى دون شك أن الرجل يخشى الشيوعيين خشية كبيرة ، كما يخشى تدخلهم فى الشبثون اليونانية وقال : انه قد أصدر منشورا بطريكيا أعلن فيه حرمان جيش التحرير « ايلاس » لآخذه ثمانية آلاف من الرهائن معظمهم من الطبقة الوسطى وبينهم عدد من الصربيين ، ولقتله عددا منهم كل يوم ، واضاف انه سينقل هذه الأنباء الى الصحافة العالمية ، اذا لم يقوم جيش التحرير باطلاق سراح النساء فوراً ، وقد أثر على تأثيرا طيبا بصورة عامة ، لما يتميز به من ثقة فى نفسه ، وفى النهاية قبل اقتراحنا بأن يتولى رئاسة المؤتمر الذى سيعقد فى اليوم التالى والذى دعى جيش التحرير « ايلاس » لارسال ممثليه اليه .

وفى صباح اليوم التالى توجهنا الى السفارة ، حيث قابلت رئيس الاساقفة وقد وافق على كل ما اقترحناه ووضعنا مخططا للمؤتمر الذى تقرر عقده بعد ظهر ذلك اليوم .

وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم انعقد المؤتمر برئاسة رئيس الاساقفة وقد جالست عن يمينه ، وجلس المستر ايدن والمارشال اليكساندر عن يساره ، كما حضر المؤتمر المستر ماكفى السفير الأمريكى والمسئو بيليه وزير فرنسا المفوض والممثل العسكرى السوفيتى ، وكذلك حضر الزعماء الشيوعيون الثلاثة الذين يمثلون جيش التحرير وكانوا يرتدون زى الميدان البريطانى ، وقد بدأت الحديث بقولى :

« من الخير ان نبذل كل مجهود لجعل اليونان عاملا من عوامل النصر وأن نبدا جهودنا الآن ، وليس من قصدنا أن نقف حائلا دون تفاهمكم وتشاوركم وسنترككم نحن البريطانيين ومن معنا من ممثلى الدول الحليفة لتتشاوروا وحدكم برياسة هذا المواطن البارز جدا ، ولن نزعجكم الا اذا استدعيتونا وكلى أمل على كل حال ، فى أن هذا المؤتمر الذى يبدأ هنا فى أثينا سيعيد اليونان مرة أخرى الى شهرتها وقوتها بين الحلفاء وبين الشعوب المحبة للسلام فى العالم ، وسيضمن سلامة الحدود اليونانية من أى خطر من الشمال وسيمكن كل يونانى من أن يظهر نفسه وبلاده بأحسن مظهر أمام العالم بأسره .

وبعد ان انتهينا من القاء الخطب الرسمية انسحبنا من المؤتمر وقد استغرقت المحادثات العنيفة بين الأحزاب اليونانية معظم ساعات النهار وبعد ذلك اجتمعت فى الخامسة والنصف مساء اجتماعا آخرى من رئيس الاساقفة وعلى ضوء المحادثات التى أجراها مع ممثلى جيش التحرير « ايلاس » تقرر أن أطلب الى ملك اليونان تعيينه وصيا،لكى

يشرع فوراً في تأليف حكومة جديدة لا تضم الشيوعيين ، وتعهدنا له بأن تظل القوات البريطانية على استعداد ، الى ان يتم احد امرين ، أما ان يقبل جيش التحرير الهدنة أو تطهر منطقة أثينا من قواته ، وقلت له : اننا سنحاول الاحتفاظ بالقوات البريطانية في اليونان الى ان يتم تأليف الجيش اليوناني الوطني .

هذا وقد غادرت اثينا ومعى المستر ايدن الى لندن في التاسع والعشرين من ديسمبر وفي الحال عقدنا اجتماعاً مع الملك وقد وافق جلالتة في نهايته على ألا يعود الى اليونان الا اذا دعى للعودة بإرادة حرة ونزيهة ، كما وافق على تعيين رئيس الاساقفة وصياً على العرش ، وبذلك أصبح الجنرال بلاستيرس رئيساً للوزارة .

وبذلك انتهى القتال المستمر في اثينا بطرد الثائرين اخيراً من العاصمة كما أصبحت القوات البريطانية مسيطرة على جميع مقاطعة اثينا ووقعت الهدنة في الحادى عشر من يناير ، وفي الوقت نفسه تحررت اليونان من العبودية الشيوعية .

واذا ما قورنت احداث اليونان بما كان يدور حين ذاك في أنحاء العالم حيث يقف نحو من ثلاثة ملايين رجل يتصارعون في الجبهة الغربية ، وحيث تنتشر قوات امريكية كبيرة في أنحاء المحيط الهادى ضد اليابان ، بدت صغيرة تافهة ، ولكنها على كل حال ، كانت تقع في العصب الحساس لحرية العالم الغربى وسلطته وقانونه .

ومن الغريب انه عندما ينظر الانسان الى هذه الاحداث ، فانه لا شك يقر السياسة التى تبنيها انا وزملائى ، والتى قاتلنا باصرار من أجلها فقد رأيت بوضوح أن الشيوعية ستكون الخطر الذى يهدد الحضارة ، والتى يجب ان نواجهها بعد هزيمة النازية والفاشية .

واذا كانت اليونان قد نجت من مصير تشيكوسلوفاكيا ، واذا قدر لها أن تعيش الآن كدولة من الدول الحرة ، فالفضل في ذلك لا يعود الى الاجراء الذى اتخذته بريطانيا في عام ١٩٤٤ وحده ، بل الى الجهود الصامدة التى أصبحت بعد مدة بسيطة تعبيراً عن القوة المتحدة للعالم الناطق بالانجليزية .

مالطة وثالثا مشروعات للسلام العالمى

لما كانت جيوش هتلر قد سحبت داخل حدودها فى نهاية شهر يناير عام ١٩٤٥ باستثناء بعض فلول منها واهية كانت لا تزال قابضة على المجر وعلى شمالى ايطاليا . فان الوضع السياسى مع ذلك على اية حال فى شرقى اوروبا لم يكن مرضيا ، ولو أن الهدوء ساد اليونان ، وبدا ان حكومة ديموقراطية حرة ستقوم على اساس الانتخاب المباشر العام والاقتراع السرى فان رومانيا وبلغاريا قد أصبحتا فى قبضة الاحتلال العسكرى السوفيتى كما كانت المجر ويوغوسلافيا تستخدم فيهما المعارك ، أما بولندا فعلى الرغم من تحريرها من الالمان ، قد احتلتها روسيا ، مع أن الاتفاق غير الرسمى والمؤقت الذى عقده مع ستالين فى أثناء زيارتى فى شهر اكتوبر لموسكو ، لم يكن المقصود منه ، من ناحيتى على الأقل ، أن يتحكم أو يؤثر فى مستقبل هذه المناطق الواسعة بعد هزيمة المانيا .

وكان وضع أوربا بعد الحرب وكيانها كله يتطلبان ضرورة إعادة النظر فيهما حتما ، وكذلك فى الطريقة التى ستتبع فى معاملة الالمان بعد هزيمتهم والمساعدة التى يمكننا أن نرجوها من الاتحاد السوفيتى فى المرحلة الاخيرة لكى نهزم انيابان ، وبعد أن نتحقق لنا أهدافنا العسكرية، ما الترتيبات والتنظيمات التى تستطيع دول الحلفاء الكبرى أن تقدمها لسلام العالم ولحسن تنظيمه ؟ هذا هو السؤال الذى كنت أردده فى ذهنى دائما .

ولما كانت المحادثات التى جرت فى دومبارتون أوكس قد اسفرت عن خلافات جزئية ، كما انتهت ايضا المحادثات التى هى أضيق نطاقا والتى دارت بين لجنة لوبلين البولندية التى يرعاها السوفييت وبين مواطنيها القادمين من لندن الى نتيجة مماثلة ، مع اننى عملت انا والمستر ايدن كل ما فى وسعنا لانجاحها فى أثناء زيارتنا للكرملين فى نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وعلى الرغم من الاتصالات غير المجدية التى دارت بين الرئيس روزفلت وستالين اعترف السوفييت فى الخامس من يناير بالجنة لوبلين على اعتبار انها حكومة بولندا المؤقتة .

ولما كان الرئيس مقتنعا كل الاقتناع بضرورة عقد اجتماع آخر بالثلاثة الكبار ، وبعد الحاح شديد من جانبى ، وافق الرئيس ايضا على ان نعقد انا وهو مؤتمرا تمهيدا فى مالطة ، ولعل القراء يذكرون المخاوف التى عبرت عنها للرئيس فى برقيتى التى بعثت بها اليه فى السادس من ديسمبر ، وكانت هذه المخاوف لا تزال تلازمنى ، كما كان رؤساء اركان الحرب البريطانيون والامريكيون فى حاجة الى التشاور قبل الاجتماع ، ففأدرت نورثهلت فى التاسع والعشرين من شهر يناير

عام ١٩٤٥ على طائرة ومعى ابنتى سارة وعدد من الموظفين الرسميين ، ووصلنا الى مالطة فى الثلاثين من يناير .

كما وصلت السفينة الحربية الامريكية « كونيس » صباح اليوم الثانى من فبراير عام ١٩٤٥ الى خليج فالينا ، وعلى ظهرها الرئيس روزفلت وصحبه ، وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، عقدنا انا والرئيس اول اجتماع فى قمرته الخاصة ، واستعرضنا تقرير هيئة اركان الحرب المشتركة والمباحثات العسكرية التى كانت دائرة فى مالطة منذ ثلاثة ايام ، وانتهزنا الفرصة بالطبع لاستعراض الوضع العسكرى كله ، وفى ذلك الحرب ضد الغواصات ، والحملات المقبلة فى جنوب شرقى آسيا والمحيط الهادى ، والوضع فى البحر المتوسط .

وقد وافق برمين على سحب فرقتين من اليونان عندما يمكن سحبهما ، ولكننى اوضحت أننا لن نجد أنفسنا مضطرين للقيام بذلك ، الا أن يصبح للحكومة اليونانية جيشها كما تقرر سحب ثلاث فرق اخرى من ايطاليا لتعزيز قواتنا فى شمالى اوروبا الغربى ، ولكننى اكدت انه ليس من الحكمة القيام بسحب عام للقوات البرمائية وقد كان من المهم أن نتبع أى انسحاب لمانيا من ايطاليا ، كما ابلغت الرئيس أن الواجب يحتم علينا احتلال أكثر ما يمكننا من النمسا ، اذ ليس من المرغوب فيه ان يحتل الروس مسافات أكثر من اللازم فى اوروبا الغربية .

وقد اسفرت المباحثات عن نتائج مهمة واتفاقات حول مختلف القضايا العسكرية ، كما أن هيئة اركان الحرب المشتركة اصبحت على علم بجميع نقاط الاتفاق ، وعلى جميع وجهات نظرنا ، قبل الشروع فى المحادثات مع اركان الحرب السوفيت ، والتى ستبدأ بعد ذهابنا الى هناك للاجتماع بهم .

هذا وقد اعدت الطائرات لنقلنا ولنقل رجال الوفدين الرسميين البريطانيين والامريكيين البالغ عددهم نحو سبعمائة رجل ، الى مطار ساكى فى جزيرة القرم ، ولما وصلنا الى هناك انتقلنا بالسيارات الى يالتا .

وكان المقر السوفيتى فى يالتا هو قصر يوسويوف ، حيث كان ستالين ومولوتوف وجنرالاهما يتولون ادارة دفة الحكم فى روسيا والسيطرة على جبهتهم الهائلة التى يحتدم القتال فيها الآن من هذا المركز ، هذا وقد نزلنا فى قصور فسيحة اعدت لكل منا ، وقد بذل مضيفونا كل جهد لضمان راحتنا ، وكانوا يهتمون بكل ملاحظة عارضة تصدر منا .

وقد بدأت الجلسة الاولى للمؤتمر بعد ظهر الخامس من فبراير ، وتناول الحديث مستقبل المانيا ، وكنت بالطبع قد فكرت فى هذه المسألة ، ووجهت الى المستر ايدن من حوالى شهر تقريبا الرسالة التالية .

« بالنسبة لمعاملة المانيا بعد الحرب ، اعتقد أن من السابق لأوانه تقرير مثل هذه الموضوعات الكبيرة ، اذ من الواضح أنه عندما

تتوقف المقاومة الألمانية المنتظمة فان المرحلة الاولى ستكون ممثلة في اشراف عسكري قاس ، وقد يستغرق هذا الاشراف عدة اشهر او سنة او سنتين ، اذا ظلت المقاومة السرية الألمانية نشيطة ، ولهذا فاني اقترح مع كل المشاغل التي ننوء تحت أعينائها في الوقت الحاضر ألا نسارع الى بحث هذه المشكلات المؤلمة التي قد تؤدي الى تصدع كبير .

واني لأوثر التركيز على القضايا العلمية التي ستحتل الصدارة في السنتين أو السنوات الثلاث القادمة ، بدلا من أن نضيع وقتنا في مناقشات عن علاقات المانيا الطويلة الاجل بأوروبا ، ولهذا فهناك الكثير من الحكمة في أن يحتفظ الانسان بقراراته أطول مدة ممكنة ، حتى تتكشف جميع الحقائق والوقائع التي قد تصبح قائمة وعملية .

ولهذا فقد قلت 'لستالين' ، عندما تساءل عن الطريقة التي ستجزأ بها المانيا : ان هذه القضية من التعقيد بحيث يتعذر حلها في خمسة أيام أو ستة ، فمثل هذا الموضوع يتطلب دراسات عميقة في التاريخ وعلم الاجناس البشرية ، والحقائق الاقتصادية ، واستعراضا طويلا تقوم به لجنة خاصة تتولى دراسة مختلف الاقتراحات وتقدم رأيها فيها ، فهناك الكثير من المسائل التي يجب أن تدرس ، اذ ماذا سنعمل في بروسيا ؟ وأي مناطق يجب أن تكون لبولندا والاتحاد السوفيتي ؟ ومن يتولى الاشراف على وادي الراين والمناطق الصناعية المهمة في الروهر والسار ؟ وأرى أن تؤلف هيئة خاصة لدراسة هذه القضايا ويعرض تقريرها علينا قبل الوصول الى أية قرارات نهائية ، واقترح المستر روزفلت أن يعهد الى وزراء خارجيتنا بإعداد خطة لدراسة هذه القضية على أن يتم اعدادها في أربع وعشرين ساعة وأن يوضع المشروع النهائي لتجزئة المانيا خلال شهر وتركنا الموضوع عند هذا الحد .

واتفقنا على أن نجتمع في اليوم التالي لدراسة موضوعين مهمين جدا ، وهما مشروع دوميرتون او كس لضمان الامن العالمي وموضوع بولندا ،

هذا وقد انتهى مؤتمر دوميرتون او كس كما سبق لي ان ذكرت دون الوصول الى اتفاق كامل بشأنه

وقد قال سستالين : أنه يخشى - على الرغم من أن الدول العظمى الثلاث متحالفة الآن ، وانه لن تقوم اية منها بأى عمل من أعمال العدوان يخشى أن الزعماء الثلاثة قد يختلفون من المسرح في غضون عشر سنوات أو نحوها وقد يتولى الساطة جيل جديد لم يمر بتجربة الحرب وقد ينسى كل ما مررنا به من محن ، ثم قال « اننا جميعا متفقون على الرغبة في احلال السلام لمدة خمسين عاما على الاقل ، ويقوم الخطر الاكبر في أن نتصارع بعضنا مع بعض ، فلو ظللنا على اتحادنا ، فلن يكون للخطر الألماني أية أهمية ،

ولهذا يجب علينا ان نفكر في ضمان وحدتنا في المستقبل وان تؤمن بقاء الدول العظمى الثلاث ومعها الصين وفرنسا أن أمكن في جبهة متحدة ،

ومضى ستالين يقول : ولا يستطيع زملائي في موسكو أن ينسوا ما حدث في أكتوبر عام ١٩٣٩ في أثناء الحرب الروسية الفنلندية ، عندما استخدمت الحكومتان البريطانية والفرنسية عصبة الأمم ضدنا ، ونجحنا في عزلنا ، وفي طرد الاتحاد السوفييتي من العصبة ، ولذلك فانه يجب الحصول على ضمان بأن أمورا كهذه لن تتكرر في المستقبل .

وقد تمكنا بعد الكثير من الجهد والايضاح من اقناعه ، بقبول مشروع أمريكي يصبح فيه مجلس الأمن عاجزا عن اصدار أى قرار الا اذا أجمع عليه « الأربعة الكبار » واذا رفضت أية دولة منها أى مشروع فلا يجوز لمجلس الأمن اقراره ، وهذا هو « الفيتو »

وكنّا من ناحيتي أرى أن إقامة أى جهاز عالمي يجب ان تكون على أساس اقليمي ، فهناك مناطق اقليمية رئيسية موجودة وتفرض هذا الوجود ، كالولايات المتحدة وأوروبا المتحدة وجامعة الشعوب البريطانية والاتحاد السوفييتي وأمريكا الجنوبية ، وهناك مجموعات أخرى ، كالمجموعات الآسيوية والمجموعة الأفريقية ، وفي الأماكن تنمية هذه الفكرة عن طريق الدرس . وكان الهدف من فكرتي هو حل القضايا التي تدور حولها الخلافات المحلية الحادة في المجالس الإقليمية التي تبعث بعد ذلك بثلاثة أو أربعة من ممثليها إلى المجلس الأعلى ، الذي سيتألف من ثلاثين أو أربعين شخصا من أبرز الساسة العالميين يكون كل واحد منهم مسئولا عن منطقة ومعالجة القضايا العالمية أيضا ، ولاسيما قضية حرب ، أما دعوة جميع الدول صغيرها وكبيرها قسويها وضعيفها إلى الاشتراك على قدم المساواة في الهيئة المركزية « الجمعية العمومية » فهي أشبه ما يكون بتنظيم جيش لاتفرق فيه بين قيادته العليا وقادة فرقته وألويته ، ويكون كل ما حصلنا عليه من هذا الاجراء ، انما هو برج بابل جديد ، يتميز بشيء من المهارة في مناورات ما وراء الكواليس ، ولكن علينا أن نتحمل ، وأن نصبر على أية حال .

تم الكتاب

مجموعة اخترنا لك تصدر

أسبوعية باللغات العالمية

يشارك في تحريرها وإعدادها

لجنة "اخترنا لك"



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبير -روض الفرع

تليفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢

Bibliotheca Alexandrina



0412541

الثلثون ١٠ قروش

العدد ١٤٠